Agustina Bazterrica

أجوستينا باثتيرّيكا

Cadáver Exquisito

جُثة لذيذة



ترجمة: محمد الفولي

عصير الكتب

Cadáver Exquisito

جُثة لذيذة

- جائـزة «كلاريـن» للروايـة عام 2017.

"بورتريـه مذهـل عـن اسـتعداد الإنسـانية لفعل أي شـيء لإرضاء ذاتها".

-Le Monde

"دعـوة إلـى جحيـم تتصـارع فيها الهموم والرغبات".

-La Nación



جُثة لذيذة





إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

العنوان الأصلي: Cadaver exquisite

العنوان العربي: جثة لذيذة

حقوق النشر:
© Agustina Bazterrica, 2017
© De esta edición (2017)

حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

محرر هذه النسخة: mohamed

ترجمة: محمد الفولي

تدقيق لغوي: آلاء الشربيني

تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

رقم الإيداع: 2023 / 15857م

الترقيم الدولي: 978-977-992-300-0

مجهز هذه النسخة: أشرف غالب



Agustina Bazterrica

أجوستينا باثتيرّيكا

Cadáver Exquisito

جُثة لذيذة



ترجمة: محمد الفولي

عصير الكتب

"هذه النسخة مقدمة من متجر ضاد للكتب

تحت إشراف عمرو «3MR»".



تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق: **mohamed**

تجهـيز وتنسيق: أشرف غالب.



إلى أخي، جونثالو باثتيريكا.

«ما يراه المرء لا يتفق أبدًا مع ما يقوله».

جيل دولوز

«يلتهمون مُخي بنهشاتهم

ويشربون عُصارة قلبي

ويحكون لي قصصًا

في وقت النوم».

باتريثيو ري وريدونديتوس دي ريكوتا[1]

(1) فريق موسيقي أرجنتيني. (المترجم).



الجزء الأول

«وكانت تعابيره بشرية جدًّا،
حتى إنَّها بثت فيَّ الرعب..».

ليوبولدو لوجونيس

1

«نصف ذبيحة». «مُفقِد الوعي». «خطُّ الذبح». «التنظيف بالرَّش». تظهر هذه الكلمات داخل رأسه، فتضربه وتُمزقه. لكنها ليست مُجرد كلمات فحسب. إنها الدماء والرائحة الثخينة والتشغيل الآلي والغِياب التام للعقل. تُباغِته ليلًا وهو غافل، وحين يستيقظ، يجد جسده مكسوًّا بطبقة من العرق لأنَّه يعرف أن يومًا آخر من ذبح البشر ينتظره.

يُفكر، وهو يشعل سيجارة، في أن أحدًا لا يدعوهم هكذا. هو نفسه، لا يدعوهم هكذا حين يشرح لأي عامل جديد دورة اللحم. لو دعاهم هكذا، فبإمكانهم أن يقبضوا عليه، بل وأن يرسلوه إلى «مذبح مجلِس البلدية» ليدخل دورة التصنيع. ربما «قَتله» هي الكلمة الأدق، لكنها لفظ ممنوع. يحاول، وهو يخلع قميصَه المتشبِّع بالعرق، تبديد الفكرة اللحوحة التي تقول إنهم حقًّا بشر يُربونهم ليُصبحوا حيوانات صالحة للأكل. يذهب إلى الثلاجة ويصبُّ لنفسه كوبًا من الماء المثلج. يشربه ببطء. يُنبهه عقله إلى أن العالم يستتر وراء الكلمات.

إنها كلمات مُلائِمة، وصِحيَّة وقانونية.

يفتح النافذة، إذ يخنقه الحر. يقف ليُدخِّن وهو يستنشق هواء الليل الساكن. كانت الأمور أسهل مع الابقار والخنازير. تعلَّمَ الصنعة في «مجزر شجرة السرو»؛ مجزر أبيه

وإرثه. صحيح أن سماع صرخة الخنزير بعد إسقاطه قد يجعل المرء يتحجر في مكانه، لكنهم آنذاك استخدموا واقياتٍ سمعية، ومع مرور الوقت صارت هذه الصرخات مُجرد ضوضاء أخرى. أما الآن فيتحتَّم عليه أن يُراقب ويُجهز كل العُمال الجُدد لأنه الذراع اليُمنى للمدير. تعليم القتل أسوأ من القتل. يُخرج رأسه من النافذة ويستنشق الهواء المكتوم المُضطرم.

لو أن الأمر بيده، لخدَّر نفسه وعاش من دون أن يشعر بشيء. لو أن الأمر بيده، لنفَّذَ دوره كآلة وراقب وتنفَّسَ فقط. لو أن الأمر بيده، لرأى كل شيء، وفهِمه من دون أن ينطق. لكن الذكريات موجودة ولا تزال باقية.

تأقلم الكثيرون مع ما تصرُّ وسائل الإعلام على تسميته بـ«الانتقال»، أما هو فلا، إذ يعلم أن الانتقال كلمة لا تعكس مدى قصر وقسوة العملية. إنها كلمة تُلخِّص وتُصنف حدثًا غير قابل للقياس. إنها كلمة فارغة. «التغيير». «التبدُّل». «التحول». تبدو كل هذه المترادفات كأنها تعني الشيء نفسه، لكن اختيار أي واحدة منها يعكس طريقةً فريدة لرؤية العالم. لقد تأقلم الجميع مع أكل لحوم البشر. هكذا يُفكر. «أكل لحوم البشر». إنه اصطلاح آخر قد يجلب له مشكلات هائلة.

يتذكَّر ما حدث حين أعلنوا عن وجود فيروس «ج.ج.ب». الهستيريا الهائلة وموجة الانتحارات والخوف. صار تناول لحوم الحيوانات مستحيلًا بعد «ج.ج.ب» لأن الفيروس مُميتٌ للبشر. هذه هي الرواية الرسمية. يفكر: «للكلمات وزن كافٍ لإعادة قولبتنا ومَحو أي تساؤلات».

يسير عبر المنزل وهو حاف. تغيَّرَ العالم بعد «ج.ج.ب» نهائيًّا. اختُبرت عِدَّة لقاحات ومضادات للسموم، لكن الفيروس قاوَم وتحوَّر. يتذكَّر المقالات التي تحدَّثَت عن انتقام النباتيين، وتلك الأخرى التي تناولت أفعال العنف المرتكبة ضد الحيوانات، والأطباء الذين ظهروا فى التلفاز وهم يشرحون كيفية تعويض نقص البروتينات، والصحفيين الذين أكدوا أن الفيروس لا يزال من دون علاج. يتنَهَّد ويُشعل سيجارة أخرى.

إنه بمفرده. ذهبت زوجته إلى بيت أمِّها. لم يَعُد يفتقدها، لكن ثمة فراغًا في البيت لا يسمح له بالنوم ويُقلقه. يُخرج كتابًا من المكتبة. لم يَعُد يشعر بالنعاس. يُضيء النور ويستعد للقراءة، لكنه يُطفئه. يلمس ندبة يده. إنها قديمة. لم تَعُد تُؤلمه. أصابها به خنزير وهو شاب، حين كان مُجرَّدَ مبتدئٍ يعتقد أن احترام اللحم ليس واجبًا، إلى أن عضه هذا اللحم وكاد أن يقتلع يده. لم يتوقف رئيس العمال وبقيتهم عن الضحك. «لقد عمَّدوك». هذا ما قالوه له. لم ينطق أبوه شيئًا. لم يعودوا يرونه بعد هذه العضة «ابن المالك»، وصار جُزءًا من المجموعة. يُفكر: «لكن هذه المجموعة و «مجزر شجرة السرو» لم يعودا موجودين».

يُمسك هاتفه الخلوي. لديه ثلاث مكالمات فائتة من حماته، ولا مكالمة واحدة من زوجته.

يقرر أن يستحم لأنه لا يطيق الحر. يفتح الدش ويضع رأسه تحت الماء البارد يريد. أن يمحو الصور البعيدة والذكريات التي لا تزال باقية. أكوام القطط والكلاب التي أُحرقت وهي على قيد الحياة، لأن مجرد خدش واحد معناه الموت. ظلَّت رائحة اللحم المحروق طافيةً لأسابيع. يتذكر المجموعات التي ارتدت بزات واقية صفراء وتجولت عبر الأحياء ليلًا لقتل وإحراق أيِّ حيوان تصادفه.

يسقُط الماء البارد فوق صدره. يجلس فوق أرضية الحمام. يهزُّ رأسه ببطء يمينًا ويسارًا، لكنه يعجز عن كبح الذكريات. بدأت بعض المجموعات تقتُل البشر وتأكلهم في السر. سجلت الصحافة قضية بوليفِيَّيْن عاطليْن عن العمل هُوجِما وقطعت أوصالهما ثم شُوِيا من قِبَل مجموعة من الأهالي. ارتجف رعبًا حين قرأ الخبر. كانت هذه الفضيحة الأولى التي تخرج إلى العلن، بل وما أرسى داخل المجتمع فكرة مفادها أن اللحم في نهاية المطاف لحم، أيًّا كان مصدره، بغض النظر عن أي شيء آخر.

يرفع رأسه كي يسقط الماء على وجهه. يُريد أن يُصفي الماء ذهنه، لكنه يعرف أن الذكريات موجودة هناك، دائمًا. بدأ المهاجرون يختفون في بعض الدول بأعداد كبيرة. المهاجرون والمُهمشون، والفقراء. لُوحِق كل هؤلاء وفي النهاية ذُبحوا. بدأ التقنين

حين تعرَّضت الحكومات إلى ضغط من صناعة متوقفة تُقدر قيمتها بالملايين. أعيدت تهيئة مصانع اللحوم وعُدلت اللوائح. بعد مرور مُدة قصيرة، بدأت تربيتهم كمواشٍ لمواجهة الطلب الهائل على اللحم.

يخرج من تحت الدش ويُجفف جسده. ينظر إلى نفسه في المرآة. لديه هالات سوداء. يؤمن بنظرية جرت بعض المُحاولات للحديث عنها، لكن كل من فعلوها علانية أُخرِسوا، لأنه ما إن قال أكثر عالم حيوانات مرموق في مقالاته إن الفيروس مُجرد كذبة، حتى تعرَّضَ لحادث فوري. يعتقد أن المسألة كلها مسرحية لخَفض التعداد السكاني الزائد، فمنذ بدأ وعيه يتشكل والحديث لا يتوقَّف عن قِلَّة الموارد. يتذكَّر الاضطرابات التي حدثت في دُولٍ مثل الصين، حيث قتل الناس بعضهم بسبب التكدُّس السكاني. لم تطرح وسيلة إعلام واحدة الخبر من هذه الزاوية. من قال له إن العالم سيتفجر هو أبوه. «سينفجِر الكوكب في أيِّ لحظة. سترى يا بُني. إما أنه سينفجر وإما أننا سنموت جميعًا بوباءٍ ما. انظر كيف بدؤوا يقتلون بعضهم في الصين بسبب تعدادهم وعدم وجود مساحة كافية للجميع، وهنا، هنا لا تزال ثمَّة مساحة، لكننا لن يُصبح لدينا ماء أو مواد غذائية أو هواء. كل الأمور ستمضي نحوَ الجحيم». لطالما نظر إليه بأسى لأنه حسب أنه مجرد كلام رجل عجوز، لكنه بات يعرف الآن أن أباه كان مُحِقًّا.

جاء التطهير مصحوبًا بمنافع أخرى: انخفاض التعداد السكاني ومعدلات الفقر، ووفرة اللحم. كانت الأسعار مُرتفعة لكن السوق تنامَى بوتيرة متسارعة. اندلعت احتجاجات واسعة وإضرابات عن الطعام، وقدَّمت مُنظمات حقوق الإنسان شكواها. في الوقت نفسه، ظهرت مقالات ودراسات وأنباء أثَّرت على الرأي العام. أكَّدت جامعات مرموقة أن البروتين الحيواني ضروري للعيش، وأكد أطباء أن البروتين النباتي لا يحتوي على كل الأحماض الأمينية الأساسية، وأشار خبراء إلى أن انبعاثات الغاز تراجعت لكن سوء التغذية تزايد، وتحدثت مجلات عن الجانب المُظلم للخضراوات. ضعفت بؤر المظاهرات واستمر ظهور الحالات التي قالت وسائل الإعلام إنها ماتت بسبب الفيروس الحيواني.

لا يكفُّ الحر عن خنقه. يسير عاريًا نحو رواق بيته. الهواء ساكن. يرقد فوق أرجوحة النوم ويحاول أن يغفو. يتذكَّر الإعلان نفسه مرة تلوَ الأخرى. ثمة امرأة جميلة، لكنها ترتدي ملابس محتشمة. تُقدِّم الطعام إلى أبنائها الثلاثة وزوجها. تنظر إلى الكاميرا وتقول: «أنا أُقدِّم إلى عائلتي الغذاء المخصوص. إنه اللحم المعهود نفسه، لكنه أطعم»، ثم يبتسمون جميعًا ويأكلون. قرَّرَت الحكومة -حكومته- إعادة تعريف المُنتج، فأطلقوا على اللحم البشري مسمى «اللحم المخصوص». لم يَعُد اسمه «لحم» فقط، وهكذا صار هنالك «لحم المتن المخصوص»، و «الضلوع المخصوصة» و«الكُلى المخصوصة».

بالنسبة إليه، فهو لا يستخدم مصطلح «اللحم المخصوص». يلجأ إلى كلمات تقنية للإشارة إلى الإنسان الذي لن يصبح شخصًا أبدًا؛ إلى ذلك الشيء الذي سيظل دائمًا مُجرد منتج. هكذا، يشير إلى عدد «الرؤوس» الواجب دخولها إلى مرحلة التصنيع، وإلى «الطلبية» المنتظرة في فناء التفريغ، وإلى «خطّ الذبح» الذي يجب أن يلتزم بإيقاع مستمر ومنظَّم، وإلى الفضلات الواجب بيعها لتصنيع السماد، وإلى منطقة تجهيز الأمعاء والكروش والكراعين. لا يُمكن لأحد أن يدعوهم بشرًا، لأنه بهذه الصورة سيمنحهم هوية. يدعونهم المنتج أو اللحم أو الغذاء. كلهم، باستثنائه هو. لو أن الأمر بيده، لما دعاهم بأيِّ اسم.

2

دائمًا ما يبدو الطريق إلى المدبغة طويلًا. إنه طريق ترابي، مستقيم. يمتد كيلومترات طويلة وسط حقول خاوية. امتلأت هذه الحقول قبلئذٍ بالأبقار والنعاج والأحصنة. الآن، لا وجود لشيء، أو على الأقل لشيء يُمكن رؤيته بمجرد النظر.

يرن هاتفه الخلوي. يتوقف جانبًا ويرد على حماته. يقول إنه لا يمكنه أن يتحدث، إذ يقود السيارة. تتحدث بصوتٍ خفيض همسًا. تقول له إن حالة ثيثيليا أفضل، لكنها تحتاج إلى مزيد من الوقت وإنها لا تزال عاجزة عن العودة. لا يُجيبها، فتُنهي حماته المكالمة.

تقبض المدبغة صدره بسبب رائحة ماء الصرف الملآن بالشعر والتراب والزيت والدم والبقايا والدهون والكيماويات؛ وأيضًا بسبب السيد أورامي.

يُجبره المشهد المقفر على التذكر وطرح السؤال ذاته مرة ثانية: لماذا يستمر في هذه الصنعة؟ لقد عمل عامًا واحدًا فحسب في «مجزر شجرة السرو» بعد أن أنهى المدرسة، ثم قرَّرَ التخصص في الطبِّ البيطري وسط سعادة أبيه ومباركته، لكن الفيروس الحيواني ظهر بعدئذٍ بمدة قليلة. عاد إلى البيت لأن أباه قد جُنَّ جنونه.

شخَّصَ الأطباء إصابته بذهان الشيخوخة، لكنه يُدرك أن أباه لم يتحمل «الانتقال». عانى الكثيرون إحباطًا حادًّا واستسلموا للموت، وانفصل غيرهم عن الواقع، فيما قرَّرَ آخرون ببساطة أن يقتلوا أنفسهم.

يرى لافتة كُتب عليها «مدبغة هيفو. 3 كم». السيد أورامي، صاحب المدبغة، ياباني. يزدري العالم كله عمومًا ويعشق الجلد خاصَّةً.

بينما يقود السيارة على الطريق المهجور، يهز رأسه ببطء يمينًا ويسارًا لأنه يريد ألَّا يتذكَّر، ومع ذلك يتذكَّر. يتذكَّر أباه وهو يتحدث عن الكُتب التي تراقبه ليلًا، وأباه وهو يتَّهم الجيران بأنهم قتلة مأجورون، وأباه وهو يرقُص مع زوجته الميتة، وأباه وهو تائه في الحقل بلباسه الداخلي ويُغني النشيد الوطني أمام شجرة، وأباه وهو مودع في دار الرعاية. يتذكَّر بيع المجزر لسداد الديون وتفادي خسارة البيت. يتذكَّر نظرة أبيه التي لا تزال تائهة حتى الآن حين يزوره.

يدخل المدبغة ويشعر بضربة في صدره. إنها رائحة الكيماويات التي تُوقِف عملية تحلُّل الجلد. إنها رائحة خانِقة. يعمل الجميع في صمتٍ تام. للوهلة الأولى يبدو صمتًا مُتساميًا، كصمت الـ«زِن»[1]، لكن السبب هو السيد أورامي، الذي يراقب كلَّ شيءٍ من مكتبه العُلوي. لا يرتبط الأمر فقط بأنه ينظر من الأعلى ويرصد ما يفعله عُماله، وإنما بأن لديه كاميرات موزعة في كل مكان.

يصعد إلى المكتب. ليس عليه أن ينتظر. مع ذلك، تستقبله سكرتيرتان يابانيتان تُقدِّمان إليه شايًا أحمر داخل قدحٍ شفاف من دون أن تُوجِّها أيَّ أسئلة إليه. لا ينظر السيد أورامي للناس، بل يقيسهم وهو مبتسم دائمًا. يشعر بأنه في الواقع يجري حساباته ليعرف كم مترًا صافيًا من الجلد يمكنه أن يتحصل عليه، لو ذبحه وسلخه، وجرَّده من لحمه.

---

(1) إحدى مدارس البوذية. (المترجم).

المكتب بسيط وأنيق، لكن تظهر فوق أحد جدرانه نسخة رخيصة من لوحة «الحساب الأخير» لمايكل أنجيلو. رآها قبلئذٍ عِدَّة مرات، لكنه لم يلاحظ قبل هذه المرة قطُّ أنَّ إحدى شخصياتها تُمسك جلدًا مسلوخًا. يراقبه السيد أورامي وينظر إلى وجهه المُرتبك، ويُخمِّن أفكاره. يقول له إنه شهيدٌ اسمه القديس برثولماوس، وإنه مات مسلوخًا، وإن هذه جزئية شائقة في اللوحة.

يتحدَّث السيد أورامي. يسرد ما يسرده كأنه يكشف مجموعة من الحقائق اللانهائية أمام جمهورٍ غفير. تلمع شفتاه بأثر لُعابِه. تبدوان كشفتَيْ سمكة أو علجوم. فيهما شيء من الرطوبة والتعرُّج. السيد أورامي فيه شيء من ثعبان البحر. يقتصر ما يفعله على النظر إليه في صمت، فجوهر خطابه في نهاية المطاف لا يختلف عن كل زيارة. يفكِّر في أن السيد أورامي يحتاج إلى إعادة تأكيد الواقع عبر الكلمات، كأنَّ هذه الكلمات تخلق وتدعم العالم الذي يعيش فيه. يتخيَّل هذا الأمر في صمت، وتبدأ جدران المكتب ببطء في الاختفاء، وأرضيته في الذوبان، فيما تغطس السكرتيرتان اليابانيتان وسط الهواء وتتبخران. يرى كل هذا لأنه ما يتمناه، لكنه لن يحدث أبدًا، فالسيد أورامي يتحدَّث عن الأرقام وعن الكيماويات الجديدة والصبغات التي يُجرِّبها. يشرح له -وكأنَّ الآخر لا يعرف- مدى صعوبة التعامُل هذا المنتج، ويقول إنه مع يشتاق إلى جلود الأبقار. مع ذلك، يؤكد له أن جلد البشر هو الأنعم من بين كل الجلود الطبيعية لأن حُبيباته هي الأصغر. يرفع سماعة الهاتف ويقول شيئًا ما باليابانية. تدخل إحدى السكرتيرات ومعها حافظة ضخمة. تفتحها وتُظهر أنواعًا مختلفة من الجلود. يلمسها كأنها أغراض شعائرية. يشرح له كيفية تلافي العيوب الناجمة عن الجروح التي تتعرض لها الطلبيات في أثناء النقل، ويوضح له أن هذا الجلد أرقّ. ينظر إلى الحافظة. إنها أول مرة يُظهرها له. يُقربها السيد أورامي منه، لكنه لا يلمسها. يشير السيد أورامي بإصبعه إلى قطعة جلدٍ شاهقة البيضاء وعليها علامات. يقول له إنها أغلى أنواع الجلود، لكنه اضطر إلى استبعاد نسبة كبيرة منها بسبب الجراح العميقة. يُكرِّر على مسامعه مسألة أن الجراح السطحية فقط يُمكن إخفاؤها. يقول له إنه جهز هذه الحافظة مخصوصًا له، كي يُظهرها للعاملين في المَجزر والحظائر كي يعلموا بوضوحٍ أي نوع من الجلود يتحتم عليهم توخي مزيد من الحذر في التعامل معه. ينهض ويُخرج

ورقة مطبوعة من أحد الأدراج.

يناولها له ويقول إنه أرسل بالفعل تصميمًا جديدًا، لكن ثمَّة حاجة إلى إسباغه بالكامل، نظرًا لأهمية القطع الذي يسبق السلخ، فالقطع السيئ يعني ضياع أمتار من الجلود. لهذا لا بُدَّ أن يكون قطعًا مُتجانِسًا. يرفع السيد أورامي سماعة هاتفه مرة ثانية. تدخل سكرتيرة ومعها إبريق شفاف. يُومئ فتصبُّ السكرتيرة مزيدًا من الشاي. لا يريد أن يشرب، ومع ذلك يشرب. كلمات السيد أورامي محسوبة ومتناسقة. تبني عالمًا صغيرًا، تحت السيطرة، لكنه ملآن بالشروخ، لهذا فهو عالم من الممكن أن تكسره كلمة واحدة غير مناسبة. يتحدَّث عن الأهمية الجوهرية لآلة السلخ لأنها قد تُمزِّق الجلد إن لم تُضبط بشكل صحيح؛ وعن أن الجلد الطازج الذي يرسلونه إليه من المجزر يحتاج إلى تبريد أكثر لتسهيل إزالة بقايا اللحم منه لاحقًا؛ وعن ضرورة ترطيب الطلبيات جيِّدًا لِكَيْلا يغدو جلدها ناشفًا ولِكَيْلا يتشقَّق، وبالمثل عن ضرورة توجيه مسؤولي الحظيرة لأنهم لا يحترمون النظام الغذائي القائم على السوائل، وعن ضرورة إخبارهم بتحري الدِّقة في عملية إفقاد الوعي، لأن الإهمال في خطوات الذبح، ينعكس على الجلد، إذ يتصلَّب ويُصبح التعامل معه صعبًا لأن كل شيء، كما يُشدِّد السيد أورامي: «ينعكس على الجلد: أكبر أعضاء الجسد». يقول هذه العبارة بإسبانية مُبالغ في نُطقها من دون أن يتوقَّف عن الابتسام. بهذه العبارة، يختتم خطابه الذي أعقبه بِصَمتٍ مدروس.

يعلم هو أنه لا يجب عليه أن يتحدَّث، وإنما أن يُومِئَ برأسه فحسب، لكن ثمة كلمات تضربه في مُخه، فتتراكم وتؤذيه. يتمنى لو أن بإمكانه أن يقول كلمات مثل «وحشية»، و«قسوة»، و«إفراط»، و«سادِيَّة». يتمنى أن تُمزِّق هذه الكلمات ابتسامة السيد أورامي وأن تخترق صمته المحسوب، وأن تُفسِد هذا الهواء إلى أن تخنقهما هما الاثنين معًا.

لكنه يُطبق فمه ويبتسم.

لا يرافقه السيد أورامي أبدًا نحو المخرج، لكنه في هذه المرة ينزل معه. قبل أن يخرج.

يتوقَّفان إلى جوار خزان التبييض. يُراقب السيد أورامي عاملًا يضع في الخزان جلودًا لا تزال فيها بقايا من الشعر. يُفكِّر هو في أنها تأتي من إحدى الحظائر، لأنهم لا يُسلِّمون جلود المجزر إلا بعد إزالة شعرها بالكامل. تصدر إشارة من السيد أورامي، فيظهر المدير ويبدأ في الصراخ في وجه عامل يُزيل بقايا اللحم من قطعة جلد طازجة. يبدو أنه يؤدي عمله بشكل سيئ. يحاول المدير أن يشرح للسيد أورامي أن أسطوانة آلة إزالة اللحم من الجلد قد انكسرت وأن العمال ليسوا مُعتادين على أداء العملية يدوِيًّا، لتبرير انعدام كفاءة العامل الواضحة. يُقاطعه السيد أورامي بإشارة أخرى، فينحني المدير ويرحل.

يسيران بعدئذٍ نحو أسطوانة الدبغ الدَّوارة. يتوقَّف السيد أورامي ويقول له إنه يريد جلودًا سوداء. هذا كل ما قاله فحسب، من دون أي تفسيرات. يكذب هو عليه ويُجيبه بأن ثمة طلبية ستصل قريبًا. يُومئ السيد أورامي برأسه ويُحييه.

كلما خرج من المَبنى، شعر بحاجة إلى الوقوف وتدخين سيجارة. يقترب منه أحد العمال في كل مرة ويحكي له أمورًا مُتوحِّشة عن السيد أورامي. تقول الشائعات إنه كان يقتل الناس ويسلخهم قبل «الانتقال»، وإن جدران بيته مغطاة بجلود بشرية، وإن لديه أشخاصًا يحبسهم، وإنه يستمتع بصورة هائلة بسلخهم أحياء. لا يفهم لماذا يحكي له العمال أمورًا مثل هذه. كل شيءٍ ممكن. هكذا يفكِّر، لكن ثمَّة يقينًا واحدًا لديه: يُدير السيد أورامي عمله بنظام حكم قائم على الرعب، وينجح في هذا.

يغادر المدبغة ويشعر بانفراج صدره. يتساءل مرَّةً ثانية لماذا يُعرِّض نفسه إلى كل هذه الأمور. لا تتغيَّر الإجابة أبدًا. يعرف لماذا يمارس هذا العمل: لأنه الأفضل ولأنهم يدفعون له على هذا الأساس؛ ولأنه لا يُجيد شيئًا آخر؛ ولأن صحة أبيه تعتمد على كل هذا.

قد يتحتَّم على المرء أحيانًا أن يحمل ثقل العالم فوق كاهليه.

3

يعملون مع عِدَّة حظائر. مع ذلك، لا يُدرج في «دورة تصنيع اللحوم» إلا من يمدونه بأكبر كمية من الرؤوس. عملوا قبلئذٍ مع حظيرة «جيريرو إيراولا»، لكن جودة المنتج تراجعت، إذ تضمنت بعض الطلبيات التي أرسلوها رؤوسًا عنيفة. كلما زاد عُنف الرؤوس، صعبت عملية إفقادها الوعي. سبق أن زار حظيرة «تود فولديليج»، حين تَحتَّم عليه الاتفاق على العملية الأولى، لكن هذه أوَّل مرة يزورها في «جولة اللحم».

يتصل بدار رعاية أبيه قبل أن يدخل. تُجيبه نيليدا، وهي امرأة نهجها المُغالاة في شغف الاضطلاع بمسؤوليات لا تهمها فعلًا. يبدو صوتها مشحونًا. يُلاحِظ أنه يُخفي بين ثناياه إرهاقًا ينخرها ويستنزفها. تقول له إن أباه بخير. تدعو أباه دون أرماندو. يقول لها إنه سيأتي لزيارته قريبًا، وإنه حوَّلَ لها بالفعل مستحقات الشهر الجاري. تقول له نيليدا: «عزيزي، لا تقلق يا عزيزي. دون أرماندو مُستقر. حسنًا، مع أموره الصغيرة التي نعرفها، لكنه مُستقر».

يسألها ما إذا كانت تقصد بـ«الأمور الصغيرة» نَوباته، فتقول له ألَّا يقلق، وإنها كلها

أشياء يُمكِن التعامل معها.

يُنهي المكالمة ويبقى داخل السيارة دقيقةً. يبحث عن هاتف أخته. يوشك على الاتصال بها، لكنه يتراجع.

يدخل الحظيرة. يقول له صاحبها، «إل جرينجو» أن يعذره، فقد جاء ألماني يريد شراء طلبية كبيرة، وعليه أن يصحبه في جولة في الحظيرة ليشرح له الأمر لأنه لا يفهم شيئًا ومُستجد في هذه التجارة. لقد جاء فجأة ولم يحظ بوقت كافٍ لإبلاغه. يُجيبه بأنه لا توجد مشكلة، وأنه سيرافقهما.

«إل جرينجو» أرعن، إذ يسير كأنَّ الهواء المحيط به ثخين جدًّا. لا يدرك أيضًا مدى ضخامة جسده، فيصطدم بالأشخاص والأغراض، ويتعرَّق كثيرًا.

حين تعرَّفَ إليه، فكَّر في أن العمل مع هذه الحظيرة خطأ، لكن «إل جرينجو» فعَّال وأحد القلائل الذين حلوا مشكلات متنوعة مرتبطة بالطلبيات. يتمتَّع هذا الرجل بذكاء لا يحتاج إلى أي شحذ.

يُقدِّمه «إل جرينجو» إلى الألماني. اسمه إيجمونت شري. يصافحان بعضهما. لا ينظر إيجمونت إلى عينيه. يرتدي بنطلونًا من الجينز يبدو كأنه قد اشتراه للتو وقميصًا نظيفًا جدًّا وينتعل حذاءً رياضِيًّا أبيض. يبدو إيجمونت كأنه لا ينتمي إلى هذا المكان بقميصه المكوي وشعره الأشقر الملتصق بجمجمته، لكنه يعرف كل هذا. لا ينطق أي كلمة لأنه يعرف الأمر، ولأن هذه الملابس التي لن يستخدمها إلَّا أجنبيٌّ لم تطأ قدمه الريف قطُّ ستُساعده في إرساء المسافة الدقيقة التي يتطلبها إبرام الصفقة.

يُخرِج «إل جرينجو» جهاز الترجمة الآلية. يعرف هو هذه الأجهزة، لكنه لم يحتج قط إلى استخدام أيٍّ منها. لم يتمكَّن من السفر قطُّ. يُدرك أن طراز الجهاز قديم ويتضمن ثلاث أو أربع لغات فحسب. يتحدَّث «إل جرينجو» مع الجهاز الذي يُترجم تلقائيًّا كل شيء للألماني. يقول له إنه سيأخذه في جولة في الحظيرة، وإن البداية

ستكون عند «فحل التخصيب». يُومئ إيجمونت برأسه. لا يُظهر يديه، إذ يُبقيهما وراء ظهره.

يسيرون عبر ممرات تضمُّ أقفاصًا مغطاة. يشرح «إل جرينجو» لإيجمونت أن الحظيرة عبارة عن مخزنٍ حيٍّ للحوم. يرفع ذراعيه كأنه قد منحه كلمة السر في هذه التجارة. يبدو على الألماني أنه لا يفهم. يتخلَّى «إل جرينجو» عن التعريفات الطنانة ويبدأ في شرح الأمور الأساسية، مثل أنه يُبقي الرؤوس منفصلة، وكلٌّ منها في قفصه لتجنُّب أي نوبات عُنف، ولتفادي إقدامها على إيذاء أو قتل بعضها. يُترجم الجهاز ما قاله بصوتٍ أنثوي آلي فيُومئ إيجمونت برأسه.

بالنسبة إليه، يعجز عن التوقُّف عن التفكير في المفارقة: اللحم يأكل اللحم!

يفتح قفص الفحل. ثمة قش على الأرض. يبدو طازجًا. أيضًا، هنالك سلَّتان معدنيتان مربوطتان بالقضبان. إحداهما ملأى بالماء، والأخرى -وهي فارغة الآن- مُخصَّصة للأكل. يتحدث «إل جرينجو» مع الجهاز. يشرح أنه ربّى «فحل التخصيب» هذا منذ كان صغيرًا. يقول إنه من «الجيل الأول النقي». ينظر الألماني إليه بفضول. يُخرِج جهازه. إنه من طراز جديد. يسأل عن معنى «الجيل الأول النقي». يشرح له «إل جرينجو» أن «الجيل الأول النقي» أو الـ«ج.أ.ن.» هي الرؤوس التي وُلدت وتربّت في الأسر، من دون أن تتعرَّض إلى أيِّ تعديلات جينية أو حقن لتسريع النمو. يبدو أن الألماني فهم، إذ لا تصدر منه أي تعليقات أخرى. يستأنف «إل جرينجو» حديثه. يبدو أنه يهمه بصورة أكبر. يشرح له أن الفحول تُباع بناءً على جودتها الجينية. صحيح أنه يدعوه «فحل تخصيب»، لكن تقنيًّا هذه ليست وظيفته، وإنما امتطاء الإناث فحسب. يدعوه أو يُسميه هكذا لأنه يرصد الإناث المستعدات للتخصيب. بالنسبة إلى بقية الفحول فوظيفتها هي أن تملأ بسائلها المنوي عبوات تُجمع لاحقًا من أجل التخصيب الصناعي.

يُترجم الجهاز كل ما قاله.

يريد إيجمونت أن يدخل القفص، لكنه يتوقَّف في النهاية. يتحرَّك الفحل. ينظر إليه، فيتراجع الألماني خطوةً إلى الوراء. لا ينتبه «إل جرينجو» إلى انزعاج الألماني. يمضي في حديثه. يقول إنه يشتري الفحول بناءً على نِسب التحول الغذائي، وجودة بنيتها العضلية، ثم يوضِّح مرة ثانية أن هذا الفحل الذي يفتخر به لم يشترِه، بل ربَّاه. يشرح أن التخصيب الصناعي لا غنى عنه لتفادي الأمراض، وأيضًا لأنه يُتيح إنتاج دُفعات أكثر تجانُسًا لمصانع اللحوم، ضمن فوائد أخرى. يغمز «إل جرينجو» بعينه للألماني ويُنهي حديثه: تستحق المسألة الاستثمار بشرط أن يمتلك المرء أكثر من مئة رأس، إذ إن الصيانة والعمالة المتخصصة باهظة. يتحدَّث الألماني في الجهاز ويسأل عن فائدة «فحل التخصيب» في هذه الحالة، فهؤلاء بشرٌ وليسوا خنازير أو أحصنة، وبالمثل عن سبب امتطائه للإناث، فهذا أمر مُنافٍ للصحة ولا لزوم له. صوت جهازه رجولي وطبيعي بشكل أكبر. يضحك «إل جرينجو» منزعجًا. ما من أحد يدعوهم بشرًا. ليس هنا. ليس في مكان يُحظر فيه هذا. يُجيبه: «لا. بالطبع.

ليسوا خنازير، فعلى الرغم من أنهم متشابهون جدًّا معها من الناحية الجينية، فإنهم لا يحملون الفيروس». يسود الصمت. ينكسر صوت الجهاز. يتفقَّده «إل جرينجو» يضربه قليلًا، فيعمل. «يتحلى هذا الذكر بقُدرة رصْد حالات الشبق الخفية للإناث ويتركهن في حالة مثالية لي. ندرك حين يمتطيهن أنهن في أفضل حالة للتخصيب. قُطعت قناته المنويّة لِكَيْلا يتركهن حبليات، ولأن ثمة ضرورة للرقابة الجينية. أيضًا، يخضع الفحل لفحوصات مستمرة. إنه نظيف ومُلقح».

يرى كيف يمتلئ المكان بكلمات «إل جرينجو». إنها كلمات خفيفة، ومن دون ثقل. إنها كلمات تتمازج مع نظيرتها الأخرى غير المفهومة؛ مع الكلمات الآلية التي ينطقها صوت صناعي؛ ذلك الصوت الذي لا يعرف أن كل هذا قد يتراكم فوقه إلى حدِّ الاختناق.

ينظر الألماني إلى الفحل في صمت. تبدو نظرته كأنَّ فيها شيئًا من الحسد أو الإعجاب. يضحك ويقول: «يا لها من حياة جيِّدة يعيشها!». يترجم الجهاز ما قاله، فينظر «إل

جرينجو» إليه مُندهشًا. يضحك لإخفاء مزيج الغضب والاشمئزاز الذي يشعر به. يرى هو كيف تنبثق الأسئلة وتتكدَّس في مخ «إل جرينجو»: كيف يُقارن الألماني نفسه برأس ماشية؟ كيف له أن يتمنى أن يصبح مجرد حيوان؟ يقول «إل جرينجو» بعد صمتٍ مزعج وطويل: «أجله قصير، وحين تنعدم فائدته، سيُرسل هو الآخر إلى المَجزر».

يواصل «إل جرينجو» حديثه بتوتر، كأنه الشيء الوحيد الذي يعرفه. ينظر هو إلى الكيفية التي تنزلق بها قطرات العرق فوق جبهته لتتوقف عند ندبات خديه. يسأل إيجمونت ما إذا كانت الرؤوس تتحدَّث. يقول إن هذا الصمت يلفت انتباهه كثيرًا. يُجيبه «إل جرينجو» بأن الرؤوس تُعزل منذ الصغر في حضانات، ومن بعدها في أقفاص، وأنها تخضع لاستئصال الأحبال الصوتية، وهكذا تغدو السيطرة عليها أسهل. لا يريد أحد منها أن تتحدَّث لأن اللحم لا يتحدَّث. بالنسبة إلى التواصل، فهي تتواصل، لكن بلغة بدائية. يُعرف أيضًا أنها تعاني من البرد والحر وتلك الأمور الأساسية.

يفرك الفحل خصيته. تظهر على جبهته علامة مختومة بالحديد الساخن لحرفي تاء وفاء متصلين. يقف عاريًا، مثل بقية الرؤوس الأخرى في كل الحظائر. نظرته مضطربة، كأنَّ الجنون يكمن وراء استحالة نطقه للكلمات.

يقول «إل جرينجو» بنبرة مُنتصرة: «سأقدمه العام المُقبل في "الجمعية الزراعية"»، ثم يضحك بصوتٍ يشبه جرذًا يخدش حائطًا. ينظر إليه إيجمونت وهو عاجز عن الفهم، فيشرح له «إل جرينجو» أن «الجمعية الزراعية» تُقدِّم جوائز لأفضل الرؤوس، وأنقى الأعراق.

يسيرون بين الأقفاص. يُقدر عدد الرؤوس الموجودة في هذا المستودع بأكثر من مائتي رأس، مع العلم بأن هذا ليس المستودع الوحيد. يقترب «إل جرينجو» منه ويضع يده على كتفه. يده ثقيلة. يشعر بحرارتها وبتعرُّق هذه اليد التي تبدأ في ترك رطوبتها فوق قميصه. يقول له «إل جرينجو» بصوتٍ خفيض:

- اسمعني يا تيخو، سأرسل لك الطلبية الجديدة الأسبوع المقبل. لحم درجة أولى، للتصدير، مع بعض رؤوس «الجيل الأول النقي».

يشعر بتنفُّسه المُتقطِّع قُرب أذنه.

- أرسلت لنا الشهر الماضي طلبية تضمَّنت مريضين. لم تسمح لنا هيئة الغذاء بالتعبئة. ألقيناهما إلى «الرمامين». كريج أرسلني كي أخبرك أنه سيتعامل مع حظيرة أخرى إن تكرَّرَ الأمر.

يُومئ «إل جرينجو».

- دعني أُنهي الأمور مع الألماني وسنتحدث عن المسألة جيِّدًا.

يرافقهما «إل جرينجو» إلى المكتب. يُفكِّر هو: «هنا لا وجود لسكرتيرات يابانيات أو شاي أحمر». المساحة صغيرة والجدران مصنوعة من الأوراق الليفية. يناوله منشورًا دعائِيًّا. يقول له أن يقرأه. يشرح لإيجمونت أنه يُصَدِّر دماء طلبية مميزة من الإناث الحُبليات. يوضح أن هذه الدماء لها خصائص مميزة. حين يقرأ الأحرف الحمراء الكبيرة في المنشور يجدها تقول إن العملية تُقلِّل عدد الساعات اللاإنتاجية للبضاعة إلى النصف.

يُفكِّر: «البضاعة. إنها كلمة أخرى تزيد من عتمة العالم».

يمضي «إل جرينجو» في حديثه. يقول إن استخدامات دم الحُبليات لا نهائية، وإنها لم تُستغل قبلئذٍ لأنها لم تَكُن قانونية، وإنه يحصل على أموالٍ طائلة من بيعها بسعر باهظ لأنَّ تعرُّض الحُبليات اللاتي يُشفط دماؤهن للإجهاض وفقر الدم أمر محتوم. يُترجم الجهاز. تسقط الكلمات فوق الطاولة بثقل مُحير. يقول «إل جرينجو» لإيجمونت إن هذه هي التجارة التي تستحق عناء الاستثمار.

لا يصدر منه رد. لا يصدر رد من الألماني أيضًا. يُنشِّف «إل جرينجو» جبهته بكُم

قميصه ويخرجون من المكتب.

يمرُّون عبر منطقة الحلَّابات. ثمة ماكينات تشفط الحليب من «ضروع» الإناث، كما يسميها «إل جرينجو». يقول لجهاز الترجمة: «الحليب الذي يخرج من هذه الضروع درجة أولى». يُقدِّم لهما كوبًا ويضيف: «طازج ومحلوب للتو». يتذوَّقه إيجمونت، فيما يشيح هو برأسه رافضًا.

يحكي لهما إن هؤلاء الإناث متقلبات، ولهذا فحياتهن النافعة قصيرة، إذ يتوترن سريعًا، وحين تنعدم فائدتهن، يصبحن لحمًا لا بُدَّ من إرساله إلى مصنع الأطعمة السريعة لزيادة الربح قليلًا. يُومئ الألماني برأسه ويقول: «sehr schmackhaft»، فيُترجم الجهاز «لذيذ جدًّا».

بينما يسيرون نحو المَخرج، يمرُّون عبر مستودع الحُبليات. بعضهن في الأقفاص والبعض الآخر يرقدن فوق طاولات، من دون أذرع أو سيقان.

يُشيح ببصره. يعرف أن حظائر كثيرة تلجأ إلى هذا الإجراء لإعاقة من يقتلن الأجنة بضرب بطونهن في القضبان أو بالتوقُّف عن أكل الطعام أو بفعل أي شيء لِكَيْلا يولد الطفل ويموت في المجزر. يُفكِّر: «وكأنهن يعرفن ما سيحدث».

يُسارع «إل جرينجو» خطاه ويشرح أمورًا لإيجمونت، الذي يعجز عن رؤية الحُبليات الراقدات فوق الطاولات.

تضمُّ الصالة التالية حضَّانات الأطفال. يقف الألماني لرؤية الأجهزة ويلتقط صورًا.

يقترب «إل جرينجو» منه. يشعر هو بالرائحة اللزجة لهذا الجسد الذي ينضح شيئًا مريضًا.

- يُقلقني ما قلته لي بخصوص هيئة الغذاء. سأتصل غدًا بالإخصائيين كي يفحصوا الرؤوس. إن استدعت الحاجة لاستبعاد أحدها، فاتصل بي وسنخصمه.

يُفكِّر: لقد درس الإخصائيُّون الطب، لكن حين تتعلَّق وظيفتهم بفحص طلبيات الرؤوس في الحظائر، لا يدعوهم أحد بالأطباء.

- ثمة شيء آخر يا «جرينجو». توقَّف عن التوفير في مسألة شاحنات النقل، ففي آخر مرَّة وصلني اثنان شِبه ميتَيْن.

يومئ «إل جرينجو» برأسه موافقًا.

- لا يتوقع أحد أن يُنقلوا وهم جالسون في مقاعد درجة أولى، لكن لا تُكدِّسهم كأنهم شوالات طَحين لأنهم يفقدون وعيهم ويضربون رؤوسهم، وإن ماتوا، فمن الذي سيدفع؟ أيضًا يتسبَّب هذا الأمر في إصابتهم وبعد ذلك تدفع المدابغ أموالًا أقل مقابل جلودهم. كذلك، المدير لا يروقه كل هذا.

يُسلمه حافظة السيد أورامي.

- توخوا الحذر مع الجلود البيضاء تحديدًا. سأترك لك حافظة العينات مدَّة أسبوعين كي تنتبه جيِّدًا إلى قيمة كل عيِّنة وتُقدِّم معاملة خاصة إلى أصحاب الجلود الأغلى.

يتضرَّج وجه «إل جرينجو» بالحُمرة.

- سأنتبه. لن يحدث الأمر مُجدَّدًا. تعطلت إحدى شاحناتي وكدستهم فعلًا للوفاء بالتزاماتي.

يسيرون عبر مُستودع آخر. يفتح «إل جرينجو» أحد الأقفاص. يُخرج منه أنثى رُبِطت رقبتها بحبل.

يفتح فمها. يبدو أنها تشعر بالبرد، إذ ترتعش.

- انظر إلى هذه الأسنان. إنها سليمة تمامًا.

يرفع ذراعيها ويفتح ساقيها. يقترب إيجمونت لينظر إليها. يتحدَّث «إل جرينجو» إلى الآلة:

- لا بدَّ من الاستثمار في اللقاحات والعلاجات لإبقائهم أصحاء. نستعمل الكثير من المضادات الحيوية. كل رؤوسي أوراقها سليمة وسارية.

ينظر إليها الألماني بتركيز. يدور حولها وينحني وينظر إلى قدميها ويفتح أصابعها. يتحدَّث إلى جهازه الذي يُترجم:

- هل هي من الجيل المُنقَّى؟

يكبح «إل جرينجو» ابتسامته.

- لا. هذه ليست من الجيل النقي، بل مُعدَّلة جينِيًّا كي تنمو بصورة أسرع بكثير، وهي مسألة تتطلب غذاءً خاصًّا وبعض الحقن.

- لكن، هل يتغيَّر طعمها؟

- هؤلاء شهيات جدًّا. بالطبع لحم الجيل الأول النقي أعلى في الجودة، لكن جودة هؤلاء ممتازة أيضًا.

يُخرِج «إل جرينجو» جهازًا يبدو مثل الأسطوانة. يعرف هذه الأجهزة. يستخدمونها في المَجزر. يضع طرفه فوق ذراع الأنثى. يضغط زرًّا، فتفتح الأنثى فمها مُتألِّمةً. يظهر جرح مليمتري على ذراعها، لكنه يُدمي. يشير «إل جرينجو» إلى أحد العمال كي يأتي لعلاجها.

يفتح الأسطوانة. داخلها قطعة من لحم ذراع الأنثى. إنها قطعة مسطحة، صغيرة جدًّا، لا يتعدَّى حجمها نصف إصبع. يناولها للألماني ويقول له أن يذوقها. يتردَّد الألماني، لكنه بعد بضع ثوانٍ يُجربها ويبتسم.

يقول «إل جرينجو»، فيُترجم الجهاز:

- لذيذة جدًّا، أليس كذلك؟ علاوة على ذلك، إنها كتلة صلبة من البروتينات.

يُومئ الألماني برأسه.

يقترب «إل جرينجو» منه ويقول بصوتٍ منخفض:

- إنه لحم درجة أولى يا تيخو.

- أن ترسل لي رأسًا لحمه قاسٍ، فهذه مسألة يُمكنني التستُّر عليها أمام المدير لأنه يعرف أن مُفقدي الوعي قد يُخطِئون في ضربتهم[1]، لكن لا مجال للمزاح مع هيئة الغذاء.

- أجل، بالطبع.

اعتادوا أن يقبلوا الرِّشَى، حينما تعلَّقَ الأمر بالخنازير والأبقار، أما الآن فلا. انسَ! صار الكلُّ مُرتابًا بسبب مسألة الفيروس. هل تفهمني؟ يرفعون شكوى ضدك ويغلقون مجزرك.

يُومئ «إل جرينجو» برأسه. يجذب الحبل ويضع الأنثى في القفص. تفقد الأنثى اتِّزانها وتسقط فوق القش.

تفوح رائحة الشواء. يذهبون إلى استراحة عُمال الحظيرة. يشوون ضلوعًا على صليب خشبي. يشرح «إل جرينجو» لإيجمونت أنهم بدؤوا يجهزون الضلوع منذ الثامنة صباحًا «كي يذوب اللحم في الفم»، والأهم من كل هذا أنهم سيأكلون طفلًا. «إنه أطرى لحم على وجه الأرض، وقليل لأن وزن الطفل ليس مثل العجل». «نحن

(1) مع تقدُّم القارئ في الرواية سيعرف المقصود بـ«مُفقدي الوعي». (المترجم).

نحتفل بولادة ابن أحد العمال. هل تريدان شطيرة؟». يُومئ الألماني برأسه. بالنسبة إليه، يرفض. ينظر إليه الكلُّ باندهاش. ما من أحد يرفض هذا اللحم، إذ إن تناوله قد يُكَلِّف المرء راتب شهر كامل. لا تصدر من «إل جرينجو» أيّ كلمة لأنه يعرف أن مبيعاته تعتمد على كمية الرؤوس التي سيُقرِّر شراءها. يقطع أحد عمال الحظيرة جزءًا من لحم الطفل ويجهز شطيرتين. يُضيف إلى اللحم صلصة حريفة، لونها أحمر مائل إلى البرتقالي.

يصلون إلى مستودع أصغر. يفتح «إل جرينجو» قفصًا آخر. يُشير إليهما كي ينظرا. يقول للجهاز: «بدأتُ في تسمين بعض الرؤوس. أُغذيها بما يفوق حاجتها، ثم أبيعها بعدئذٍ إلى مصنع مُتخصِّص في التعامل مع الدهون. يصنعون منها كل شيء، حتى البسكويت الجورميه».

يبتعد الألماني قليلًا لتذوُّق شطيرته. يفعلها وهو منحنٍ. لا يريد أن تتلطَّخ ملابسه. تسقط الصلصة بالقرب من حذائه. يقترب منه «إل جرينجو» ليناوله منديلًا، لكن إيجمونت يُشير ليخبره أنه ليس في حاجة إليه، وأن الشطيرة شهية. يظل واقفًا وهو يأكل.

- «جرينجو».. أحتاج إلى جلد أسود.

- أنا حاليًّا في خضم إجراءات جلب طلبية من إفريقيا. لستَ أول شخص يطلب المسألة مني.

- سأؤكد معك عدد الرؤوس في وقتٍ لاحق.

- يبدو أن مُصمِّمًا شهيرًا قد قدَّمَ مجموعة جديدة بالجلد الأسود، وأنها أيضًا ستكون رائجة جدًّا بحلول الشتاء المقبل.

يودُّ أن يرحل. يحتاج إلى التوقُّف عن الإنصات إلى صوت «إل جرينجو» يحتاج إلى التوقُّف عن رؤية الكلمات وهي تتراكم في الهواء.

يجتازون مستودعًا أبيض جديدًا لم يره حين دخل. يشير «إل جرينجو» إليه ويقول للجهاز إنه يستثمر في تجارة أخرى، وإنه سيُربّي بعضًا من الرؤوس من أجل زراعة الأعضاء. يقترب إيجمونت مهتمًّا. يأخذ «إل جرينجو» قضمة من شطيرته ويشرح وفمه ملآن: «صدَّقوا على القانون أخيرًا. أحتاج فقط إلى تصاريح وإنهاء بعض الأمور الرقابية، لكن المسألة مُربحة جدًّا. إنها تجارة أخرى ليستثمر المرء فيها».

يُلقي الوداع أخيرًا. ليس مهتمًّا بسماع المزيد. يوشك الألماني على مدِّ يده لتحيته، لكنه يتراجع حين يرى يده مُلطخة بالزيت. يعتذر بإيماءة ويُتمتم قائلًا: «Entschuldigung»، لكن الجهاز لا يُترجم.

من عند زاوية فمه، تبدأ الصلصة المائلة إلى البرتقالي في التنقيط فوق حذائه الرياضي الأبيض.

4

ينهض مُبكِّرًا لأنه يتحتَّم عليه الذهاب إلى محلات الجزارة. لا تزال زوجته في بيت أمها.

يدخل غرفة خاوية. يوجد مهد فحسب في منتصفها. يلمس خشب المهد الأبيض. ثمة دب وبطة متعانقان مرسومان على رأس المهد. تحوطهما سناجب وفراشات وأشجار وشمس مبتسمة. لا وجود للسحب أو البشر. كان هذا مهده ومهد ابنه. توقفوا عن بيع أيّ مُنتجات تظهر عليها صور حيوانات لطيفة وبريئة. حلَّت محلَّها رسوم لقوارب وزهور صغيرة وعرَّابات جنيات وأقزام من عالم الخرافات. يعرف أنه يتحتَّم عليه إخراج المهد. يعرف أنه يتحتَّم عليه تدميره وإحراقه قبل عودة زوجته، لكنه لا يقدر.

بينما يتناول شراب المتَّة، يسمع بوق شاحنة عند مدخل بيته. ينظر من النافذة ويرى الأحرف الحمراء لكلمتَيْ «تود فولدليج».

بيته معزول نوعًا ما. يعيش أقرب جيرانه على بعد كيلومترين. إن أراد المرء الوصول إلى بيته فسيتحتَّم عليه اجتياز البوابة المُسيَّجة، التي حسب أنه تركها مُغلقة بالقفل، ثم اجتياز الطريق الذي تملؤه أشجار الكافور.

يندهش من أنه لم يسمع مُحرِّك الشاحنة أو يرى سحابة التراب. قبلئذٍ، امتلك كلابًا ركضت فور اقتراب السيارات ونبحت عليها. لقد خلَّفَ غياب الحيوانات صمتًا أصمَّ وجائرًا.

حين يسمع صوت البوق، يجفل ويفلت شراب المتَّة، فيحرق نفسه.

يصفق أحد ما وينادي اسمه.

- أهلًا. السيّد تيخو؟

- أهلًا. أجل بنفسه.

- أجلب لك هدية من «إل جرينجو». هلَّا وقَّعت لي هنا؟

يُوقِّع من دون أن يُفكِّر ما الذي يُوقِّع عليه أصلًا. يُسلمه الرجل مظروفًا وبعدئذٍ يتوجَّه إلى الشاحنة ويفتح الباب الخلفي، ثم يدخل ويجلب أنثى.

- ما هذا.

- أنثى من «الجيل الأول النقي».

- هلَّا أخذتها معك؟ الآن من فضلك.

يقف الرجل من دون أن يعرف ما يجب عليه فعله. ينظر إليه بحيرة. ما من أحد قادر على رفض هدية مثل هذه. إن باع المرء أنثى مثل هذه يمكنه أن يتحصَّل على ثروة

صغيرة. يشد الرجل الحبل الذي يُقيِّد الأنثى من عنقها لأنه لا يعرف ما يتحتم عليه فعله. تتحرَّك الأنثى بخنوع.

- لا يمكنني. لو أخذتها معي، فسيفصلني «إل جرينجو».

يضبط الحبل ويناوله طرفه الآخر. لا يتقدَّم هو لإمساكه. يُلقي الرجل الحبل على الأرض ويتراجع بضع خطوات، ثم يركب الشاحنة وينطلق.

5

- ما الذي أرسلته إليَّ يا «جرينجو»؟

- هدية.

- أنا أقتل الرؤوس. لا أُربيها. هل تفهم؟

- أبقِها عندك يومين، وبعدئذٍ لنحظَ بحفل شواء.

- ليس لدي وقت أو رغبة أو موارد لإبقائها عندي مدَّة يومين.

- سأرسل لك غدًا الفتية كي يذبحوها.

- لو أردت ذبحها، لفعلتُها بنفسي.

- لا توجد أدنى مشكلة. لو أردت بيعها، فقد أرسلت لك كل الأوراق. إنها في صحة جيدة وأخذت آخر التطعيمات. يمكنك أيضًا أن تُزوِّجها. إنها في سن التكاثر، لكن أهم

شيء أنها من «الجيل الأول النقي».

لا يُجيبه. يقول له «إل جرينجو» إن امتلاك أنثى مثلها ترفٌ في حد ذاته، ويكرِّر على مسامعه أن جيناتها نظيفة، وكأنه لا يعرف هذه المسألة. يوضِّح له أنها من ضمن طلبية نظامها الغذائي قائم منذ نحو عام على اللوز. «إنها طلبية من أجل عميل مُتطلب يريد مني لحومًا بخصائص معينة». يشرح له أنه يُربي رؤوسًا إضافية لهذا العميل تحسُّبًا لموت أي منها قبل الأوان. يُحيِّيه لكنه قبلئذٍ يقول له إنه عبر هذه الهدية يودُّ أن يُريه كيف يُقدِّر العمل مع «مجزر كريـج».

- أجل. شكرًا.

يُنهي المُكالمة بغضب، ويسبُّ داخل مخه «إل جرينجو» وهديته المُتملقة. يجلس وينظر إلى الساعة. لقد تأخر الوقت. يخرج ويحل وثاق الأنثى من الشجرة التي تركها عندها. لم تحاول الأنثى أن تخلع الحبل من عُنقها. يفكر: «بالطبع. لا تعرف أنها يمكنها أن تخلعه». حين يقترب منها ترتعش. تنظر إلى الأرض وتتبول. يقودها إلى المُستودع ويربطها في باب شاحنة معطوبة وصدئة.

يدخل البيت ويفكر فيما قد يقدمه لها من طعام. لم يرسل له «إل جرينجو» غذاءً متوازنًا، بل أرسل إليه مُشكلة. يفتح الثلاجة ثمَّة ليمون وثلاث عبوات جعة وثمرتا طماطم ونصف خيارة، وشيء ما من بقايا طعام اليوم السابق في الطنجرة. يشمُّه ويعتبر أنه لا يزال جيِّدًا. إنه أرز.

يأخذ لها وعاءين. أحدهما فيه ماء بارد، والآخر الأرز. يُغلق باب المستودع بالقفل ويرحل.

6

أصعبُ جزءٍ في «جولة اللحم» هو المرور على محلات الجزارة، إذ يضطر إلى الذهاب إلى المدينة، ومُقابلة سبانيل، وتحمُّل هذا الحر الأسمنتي الذي يُشعره بأنه عاجز عن التنفس، واحترام حظر التِّجوال، ورؤية البنايات والساحات والشوارع التي تُذكِّره بأن الناس قبل كل هذا كانوا أكثر، أكثر جدًّا.

اشتغل العُمال قبل «الانتقال» في محلات الجزارة بأجور زهيدة وأجبرهم أربابهم على غش اللحوم وبيعها بعد تعفنها. قال له أحد هؤلاء العمال، حين بدأ يعمل في مجزر أبيه: «ما نبيعه ميِّت أصلًا، ويتعفن، لكن يبدو أن الناس لا يقبلون أمرًا كهذا». حكى له العامل وهما يشربان المتَّة أسرار غش اللحوم كي تبدو طازجة ولِكَيْلا يشعُر المرء برائحتها السيئة: «بالنسبة إلى اللحم المغلف، نستخدم أحادي أكسيد الكربون، أما الموجود في واجهة العرض، فعلاجه البرودة الشديدة، والمُبيِّض، وبيكربونات الصوديوم والخل والتوابل، والكثير من الفلفل». لطالما اعترف له الناس بأسرارهم. يعتقد أن السبب هو قدرته على الإنصات وعدم اهتمامه بالتحدُّث عن نفسه. حكى له العامل أن رب عمله يشتري لحمًا صادرته هيئة الغذاء -وأغلبه من الذبائح الملآنة بالديدان- وأنه يجعله يُعالجه ليَعرضه بعدئذٍ للبيع لتعويض خسائره. شرح له أن معالجة هذا اللحم، تتطلب أن يتركه مدة طويلة في الثلاجة كي تقضي البرودة على

الرائحة السيئة. قال له إنه يُجبره على إزالة البقع الصفراء من فوق اللحم المريض وبيعه. أراد العامل أن يرحل وأن يعمل في «مجزر شجرة السرو». قال له إن مَرَدَّ رغبته هذه إلى سمعة المجزر الجيِّدة، وإنه يريد عملًا شريفًا كي يُنفق على عائلته فحسب. شرح له أنه لا يطيق رائحة المُطهر، وأن تلك الرائحة التي تُشبه الدجاج المُتعفن تجعله يقيء، وأنه لم يشعر في حياته أنه مريض وبائس هكذا، وأنه يعجز عن النظر في وجوه النساء البسيطات اللاتي يطلبن أرخص الأنواع لتقديم شرائح اللحم لأبنائهن، وأنه كلما غاب رب عمله، قدَّمَ لهن أطزج اللحوم الموجودة، لكنه اضطر إلى تقديم اللحوم المُتعفنة كلما حضر ، وأنه يعجز عن النوم من الذنب، وأن هذا العمل استنزفه تدريجيًّا. حين أبلغ هو أباه بالأمر، قرَّرَ ألا يرسل مزيدًا من اللحم إلى هذه الجزارة وعيَّنَ هذا العامل عنده.

كان أبوه رجلًا نزيهًا، لهذا صار مخبولًا.

يركب سيارته ويتنهَّد، لكنه يُفكِّر على الفور في أنه سيقابل سبانيل. يبتسم، على الرغم من أن مقابلتها دومًا مُعقدة.

بينما يقود، تنبثق صورة داخل عقله. إنها أنثى المستودع يا ترى ما الذي تفعله الآن؟ هل لديها طعام كافٍ؟ هل تشعر بالبرد؟ بعدئذٍ، يسبُّ «إل جرينجو» داخل رأسه.

يصل إلى «جزارة سبانيل» يترجَّل من السيارة. صارت أرصفة المدينة أنظف منذ غابت الكلاب. صارت أيضًا أكثر خواء.

كل شيء في المدينة مُتطرف، ومتوحش.

أُغلقت محلات الجزارة مع «الانتقال» ولم يفتح بعضها أبوابه ثانية إلا بعد تقنين أكل لحوم البشر ، لكنها محلات حصرية ويُشرف عليها أرباب عمل يطلبون جودة فائقة. قليلون هم من يمتلكون جزارتين، وفي تلك الحالة يُدير الجزارة الثانية قريب للمالك أو شخص يثق به جدًّا.

لا يُباع اللحم المخصوص في محلات الجزارة بسعر معقول. لهذا ظهرت سوق سوداء أسعارها أرخص لأنها لا تحتاج إلى رقابة أو إلى تطعيمات، ولأن لحمها سهل. إنه لحم له اسم ولقب. هكذا يسمون اللحم غير القانوني الذي يتحصلون عليه ويُنتج بعد حظر التجوال. لكنه في الوقت نفسه لحم لن يُعدل أبدًا جينِيًّا ولن يخضع إلى فحوصات كي يصبح أطرى، وأشهى، وأكثر تسبيبًا للإدمان.

سبانيل من أوائل من حصلوا على محل جزارة. يعلم أنها لا تأبه بالعالم. لا تعرف إلا تشريح اللحم فحسب، بل أنها تُشَرِّحه ببرودة جرَّاح. كل هذه الأمور لا تعنيها: الطاقة اللزجة، والهواء البارد بروائحه العالقة، والقيشاني الأبيض الساعي إلى إثبات النظافة، والمئزر المُبقع بالدماء. يُعد لمس وتقطيع وفرم ومعالجة وتشفية ذلك اللحم الذي تنفس ذات يوم مُجرد مهمة تلقائية بالنسبة إليها، لكنها في الوقت نفسه مهمة مُحددة. إنه شغف منضبط ومحسوب.

استدعى اللحم المخصوص الاعتياد على قطعيات وتدابير وأوزان وأذواق جديدة. صارت سبانيل الأولى والأسرع لأنها تعاملت مع اللحم بلا مبالاة تقشعر لها الأبدان. حظيت في البداية بقلة من الزبائن، وهن خادمات الأثرياء. تمتعت سبانيل برؤية خاصة في التجارة ودشّنت أول جزارة في حي يتمتع بقدرة شرائية عالية. لطالما أمسكت خادمات الأثرياء اللحم باشمئزاز وارتباك، وأوضحن لها أن من أرسلهن هم أسيادهن أو سيداتهن، كأنَّ إخبارها بهذا سيصنع فارقًا. اعتادت أن تنظر إليهن بابتسامة تزم فيها شفتيها، لكنها في الوقت نفسه لا تخلو من التفهم مع كل مرة، عادت الخادمات لطلب المزيد، بثقة أكبر، إلى أن جاء اليوم الذي توقفن فيه عن تقديم التفسيرات. بمرور الوقت بدأ العملاء يترددون على محلها بصورة أكبر. شعروا جميعًا بالراحة من تعاملهم مع امرأة.

لا يعرف أيٌّ منهم ما الذي تُفكِّر فيه هذه المرأة، أما هو فيعرف. يعرفها جيِّدًا لأنها عملت في مجزر أبيه.

تقول له سبانيل عبارات عجيبة وهي تُدخن. لو أن الأمر بيده، لجعل الزيارة تستغرق

أقل وقت ممكن بسبب الانزعاج الذي يشعر به من حدتها الباردة. تُبقيه سبانيل هناك، تُبقيه دائمًا، كما فعلت حين بدأ يعمل في مجزر أبيه؛ حين قادته إلى قاعة التقطيع، بعد أن رحل الجميع.

يظن أنها ليس لديها أحد كي تتحدَّث معه وتحكي له ما تفكِّر فيه. يتخيَّل أيضًا أنها لن تمانع أن ترقُد مجدَّدًا فوق طاولة التقطيع، بل وأنها ستكون بالكفاءة والتجرُّد نفسيهما مثل تلك المرة التي فعلتها فيها قبل أن يغدو رجلًا. أو ربما لا. ربما ستكون الآن ضعيفة وهشة، وهي تفتح عينيها فيما يُعاشرها وسط البرد.

لديها مساعد. لم يسمعه ينطق كلمة واحدة قطُّ. يتولى الأعمال الثقيلة، فيحمل الذبائح إلى الغرفة المُبردة وينظف المتجر. نظرته ككلب، وولاؤه غير مشروط، وضراوته ملجومة. لا يعرف اسمه. لا تخاطبه سبانيل أبدًا. في كل مرة يزورها تيخو، لا يظهر «الكلب» كثيرًا.

حين فتحت سبانيل الجزارة، قلَّدَت أشكال قِطع لحوم المواشي التقليدية لِكَيْلا يكون التغيير صادمًا وكي يشعر المرء حين يدخل المتجر أنه في إحدى الجزارات القديمة. مع مرور الوقت، بدأ التحوُّل تدريجيًّا ومن دون توقف. في البداية، ظهرت الأيدي المُغلفة. وضعتها سبانيل وهي مخفية جانبًا بين شرائح اللحم على الطريقة البروفنسية[1]، ولحم ما تحت الخاصرة، والكُلى. ظهر على التغليف مُلصق «اللحم المخصوص». وُضعت عليه كلمتا «طرف علوي» للتوضيح ولتفادي استخدام كلمة «يد». بمرور الوقت، أضافت الأقدام المُغلفة. وضعتها فوق طبقة من الخس وعليها ملصق «طرف سفلي»، ثم أضافت في وقت لاحق صينية ملأى بألسنة وقضبان وأنوف وخصي وفوقها لافتة: «فواكه لحوم سبانيل».

مع مرور الوقت، بدأ الناس يدعون الأطراف العلوية «مانيتوس» والأطراف السفلية

(1) نسبةً إلى منطقة بروفنس الواقعة في جنوب فرنسا. (المترجم).

«باتيتاس»، تماشيًا مع أسماء القطع المشابهة لها في لحوم الخنازير. هكذا، اعتمدت الصناعة هذه الأسماء التصغيرية التي محت شعور الفزع.

تبيع سبانيل الآن أسياخ الآذان والأصابع التي تسميها «الأسياخ المختلطة»، بل وتبيع أيضًا شراب مُقلة العين، واللسان المخلل.

تُرافقه إلى غرفة تقع وراء محل الجزارة فيها طاولة خشبية ومقعدان. تحوطهما ثلاجات تحتفظ فيها بأنصاف ذبائح تُخرجها إلى غرفة التبريد لتقطيعها ومن ثم بيعها. يسمى الجذع البشري «ذبيحة» . لم يُنظر أصلًا في احتمالية تسميته «نصف جذع». تحتوي الثلاجات أيضًا على أذرع وسيقان.

تطلب منه أن يجلس وتُقدم له قدحًا من نبيذ الـ«باتيرو». يأخذه منها. يحتاج إلى النبيذ كي يتمكَّن من النظر إلى عينيها، ولِكَيْلا يتذكَّر كيف دفعته فوق الطاولة التي لطالما امتلأت بأحشاء الأبقار -لكنها لحظتذاك كانت نظيفة كطاولة غرفة عمليات- وكيف أنها أنزلت بنطلونه ورفعت مئزرها الملطخ بالدماء، لتصعد فوق الطاولة التي رقد فوقها عاريًا، قبل أن تجلس بحذر وتمسك بالخطاطيف التي تنقل الأبقار.

ليست المسألة أنه يعتبر سبانيل خطيرة أو مجنونة، أو أنه يتخيَّلها عارية فهو لم يرها عارية قط، أو أنه قد عرف جزارات قليلات ورآهن جميعًا نساءً غامضات يستحيل فك شفرتهن، لكن الأمر وما فيه أنه يحتاج إلى النبيذ كي يتمكَّن فحسب من الإنصات إليها، فكلماتها تنغرز في مُخه. إنها كلمات باردة وحادّة، مثل كلمة «لا» التي قالتها له وهي تُمسكه من ذراعيه وأبقته فوق الطاولة حين حاول ملامستها وخلع مئزرها ومداعبة شعرها، أو «مع السلامة» التي قالتها له حينما حاول الاقتراب منها في اليوم التالي، من دون أن تُقدم له أي تفسير أو حتى قبلة وداعية لاحقًا، علم أنها قد ورثت ثروة صغيرة، وتمكنت من شراء هذه الجزارة.

توقع الأوراق التي جلبها معه لتأكيد تقيدها بمعايير «مجزر كريج» وإقرار أنها لا تغش اللحم. إنها مُجرد إجراءات رسمية، فمن المعروف أن أحدًا لا يغش اللحم. لم يَعُد

هذا يحدث الآن، مع «اللحم المخصوص».

توقع الأوراق وتشرب النبيذ. إنها العاشرة صباحًا.

تعرض عليه سبانيل سيجارة. تُشعلها وبينما يُدخنان، تقول: «لا أفهم لماذا قد تبدو لنا ابتسامة شخص ما جذابة، إذ إن كل ما يفعله هو إظهار جُزء من هيكله العظمي». يُدركُ أنه لم يرها تبتسم قط، ولا حتى حين أمسكت الخطاطيف ورفعت وجهها وعلا صوتها من انتشائها. كانت مجرد صرخة، صرخة بهائمية مبهمة.

«أعرف أن أحدًا سيبيع لحمي في السوق السوداء. أقصد أحدًا من أقاربي البعيدين والفظيعين. لهذا أُدخن وأشرب كي يصبح طعم لحمي مُرًّا ولِكَيْلا يستمتع أحدٌ بموتي». تسحب نفسًا قصيرًا وتقول: «اليوم أنا الجزارة، غدًا قد أصبح الماشية». يتجرَّع رشفة فجأة ويقول إنه لا يفهم، فهي لديها المال ويُمكنها أن تؤمن موتها كما يفعل كثيرون. تنظر إليه بشيء يبدو مثل الأسى: «ما من أحد يُمكنه أن يؤمن شيئًا. ليأكلوني فحسب، وسأسبب لهم عُسر هضم فظيعًا». تفتح فمها، من دون أن تظهر أسنانها، فإذا بصوتٍ متحشرج ينبثق منه. يبدو مثل القهقهة، لكنه ليس كذلك. تشير إلى ذبائح الثلاجات: «أنا محاطة بالموت يوميًّا وفي كل الأوقات. تقول كل المؤشرات إن هذا سيغدو مصيري، أم أنك تحسب أننا لن ندفع ثمن ما نفعله؟». «إذن، لماذا لا تتقاعدين؟ لماذا لا تبيعين الجزارة وتعملين في مجال آخر؟». تنظر إليه وتسحب نفسًا طويلًا من سيجارتها. تستغرق وقتًا في الرد، كأنَّ الإجابة جليّة ولا تحتاج إلى كلمات. تنفث الدخان ببطء وتقول له: «من يدري! ربما سأبيع ضلوعك ذات يوم بسعرٍ جيِّد، لكنني قبلئذٍ سأجرِّب ضلعًا منها». يرشف النبيذ ويُجيبها: «عليكِ بهذا، لا بُدَّ أنني لذيذ». يبتسم ويظهر لها كامل بُنيان أسنانه العظمي. تنظر إليه بعينين باردتين. يعرف أنها تتحدث بجدية. يعرف أيضًا أن هذا الحوار ممنوع وأن هذه الكلمات قد تنجم عنها مشكلات كبرى، لكن ثمة حاجة إلى أن يقول أحد ما لا يُقال.

يرنُّ جرس بوابة الجزارة. إنه زبون. تنهض سبانيل لخدمته. يظهر «الكلب». يُخرج نصف ذبيحة من الثلاجة من دون أن ينظر إليه ويأخذها إلى الغرفة المُبردة ذات

الباب الزجاجيّ. يُمكنه أن يرى كل ما يفعله «الكلب». يُعلِّق نصف الذبيحة لِكَيْلا يتلوَّث اللحم، ثم يزيل أختام التصديق الرسمية ويبدأ في التقطيع. يصنع شقًّا رفيعًا فوق الضلوع لإزالة طبقة كبيرة من الشحم. لم يَعُد يحفظ أسماء القطع، فخلال عملية التحوُّل مُزجت أسماء الكثير من قطع اللحم البقري مع أسماء قطع لحوم الخنزير، فظهرت أدلة تسمية جديدة وصُممت مُلصقات جديدة بصور قطع «اللحم المخصوص»، وهي ملصقات لا تظهر علنًا أبدًا أمام الجمهور. يُمسك «الكلب» المنشار ويقطع من عند مؤخرة الرقبة.

تدخل سبانيل وتصبُّ مزيدًا من النبيذ. تجلس وتقول له إن الناس بدأت تطلب الأمخاخ من جديد. قال أحد الأطباء إن تناولها يُسبب مرضًا ما ذا اسم مُركب، لكن بعد ذلك أكَّدت مجموعة من الأطباء وعِدَّة جامعات أن هذا الأمر ليس صحيحًا. تعرف بالفعل أن هذه الكُتل اللزجة لا يُمكنها أن تغدو مفيدة، إلا داخل رأس أصحابها، لكنها ستشتريها على أي حال وستقطِّعها في صورة شرائح. تقول له إنها مهمة صعبة لأنها سهلة الانزلاق. تسأله هل يُمكنه أن يتكفَّل بطلبية الأسبوع المُقبل، لكنها لا تنتظر رده، إذ تُمسك قلمًا وتبدأ في الكتابة. لا يُخبرها بأنها يُمكنها أن ترسل الطلب إلكترونيًّا. تروقه رؤية سبانيل وهي تكتب في صمت، بتركيز وجدية.

يحدِّق إليها وهي تكتب الطلب بخطٍّ كلماته مُتلاصقة. جمال سبانيل مكبوح. يزعجه لأن شيئًا أُنثوِيًّا يختفي وراء هذا الغطاء البهائمي الذي تعتني جيِّدًا بإظهاره.

ثمة شيء مُثير للإعجاب تحت هذه اللامبالاة المُصطنعة.

ثمة شيء داخلها يودُّ أن يكسره.

7

اعتاد في «جولات اللحم» التي أعقبت «الانتقال» أن يبيت في أحد فنادق المدينة قبل أن يتوجَّه في اليوم التالي إلى «أرض الصيد». وفّر على نفسه بهذه الطريقة عناء قضاء ساعات إضافية من القيادة، لكنه الآن في ظلّ وجود الأنثى في مستودعه، يجد نفسه مُضطرًّا إلى العودة.

يشتري قبل خروجه من المدينة غذاءً متوازنًا خاصًّا بالرؤوس المنزلية.

يصل إلى بيته ليلًا. ينزل من السيارة ويتوجَّه مباشرة إلى المستودع. يسبُّ «إل جرينجو» لأنه جلب إليه هذه المشكلة في أسبوع «جولة اللحم» تحديدًا، وثيثليا غائبة عن البيت.

يفتح المستودع. يجدها مُتكوِّرة على نفسها فوق الأرضية في وضعية جنينيّة. تنام. تبدو كأنها تشعر بالبرد على الرغم من الحر. أكلت الأرز وشربت الماء. يلامس قدمها، فتجفل. تحمي رأسها وتتكوَّر بشكل أكبر.

يذهب إلى البيت ويبحث عن بعض الملاءات القديمة، ثم يأخذها إلى المستودع. يضعها إلى جوار الأنثى ويأخذ الوعاءين ويجلب مزيدًا من الماء.

يعود بهما إلى المستودع وهما ملآنان. يجلس فوق كَومة من القش وينظر إليها. تنحني وتشرب الماء ببطء.

لا تنظر إليه أبدًا. حياتها هي الخوف نفسه، هكذا يفكر.

يعرف أنه يُمكنه أن يعتني بها وأن هذا مسموح. يعرف أن هناك أشخاصًا يُربون رؤوسًا منزلية ويأكلونها، على مراحل، وهي على قيد الحياة. يقولون -بل يؤكدون- إن اللحم هكذا يصبح أطعم وأطزج. تُباع الآن أدلة تعليمية تشرح كيف ومتى وأين يجب على المرء أن يقطع لِكَيْلا يموت المُنتَج قبل أوانه.

امتلاك العبيد ممنوع. يتذكَّر قضية عائلة أُبلغ عنها وحُوكمت لامتلاكها عشر إناث عملن في ورشة غير قانونية. كُنَّ مختومات. اشتروهن من حظيرة ودرَّبوهن. ذُبحوا جميعًا في «مذبح مجلس البلدية». تحوَّلت الإناث والعائلة إلى «لحم مخصوص». غطَّت الصحافة القضية طيلة أسابيع. يتذكَّر العبارة التي كرَّرَها الجميع باستنكار: «العبودية فعل بربريّ».

يُفكِّر: هذه الأنثى والعدم سواء وموجودة في مستودعي.

لا يعرف ما يتحتم عليه فعله معها. إنها قذرة. عليه أن يُحممها في وقت ما. يغلق باب المُستودع. يذهب إلى بيته. يتعرى ويدخل تحت الدش. يُمكنه أن يبيعها، فيتخلص من المشكلة. يُمكنه أن يربيها وأن يُخصبها، فيدشن هكذا لنفسه دفعة صغيرة من

الرؤوس يستقل بها عن المذبح. يُمكنه أن يهرب؛ أن يترك كل شيء، وأن يهجر أباه وزوجته والطفل الميت وذلك المهد الذي ينتظر تحطيمه.

8

ينهض على مكالمة من نيليدا. «تعرض دون أرماندو إلى انهيار عصبي يا عزيزي. الأمر ليس خطيرًا، لكنني أريدك أن تبقى على اطلاع. ليس من الضروري أن تأتي، لكن مجيئك سيكون لطيفًا. تعرف أن أباك يبتهج برؤياك، حتى وإن لم يتعرَّف عليك في كل المرات. كلما جئت توقَّفت نوباته عِدَّة أيام». يشكرها على إخباره. يقول لها إنه سيأتي قريبًا، ثم يُنهي المكالمة. يظل في الفراش ويُفكر في أنه لا يريد أن يبدأ يومه.

يضع الإبريق فوق النار ويرتدي ملابسه بينما يتناول أول كأس من المتَّة يتصل بـ«أرض الصيد». يقول إن لديه طارئًا عائليًّا وإنه سيتصل بهم لاحقًا لإعادة جدولة الزيارة. بعدئذٍ، يتصل بكريج. يُخبره بأنه سيتأخر وقتًا أطول في الجولة. يقول له كريج أن يستغرق الوقت الذي يحتاج إليه، لكنه في الوقت نفسه ينتظره ليجري مقابلة مع اثنين من المرشحين.

يُفكِّر بضع ثوانٍ ثم يتصل بأخته. يقول لها إن أباهما بخير، لكنها يتحتَّم عليها أن تزوره. تُخبره أنها مشغولة وأن تربية ابنيها وإدارة البيت تستنزف وقت فراغها كله،

لكنها ستذهب قريبًا. تقول له أيضًا إن العيش في المدينة أصعب لأن دار الرعاية أبعد

وتخشى من أن تصل بعد حظر التجوال. قالت هذه الجملة بازدراء، كأنَّ العالم مسؤول عن اختياراتها. بعدئذٍ، تُغيِّر نبرتها وتقول له إنهم جميعًا لم يتقابلوا منذ فترة وإنها تريد أن تدعوهما إلى العشاء. تسأله عن أحوال ثيثيليا وما إذا كانت لا تزال في بيت أمها. يخبرها أنه سيتصل بها قريبًا ويُنهي المكالمة.

يفتح المُستودع. ترقد الأنثى فوق الملاءات. تستيقظ مفزوعة. يأخذ الوعاءين. يعود بالماء والغذاء المتوازن. يرى أن الأنثى عثرت على مكان لتلبي فيه احتياجاتها. يفكر بإنهاك: لدى عودتي يجب أن أنظفه. لا ينظر إليها تقريبًا لأن وجود هذه الأنثى -هذه المرأة العارية في مستودعه- يُسبب له إزعاجًا.

يركب سيارته ويتوجَّه مباشرةً إلى دار الرعاية. لا يُخطِر نيليدا أبدًا قبل مجيئه. إنه يدفع من أجل أفضل وأغلى دار رعاية في المنطقة، ولهذا يُفترض أنه يحق له أن يزور أباه من دون إخطار مسبق.

تقع الدار بين بيته والمدينة في منطقة أحياء سكنية خاصة. كلما ذهب إلى هناك، صفَّ سيارته قبل المكان بعِدَّة كيلومترات.

يصفُّ السيارة ويسير نحو بوابة حديقة الحيوانات المهجورة. السلاسل التي تغلق البوابة المُسيَّجة مكسورة. النجيل نام، والأقفاص فارغة.

يعرف أنه يُخاطر بالذهاب إلى هناك، إذ إن ثمة حيوانات لا تزال طليقة لكنه لا يأبه. وقعت المذابح الكبيرة في المدن، لكن ظلَّ بعض الناس يتمسكون لأوقات طويلة بحيواناتهم الأليفة ورفضوا قتلها. يُقال إن بعض هؤلاء الأشخاص ماتوا بسبب الفيروس، فيما ترك آخرون منهم كلابهم وقططهم وأحصنتهم في الريف. لم يحدث له أي شيء من قبل على الرغم من كل ما يقال بخصوص أن سير المرء بمفرده هناك من دون سلاح أمر خطير، لأن ثمة قطعانًا من الكلاب الجائعة.

يسير حتى عرين الأسود. يجلس عند الحاجز الحجري ويخرج سيجارة ويُشعلها وينظر

إلى النطاق الخاوي.

يتذكَّر حينما رافقه أبوه لزيارة الحديقة. لم يعرف أبوه ما يتحتَّم فعله مع هذا الطفل الذي لم يتوقَّف عن البكاء ولم يقل شيئًا منذ وفاة أمه. كانت أخته لا تزال رضيعة ترعاها المربيات وبعيدة عن كل شيء.

اعتاد أبوه أن يرافقه إلى السينما والساحة والسيرك وإلى أي مكان بعيد عن البيت وصور أمه وهي مُبتسمة بشهادة الهندسة المعمارية؛ بمنأى عن ملابسها التي ظلَّت مُعلَّقة فوق المشاجب، وعن نسخة لوحة شاجال[1] التي اختارت تعليقها فوق الفراش. اسمها «باريس من النافذة». يظهر فيها قط له وجه بشري ورجل يطير بمظلة ثلاثية الزوايا ونافذة ملونة وشخصان داكنا اللون ورجل بوجهين يحمل قلبًا في يده. على الرغم من جدية ملامح كل أبطالها، ففيها شيء من جنون العالم، وهو الجنون الذي قد يغدو مبتسمًا وفي الوقت نفسه بلا رحمة. تُزين هذه اللوحة الآن غرفته.

امتلأت حديقة الحيوان بالعائلات والتفاح بالكراميل، وغزل البنات الوردي والأصفر والسماوي، والضحكات والبالونات، ودمى الكناغر والحيتان والدببة. قال له أبوه: «انظر يا ماركوس. هذا قرد التيتي. انظر يا ماركوس ها هو ذا ثعبان المرجان. انظر يا ماركوس، ها هو ذا الببر»، وكان ينظر إلى كل هذا من دون أن يتحدَّث لأنه شعر بأن أباه افتقر إلى الكلمات، وأن تلك الكلمات التي ينطقها ليست موجودة أصلًا.

لما وصلا في تلك المرة إلى عرين الأسود، ظلَّ أبوه ينظر إليه من دون أن ينطق شيئًا. ارتاحت اللبؤات تحت أشعة الشمس في ظلِّ غياب الأسد. ألقى أحد ما قطعة بسكويت، فرمقتها بنظرة غير مبالية. لم يفكر سوى في أن هذه اللبؤات بعيدة جدًّا وأن كل ما أراده لحظتذاك هو أن يقفز إلى العرين ليرقد بينها وينام لربما وَدَّ أن يداعبها أيضًا. ظلَّ بقية الأطفال يصرخون ويُزمجرون ويحاولون أن يزأروا. تجمَّعَ الناس

(1) مارك شاجال: رسام روسي فرنسي وأحد أنجح فناني القرن العشرين. (المترجم).

وطلبوا إفساح مجال الرؤية، لكنهم صمتوا جميعًا فجأة، إذ انبثق الأسد من بين الظلال وهو يخرج من أحد الكهوف ويسير بتؤدة. نظر إلى أبيه. قال له: «بابا! ها هو ذا الأسد! ها هو ذا الأسد! هل تراه؟». وجد أبوه يطأطئ رأسه وهو يوشك على أن يتلاشى بين الناس. لم يبك، لكنه تمكن من رؤية الدموع هناك، من وراء الكلمات التي عجز عن قولها.

يُنهي الآن سيجارته ويُلقيها في العرين. ينهض ويرحل.

يسير ببطء نحو سيارته، ويداه في جيبي بنطلونه. يسمع عواء يأتي من بعيد. يتوقف وينظر لمعرفة ما إذا كان سيتمكن من رؤية شيء ما.

يصل إلى دار رعاية «الفجر الجديد». تحوط البيت حديقة مُعتنى بها جيِّدًا وملأى بأرائك خشبية وأشجار ونوافير. حكوا له أن الحديقة احتوت سابقًا على بحيرة صناعية صغيرة لطالما امتلأت بالبط. في الوقت الحالي، اختفت هذه البحيرة، والبط أيضًا.

يدقُّ الجرس، فتفتح له ممرضة. لا يتذكر أسماءهن، لكنهن جميعًا يتذكَّرنه. «السيد ماركوس. كيف حالك؟ تفضل، سنجلب لك دون أرماندو فورًا».

تحقَّقَ من أنهن جميعًا ممرضات حقيقيات في دار الرعاية. لم يُرِد خادمات أو عاملات رعاية ليلية من دون دراسات أو تدريب مسبق. تعرف إلى ثيثيليا هناك.

كلما دخل إلى المكان، شعر أوَّلًا برائحة بَول وأدوية خفيفة، تلك الرائحة الصناعية للمواد الكيماوية التي تظل هذه الأجساد قادرة على التنفس بفضلها. نظافة المكان مثالية، لكنه يعرف أن رائحة البول شيء يستحيل القضاء عليه تقريبًا مع كبار السن الذين يستخدمون الحفاضات. لا يستخدم أبدًا كلمة «الأجداد» للإشارة إلى كبار السن.

ليسوا أجدادًا، ولن يصيروا أجدادًا أبدًا. إنهم مجرد عجائز. قوم عاشوا سنوات كثيرة

وربما هذا إنجازهم الوحيد.

يصحبنَه إلى قاعة الانتظار. يُقدمن له شيئًا ليشربه. يجلس إلى مقعد في مواجهة نافذة ضخمة مُطِلَّة على الحديقة. لا يسير أحد في الحديقة من دون حماية. يستخدم البعض المظلات. الطيور ليست عنيفة. لكن يشعر الناس بالذعر منها. يقف طائر فوق شجيرة صغيرة. يسمع شهقة. تنظر امرأة عجوز من مرضى دار الرعاية إلى الطائر وهي مفزوعة. حين يُحلِّق تُدمدم العجوز، كأنَّها قادرة على حماية نفسها بالكلمات. بعدئذٍ، تنام فوق مقعدها. تبدو كأنها قد تحممت للتو. يتذكَّر فيلم هيتشكوك «الطيور»، وكيف صدمه حين رآه، وكيف حزن حين صار ممنوعًا.

يتذكَّر حين تعرَّفَ إلى ثيثيليا. جلس على هذا المقعد ذاته وهو ينتظر أباه. لم تَكُن نيليدا موجودة، فرافقته ثيثيليا إليه. آنذاك، كان أبوه لا يزال قادرًا على السير والتحدث ويتمتع بإدراك واضح. حين نهض من فوق المقعد ورآها لم يشعر بشيء خاص. اعتبرها مجرد ممرضة أخرى، لكنها لفتت انتباهه بصوتها حين بدأت تتحدث. تحدثت معه عن نظام غذائي خاص لدون أرماندو، وكيفية اعتنائهم بضغطه، والفُحوصات المستمرة التي يُخضعونه إليها، وعن أنه صار أهدأ. رأى أضواء لا نهائية تحوطهما. شعر بأن هذا الصوت قادر على أن يسمو به، وبأنه قد يصبح منفذ هروبه من العالم.

منذ مسألة الطفل، صارت كلمات ثيثيليا ثقوبًا سوداء تبتلع نفسها.

التلفاز مفتوح من دون صوت. يعرضون برنامجًا قديمًا يتحتَّم على المشاركين فيه أن يقتلوا قططًا بالعصي. يخاطرون بتعرضهم للموت وسط تصفيق الجمهور، لمجرد أن يفوزوا بسيارة.

يُمسك أحد المنشورات الدعائية لدار الرعاية الموجودة فوق الطاولة الصغيرة إلى جوار المجلات. يظهر على الغلاف رجل وامرأة يبتسمان. إنهما عجوزان، لكنهما ليسا عجوزين جدًّا. لطالما أظهرت المنشورات الدعائية السابقة العجائز وهم يركضون

بسعادة في أحد المروج، أو وهم يجلسون في حديقة وارفة الخُضرة، أما الآن فصارت الصور مُحايدة، لكن ابتسامة العجائز لم تتغير. داخل دائرة، تظهر عبارة مكتوبة باللون الأحمر تقول: «نضمن الأمان على مدار 24 ساعة طوال الأسبوع». يُعرف أن أغلب العجائز المُودَعين في دور الرعاية الحكومية يُباعون في السوق السوداء حين يموتون، أو حين يُتركون للموت. إنه أرخص لحم يُمكن الحصول عليه، لأنه لحم ناشف ومريض وملآن بالأدوية. لحم له اسم ولقب. في بعض الحالات، يسمح الأقارب أنفسهم في دور رعاية خاصة وحكومية ببيع الجثث لسداد الديون. لم تعد ثمة جنازات لأن السيطرة على عدم نبش القبور والتهام الجثث أمر صعب ولهذا بيعت الكثير من المقابر وهُجرت بقيتها، فيما لا يزال بعضها صامدًا كبقايا أثرية شاهدة على زمنٍ تمكَّنَ فيه الموتى من الرقود في سلام.

لا يُمكنه أن يسمح بتقطيع أبيه.

يمكنه أن يرى من صالة الانتظار الصالون الذي يرتاح فيه العجائز. يجلسون لمشاهدة التلفاز. هذا ما يفعلونه في أغلب الوقت. يشاهدون التلفاز وينتظرون الموت.

عددهم قليل. تأكَّدَ من هذا الأمر أيضًا. لم يُرِد دار رعاية ملأى بعجائز لا يُعتنى بهم. عددهم قليل لأن هذه أغلى دار رعاية في المدينة.

للوقت إحساس خانق في هذا المكان، إذ تلتصق الساعات والثواني بالجلد وتنخره. تجاهل الوقت أفضل شيء، لكنه ليس ممكنًا.

«أهلًا عزيزي. كيف حالك يا ماركوس؟ يا لسعادتي برؤياك!». إنها نليدا التي تجلب أباه وهو جالس على مقعد متحرك. تعانِقه لأنها تحبه ولأن كل الممرضات يعرفن قصة الابن المُتفاني الذي بادر أيضًا بإنقاذ ممرضة والزواج منها.

بدأت نليدا تعانقه بعد وفاة الطفل.

ينحني وينظر إلى عينَيْ أبيه ويُمسك يديه. يقول له: «أهلًا بابا». نظرة الأب ضائعة وتائهة.

ينهض ويسأل نيليدا: «كيف حاله، هل هو أفضل؟ هل تعرفين لماذا انهار؟» تطلب منه نيليدا أن يجلس. تترك أبوه إلى جوار مقعد الصالون وهو ينظر إلى النافذة. يجلسان على مقعدين قريبين من بعضهما وأمامهما طاولة. «تعرَّض دون أرماندو إلى نوبة أخرى يا عزيزي. خلع كل ملابسه بالأمس وحينما ذهبت مارتا، ممرضة الوردية الليلية، للعناية بنزيل آخر، توجَّهَ أبوك إلى المطبخ وأكل كعكة عيد ميلاد كنا قد جهزناها لنزيل ثالث سيُكمل عامه التسعين». يُخفي ابتسامته. يُحلِّق الطائر الأسود ويقف فوق شجيرة صغيرة أخرى. يشير أبوه نحوه بسعادة. ينهض ويدفع الكرسي المتحرك ليُقرِّب أباه من النافذة. حين يجلس ثانية. تنظر إليه نيليدا بمودَّة وأسى. «ماركوس، سنضطر إلى تقييده ليلًا». يومئ برأسه. «يجب أن توقِّع لي هذا التصريح. الأمر في مصلحة دون أرماندو. تعرف أنني لا أريد فعل هذا، لكن أباك حالته حساسة. لا يُمكنه أن يأكل أي شيء. أيضًا، اليوم كعكة. غدًا، قد يصبح سكينًا».

تذهب نيليدا لجلب الأوراق.

لم يَعُد أبوه يتحدَّث تقريبًا. يصدر أصواتًا وأنينًا فحسب.

تبقى الكلمات حبيسة هناك، لتتعفَّن، وراء الجنون.

يجلس على المقعد وينظر إلى النافذة. يُمسك يده. ينظر إليه أبوه كأنه لا يعرفه، لكنه لا يفلت يده.

9

يصل إلى المذبح. إنه مكان مُنعزل. يُحوطه سياج كهربائي. ركَّبوا السياج بسبب «الرمامين» الذين حاولوا الدخول أكثر من مرة. قطعوا السياج قبل أن يُكهرب وتسلقوه. آذوا أنفسهم من أجل الحصول على اللحم الطازج فحسب. يرضون الآن بالبقايا، بالقطع التي ليس لها استخدام تجاري. باللحم المريض، الذي لن يأكله أحد سواهم.

يقف ليتأمَّلَ البنايات قبل اجتياز الباب ببضع ثوانٍ. إنها بيضاء ومتينة وفعالة. لا وجود لأيّ مُؤشر على أن بشرًا يُقتلون في داخلها. يتذكَّر صور «مذبح سالاموني» التي أظهرتها له أمه. تدمرت البناية، لكن واجهتها لا تزال من دون مساس وكلمة «مذبح» فوقها كأنها ضربة صامتة. أبت الكلمة الوحيدة، الضخمة، أن تختفي. أبت أن يمحوها المناخ أو الرياح التي تحفر الحجارة أو الزمن الذي نخر الواجهة؛ تلك الواجهة التى

قالت له أمه ذات مرة إنها مُتأثرة بالـ«آرت ديكو».[1] برزت الأحرف الرمادية بسبب السماء الموجودة وراءها. شكل هذه السماء ليس مهمًّا، سواء كانت زرقاء رتيبة ملأى بالسحب أم سوداء غاضبة، لأن الكلمة ستظل هناك؛ تلك الكلمة التي تنطق الحقيقة القاسية لبناية جميلة. هذه البناية اسمها «مذبح» لأن الذبح قد مُورِس هناك. لطالما أرادت أمه أن تُعدل واجهة «مجزر شجرة السرو»، لكن أباه رفض لأنه آمن بأن أي مذبح يجب ألا يلفت الأنظار بسبب طبيعته، وأنه يجب أن يتمازج مع محيطه الطبيعي من دون يلفت الانتباه أبدًا.

يقرأ أوسكار، حارس الوردية الصباحية، الجريدة لكنه يُغلقها سريعًا حين يراه. يُحيِّيه بتوتر. يفتح له الباب ويقول وهو يحاول أن يرفع صوته: «صباح الخير سيد تيخو، كيف أحوالك؟» يُجيبه هو بحركة من رأسه.

ينزل من السيارة ويقف ليُدخن. يسند ذراعيه على سقفها ويظل ينظر فيما حوله بسكون، ثم يمسح بيده جبهته المتعرقة.

لا وجود لشيءٍ حول المذبح. لا وجود لشيء يُمكن رؤيته بالنظر المجرد. ثمة حيز من العراء باستثناء بعض الأشجار المُنعزلة وجدول ماءٍ عفِن. يشعر بالحر، لكنه يدخن ببطء، لإطالة الدقائق قبل دخوله.

يصعد مباشرة إلى مكتب كريج. يُحيِّيه بعض العمال في الطريق. يُحيِّيهم من دون أن ينظر إليهم. يُقبِّل ماري، السكرتيرة. تُقدِّم له قهوة وتقول له: «سأرافقك فورًا إليه يا ماركوس. سعيدة برؤيتك. بدأ السيد كريج يتوتر. يحدث هذا مع كل جولة». يدخل إلى المكتب من دون أن يقرع الباب ويجلس من دون أن يطلب إذنًا. يتحدث كريج هاتفيًّا. يبتسم له ويوضِّح له بإشارة أنه سينهي المكالمة فورًا.

(1) أحد أنماط التصميم الجرافيكي والمعماري وقد يُطلق عليه أيضًا الفن الزخرفي. (المترجم).

كلمات كريج حاسِمة، لكنها قليلة. يتحدَّث قليلًا وببطء.

كريج من طينة الأشخاص الذين لم يُخلقوا للحياة. وجهه يبدو كلوحة فاشلة طبقها رسامها وألقاها في القمامة. إنه شخص لا يتآلف تمامًا مع أي مكان. لا يهتم بالتواصل الإنساني ولهذا عدَّل مكتبه. عزله في البداية، بصورة تسمح لسكرتيرته فقط بسماعه ورؤيته. بعدئذٍ، أضاف بابًا إضافيًّا. يُفضي هذا الباب إلى سُلَّم يقوده مباشرة إلى مرأب خاص يقع وراء المجزر. يراه العاملون قليلًا أو لا يرونه أصلًا.

يعرف أن مديره يُدير العمل بصورة مثالية وأنه الأفضل حين يتعلَّق الأمر بالأرقام والتحويلات. إن ارتبط الأمر بمفاهيم تجريدية وتيارات السوق والإحصائيات، فهذه لعبة كريج. لا يهتم كريج إلا بالبشر الذين يصلح أكلهم؛ بالرؤوس، بالمنتج، أما الأشخاص فلا يأبه بهم. يمقت مصافحتهم والأحاديث الصغيرة التافهة عن البرد أو الحر، وبالمثل اضطراره إلى الإنصات إلى مشكلاتهم ومعرفة أسمائهم، أو ما إذا كان أحدهم في عطلة أو وُلد له ابن. إنه موجود لمثل هذه الأمور، لأنه يده اليمنى. يحترمه الجميع ويحبونه لأن أحدًا لا يعرفه حق المعرفة. يعرف قليلون أنه فقد ابنًا وأن زوجته غادرت البيت وأن أباه ينهار في صمتٍ مُظلم وخرف.

لا يعرف أحد أنه يعجز عن قتل الأنثى الموجودة في مُستودعه.

10

يُنهي كريـج المكالمة.

- لديَّ مرشحان ينتظران. ألم ترهما حين دخلت؟

- لم أرهما.

- أريد منك أن تختبرهما. أنا مهتم فقط بالتعاقد مع الأفضل بينهما.

- ممتاز.

- بعد أن تنتهي أخبرني بالمستجدات. مسألة المرشحين أهم.

ينهض ليغادر، لكن كريـج يشير إليه كي يجلس.

- لدينا موضوع آخر. عثروا على عامل مع أنثى.

- مَن؟

- أحد حُراس وردية الليل.

- لا يُمكنني أن أفعل شيئًا. ليسوا تحت مسؤوليتي.

- أخبرك لأنني سأضطر إلى تغيير شركة الأمن، مرةً أخرى.

- كيف أمسكوا به؟

- عبر التسجيلات. صِرنا نُراجعها الآن في كل صباح.

- والأنثى؟

- اغتصبها حتى الموت. تركها مُلقاة في قفص عمومي مع البقية. لم يضعها أصلًا في القفص الصحيح، الأحمق.

- وما الذي علينا فعله الآن؟

- إخطار هيئة سلامة الغذاء وإبلاغ الشرطة بتهمة تدمير ملكية مُتحركة.

- وسيجب على شركة الأمن تعويضنا عن قيمة الأنثى.

- أجل. صحيح، وخصوصًا أنها من «الجيل الأول النقي».

ينهض ويغادر. يرى ماري وهي تسير مع القهوة. تبدو هذه المرأة هشة لكنه يعرف أنها قادرة على ذبح شُحنة بضاعة كاملة، إن طُلِبَ منها هذا، من دون أن ترتعش عضلة واحدة في جسدها. يُشير إليها كي تنسى القهوة ويطلب منها أن تُقدِّم إليه

المُرشحين. «يجلسان في صالة الانتظار. ألم ترهما وأنت تدخل؟» تعرِض أن ترافقه، لكنه يقول لها إنه سيمضي بمفرده.

يجلس شابان في صمت في صالة الانتظار. يُقدم نفسه لهما ويطلب منهما أن يرافقاه. يشرح لهما أنهم سينفذون جولة قصيرة في المذبح. بينما يسيرون نحو فناء التفريـغ يسألهما لماذا يريدان هذا العمل. لا ينتظر إجابات مُنمقة. يعرف أن عدد المرشحين يتراجع، وأن إحلال وتجديد العِمالة دائم، وأن أشخاصًا قليلين يمكنهم تحمُّل العمل في هذا المكان. الاحتياج إلى المال هو الدافع الدائم. فمن المعروف أن رواتب هذا العمل جيدة، لكن الاحتياج سببٌ قصير الأمد، إذ يُفضل أغلب الناس أن يكسبوا مالًا أقل وأن يعملوا في أي شيء آخر لا يتضمن تنظيف أحشاء بشرية.

يقول الأطول بينهما إنه يحتاج إلى المال، فخليلته حُبلى وهو في حاجة إلى الادخار. ينظر إليه المُرشح الأقصر في صمتٍ ثقيل. يتأخَّر في الإجابة ويقول إن صديقًا له يعمل في مصنع لشطائر الهامبرجر أوصاه بتجربة هذا العمل. لا يصدقه، ولو لثانية.

يصلون إلى فناء التفريـغ. ثمة رجال يرفعون بمجاريف فضلات آخر شحنة وصلت من الرؤوس. يضعونها في حقائب. يغسل آخرون بخراطيم المياه الأرضية والشاحنات المُزودة بأقفاص. يكتسون جميعًا بالبياض ويرتدون أحذية سوداء مطاطية ذات رقبة عالية. يُحيِّيهم الرجال. يومئ لهم برأسه من دون أن يبتسم. يغطي الأطول أنفه، لكنه يُنزل يده على الفور ويسأل لماذا يحتفظون بالفضلات. ينظر الأقصر في صمت. يقول هو: «من أجل الأسمدة».

يشرح لهما أن الشحنات تُفرغ هنا، حيث تُوزن وتُختم. يُحلق شعر الرؤوس لأنه يُباع أيضًا. بعدئذٍ تُقتاد إلى أقفاص الراحة وتترك فيها يومًا لتستريـح. يقول لهما: «لحم الرأس المتوتر يغدو ناشفًا ويصبح مذاقه سيِّئًا ويتحوَّل إلى لحم رديء، وخلال فترة

الراحة هذه تخضع الرؤوس إلى فحوصات الـ«أنتي مورتيم[1]». يسأل الأول: «ماذا؟». يشرح لهما أن أي منتج تظهر عليه علامات المرض، لا بد أن يُستبعد. يومئ الاثنان برأسيهما. «نعزل الرؤوس التي تظهر عليها مثل هذه الأعراض في أقفاص خاصة. إن تعافت تعود إلى دائرة الذبح، وإن ظلَّت مريضة تُستبعد». يسأل الأطول: «تُستبعد بمعنى أنه يُستغنى عنها؟». «أجل». يسأل الأطول مجدَّدًا: «ولماذا لا تُعاد إلى الحظيرة؟». «لأن النقل مُكلِّف. تُبلَّغ الحظيرة بأمر الرؤوس المُستبعدة وبعدئذٍ تُضبط الحسابات». «ولماذا لا تُعالج؟». «لأن الاستثمار في علاجها باهِظ». لا تتوقَّف أسئلة الأطول: «هل تصل رؤوس ميتة؟». ينظر إليه باندهاش واضح. ليس من المعتاد أن يطرح المرشحون مثل هذه الأسئلة. تبدو له هذه المستجدات أمرًا مثيرًا للاهتمام. «قليل منها فقط، لكن بين الحين والآخر قد تصل رؤوس ميتة. في هذه الحالة، نبلغ هيئة سلامة الغذاء ويأتون لسحبها». يعرف أن تلك العبارة الأخيرة هي الحقيقة الرسمية، وبالتالي فهي حقيقة نسبية. يعرف (لأنه يسمح) أن العمال يتركون بعض الرؤوس لـ«الرمامين» كي يصطادوها بالسواطير ويأخذوا ما تيسر من لحومها. لا يهتمون بكونه لحمًا مريضًا. يُخاطرون لأنهم لا يقدرون على تَحمُّل تكلفة الشراء. يتغاضى عن الأمر ويسمح بحدوثه كمبادرة إحسان أو كفعل قائم على الرحمة. يسمح به أيضًا لأنه طريقة لتهدئة «الرمامين» والجوع، فاشتهاء اللحم أمرٌ خطير.

بينما يسيرون في منطقة أقفاص الراحة يقول لهما إنهما في البداية سيعملان في مهام بسيطة مثل التنظيف والجمع، وكلما أظهرا قدرة وإخلاصًا، تعلَّما مهام أخرى.

رائحة منطقة أقفاص الراحة لاذعة ونفاذة. يفكِّر في أن هذه رائحة الخوف. يصعدون سُلَّمًا يقودهم إلى شرفة مُعلَّقة تسمح بمراقبة الشحنة. يطلب منهما ألا يتحدَّثا بقوَّة لأن الرؤوس يجب أن تكون هادئة، فأي صوت مفاجئ يُربكها، وإن توترت فستصعب السيطرة عليها. الأقفاص هناك في الأسفل. لا تزال الرؤوس مضطربة بعد عملية النقل

(1) وردت في النص باللاتينية والمقصود هنا فحوصات ما قبل الموت، أي ما قبل الذبح. (المترجم).

على الرغم من أن تفريـغ الشحنة جرى في وقت مبكر جدًّا، لهذا تتحرَّك مفزوعة.

يشرح لهما أن الرؤوس عقب وصولها تخضع إلى تحميم بالرشِّ، ثم إلى الفحص. يقول: «يجب أن تكون صائمة. نُقدِّم لها نظامًا غذائيًّا قائمًا على السوائل لتقليل محتوى الأمعاء وخطر التلوث حين يبدأ العمل عليها بعد ذبحها». يحاول حساب عدد المرات التي كرَّرَ فيها هذه العبارة طيلة حياته.

يُشير المرشح الأقصر إلى الرؤوس المختومة بصليب أخضر. «ما الذي تعنيه هذه العلامات الخضراء على صدورها؟». «تعني أنها قد اختيرت لأرض الصيد. يفحص الخبراء الرؤوس ويختارون الأفضل منها بدنيًّا. يحتاج الصيادون إلى طرائد كي يغدو الأمر تحدِّيًا. يريدون ملاحقتهم. ليسوا مهتمين بالأهداف الثابتة». يقول الأطول: «بالطبع، لهذا أغلبيتهم من الذكور». «أجل. الإناث خاضعات بوجه عام، لكن حين جُرِّب الأمر مع الإناث الحُبليات، اختلفت النتيجة تمامًا، إذ يتوحَّشن. يطلبون منا نساءً حُبليات بين الحين والآخر». يسأل المرشح الأقصر: «وماذا عن الصلبان السوداء؟». «معناها أن هذه الرؤوس مُخصَّصة للمعامل». يحاول المرشح الأقصر أن يقول شيئًا ما، لكنه يمضي في طريقه. لا يفكِّر في أن يحكي له شيئًا عن هذا المكان، عن «معمل فالكا». حتى إن أراد أن يحكي، فلن يقدر.

يُحيِّيه العُمال، الذين يفحصون الشحنة من داخل الأقفاص. يقول لهما وهم ينزلون سُلَّمًا ويتقدمون نحو منطقة الحجيرات: «سينقلون غدًا الرؤوس التي وصلت للتو إلى الأقفاص الزرقاء، ومن بعدها مباشرةً إلى الذبح».

يتأخر المرشح الأقصر وهو ينظر إلى الرؤوس الموجودة في الأقفاص الزرقاء. يشير إليه كي يقترب منه. يسأله ما إذا كانت ستُذبح اليوم، فيقول له: أجل، فينظر إليها في صمت.

يمرُّون قبل وصولهم إلى منطقة الحجيرات عبر منطقة فيها أقفاص خاصة حمراء اللون. إنها أقفاص نظيفة وفي كل منها رأس واحد. يشرح لهما قبل أن يسألاه أن هذا

لحم للتصدير، وأن هذه رؤوس من الجيل الأول النقي. «إنه أغلى لحم في السوق، إذ يتطلب الأمر سنوات لتربيته». يضطر إلى أن يشرح لهما أن بقية اللحم يُعدَّل جينِيًّا كي ينمو بشكل أسرع ويُدرُّ ربحًا أكثر. يسأله الأطول: «لكن، إذن، هل كل اللحم الذي نأكله صناعي بالكامل؟ هل هو لحم اصطناعي؟». «حسنًا، الإجابة هي لا. لن أدعوه لحمًا صناعيًّا أو اصطناعِيًّا. سأدعوه لحمًا مُعدَّلًا. الطعم ليس مُختلِفًا تمامًا عن الجيل الأول النقي، لكن لحم الجيل الأول النقي درجة أولى ولأصحاب الذائقة الرفيعة». يقف المرشحان في صمتٍ وهما ينظران إلى الأقفاص والرؤوس التي تظهر في كل أنحاء جسدها أحرف «ج.أ.ن»، بمُعدل علامة واحدة عن كل عام من الحياة.

يشحب وجه الأطول قليلًا. يعتقد هو أنه لن يقدر على تَحمُّل الآتي وأنه سيتقيَّأ أو سيفقد وعيه على الأرجح. يسأله ما إذا كان بخير. يُجيبه: «أجل. بخير، بخير». يحدث هذا دائمًا مع المُرشح الأضعف. يحتاجون إلى المال، لكن المال وحده ليس كافيًا.

يشعر بإرهاق قادر على قتله، لكنه يواصل السير.

11

يدخلون إلى منطقة الحُجيرات، لكنهم لا يجتازون الاستراحة المزودة بنافذة ضخمة تطلُّ على قاعة «إفقاد الوعي». بياض المكان شاهق إلى درجة تكاد تعميهم.

يجلس الأطول. يسأل الأقصر لماذا لا يُمكنهم دخول القاعة. يجيبه بأنه يُسمح فقط للعاملين المصرح لهم بدخولها وبملابس العمل الرسمية، وإنهم يتخذون كل التدابير الضرورية لِكَيْلا يتلوث اللحم.

يوجه له سرخيو، أحد مُفقدي الوعي، التحية ويدخل الاستراحة. يكتسي بالبياض، وينتعل حذاءً أسودَ ويرتدي قناعًا، ومئزرًا بلاستيكيًا، وخوذة، وقفازًا، يعانقه. «تيخو، عزيزي، أين كنت؟». «في الجولة مع العملاء والموردين. تعال سأقدمك إلى صُحبتي».

يخرج بين الحين والآخر لشُرب الجعة مع سرخيو. يبدو له رجلًا أصيلًا، فهو لا ينظر

إليه وعلى وجهه ابتسامة مُتكلفة لأنه الذراع اليمنى للمدير، ولا يفكر في أي مصلحة قد تعود عليه منه، ويقول دائمًا ما يظنه من دون محاذير. حين مات الطفل، لم ينظر إليه سرخيو بأسى. لم يقل له: «لقد صار ليو الآن ملاكًا صغيرًا». لم ينظر إليه في صمت من دون أن يعرف ما الذي يتحتَّم عليه فعله. لم يتفاداه أو يُعامله بصورة مختلفة. لقد عانقه ورافقه إلى حانة ودفعه إلى الثمل ولم يكفَّ عن إخباره بنكات إلى أن بكى الاثنان من فرط الضحك. ظلَّ الألم قائمًا، لكنه علم أنه يحظى بصديق. ذات مرة سأله لماذا يعمل في إفقاد وعي الذبائح، فقال له سرخيو إنه وجد نفسه مضطرًا إلى الاختيار بين الرؤوس وعائلته، وإنه لا يُجيد شيئًا آخر سوى هذا، وإنه يحصل على راتب جيِّد. كلما شعر بالندم، فكر في أبنائه وكيف أنه يمنحهم حياة أفضل بفضل هذا العمل. قال له إنه على الرغم من أن حظر اللحم الأصلي لم يقضِ على التعداد السكاني الزائد أو الفقر أو الجوع، لكنه ساعد في السيطرة على كل هذا. قال له إن كل شخص في هذه الحياة له وظيفة، وإن وظيفة اللحم هي أن يُذبح ثم يُؤكل. قال له إن الناس يحصلون على الغذاء بفضل عمله، ولهذا فهو يشعر بالفخر. قال له ما هو أزيد من ذلك، لكنه لم يعد قادرًا على الإنصات.

خرجا ليحتفلا معًا حين التحقت ابنته الكبرى بالجامعة. تساءل فيما يقرعان نخبًا كم رأسًا دفعت تكاليف تربية أبناء سرخيو، وكم ضربة مطرقة اضطر إلى أن يضربها طيلة حياته. عرض عليه أن يكون ذراعه اليمنى، لكن سرخيو أجابه بحسم: «أُفضِّل الضَّربات». قدَّرَ رفضه، ولم يطلب منه أي تفسيرات، لأن كلمات سرخيو بسيطة وواضحة. إنها كلمات من دون حواف مسنونة.

يقترب سرخيو من المُرشحين ويصافحهما. «وظيفته واحدة من أهم الوظائف، ألَا وهي إفقاد وعي الرؤوس. يجعلها تفقد وعيها بضربة واحدة كي تُذبح لاحقًا. أرهما يا سرخيو».

يحث المرشحين على صعود بعض الدرجات الموضوعة تحت النافذة. فبهذه الطريقة يصبحان على الارتفاع الكافي لمشاهدة ما يحدث داخل الحجيرة.

يدخل سرخيو إلى صالة الحجيرات ويصعد فوق منصة. يمسك المطرقة. يهتف: «هيا هات ما عندك» ينفتح باب مِقصلي[1] وتظهر انثى عارية عمرها يتخطى عشرين عامًا تقريبًا. إنها مُبتلة ويداها مُقيدتان وراء ظهرها بقيود بلاستيكية وشعر رأسها مجزوز من جذوره. مساحة الحُجيرة ضيقة. يستحيل عليها تقريبًا أن تتحرك. يضبط سرخيو وضعية سلسلة الأصفاد الصلبة المقاومة للصدأ المُمتدة عبر سير عمودي بمحاذاة عنق الأنثى ويغلقها. ترتعش الأنثى. تهز نفسها قليلًا. تودُّ أن تُحرِّر نفسها وتفتح فمها.

ينظر سرخيو إلى عينيها ويربت قليلًا على رأسها فيبدو كأنه يُداعبها. يقول لها شيئًا لا يسمعونه أو ربما أنه يغني لها. تقف الأنثى بلا حراك وهي أهدأ. يرفع سرخيو المطرقة ويضربها في جبهتها. إنها ضربة مكتومة، شديدة السرعة والصمت إلى درجة تبدو معها ضربة مخبولة. تفقد الأنثى وعيها. يتراخى جسدها ويسقط حين يفك سرخيو الأصفاد. ينفتح الباب القلّاب، ثم تميل قاعدة الحجيرة لِلَفظ الجسد الذي ينزلق فوق الأرضية.

يدخل أحد العمال ويقيد قدميها بحبال مربوطة بسلاسل. يقطع القيد البلاستيكي الذي يربط يديها ويضغط زرًّا. يرتفع الجسد، ثم يُنقل ورأسه إلى الأسفل، عبر منظومة من السيور المتحركة إلى غرفة أخرى. ينظر العامل إلى الاستراحة ويُحييه بإيماءة. لا يتذكر اسمه، لكنه يعرف أنه تعاقد معه منذ أسبوعين.

يُمسك العامل الخرطوم ويغسل الحجيرة والأرضية الملطختين بالفضلات.

ينزل الأطول من فوق الدرجات ويجلس فوق مقعد وهو يُطأطئ رأسه. يفكر هو: «سيتقيأ الآن». مع ذلك، ينهض المرشح الأطول ويُلملم شتاته. يدخل سرخيو مبتسمًا، وهو فخور بالعرض الذي قدمه. «وكيف بدا لكما الأمر؟ هل تودان أن تُجربا؟». يقترب المرشح الأقصر منه ويقول: «أجل أنا أود أن أجرب»، لكن سرخيو يضحك بقوة ويقول له: «لا يا عزيزي. ينقصك وقت طويل على الوصول إلى هنا».

---

(1) الباب المِقصلي: باب يُفتح من أسفل لأعلى ويغلق من أعلى لأسفل، واستمدَّ اسمه من المقصلة وآلية انغلاقها. (المترجم).

يبدو الآخر مُحبطًا. «دعني أشرح لك يا عزيزي. لو قتلت الرأس من الضربة، فستُفسد اللحم. وإن لم يفقد الرأس وعيه ودخل إلى الذبح حيًّا، فستُفسد اللحم أيضًا. هل تفهمني؟»، ثم يعانقه ويهزه قليلًا. «يا لشباب اليوم يا تيخو! يريدون أن يجتاحوا العالم وهم لا يعرفون المشي أصلا». يضحكون جميعًا، باستثناء صاحب الطلب. يشرح لهما سرخيو أن المبتدئين يستخدمون مُسدس الأوتاد. «هامش الخطأ قليل. هل تفهمني؟ لكن اللحم لا يكون طريًّا جدًّا. يستخدم ريكاردو -مُفقد الوعي الآخر الذي يرتاح في الخارج- المُسدس، لكنه يتدرَّب حاليًّا على المطرقة. إنه هنا منذ ستة شهور». يُنهي حديثه: «استخدام المطرقة لمن يفهمون الصنعة فحسب». يسأله الأطول ما الذي قاله إلى اللحم، حين تحدث معه. يندهش من أنه سمى الأنثى التي أفقدها وعيها بـ«اللحم»، لا الرأس أو المُنتَج. يُجيبه سرخيو بأن لكل مُفقد وعي سرًّا لتهدئة الذبائح قبل ضربته وأنه على كل مُفقد وعي جديد أن يجد طريقته الخاصة. يسأل الأطول: «ولماذا لا تصرخ الرؤوس؟». لا يود أن يجيبه. يود أن يكون في مكان آخر. يضطلع سرخيو في هذه المرة أيضًا بالإجابة عليه: «ليس لديها أحبال صوتية».

يصعد المرشح الأقصر فوق الدرجات وينظر إلى قاعة الحجيرات. يسند يديه فوق النافذة. نظرته مُفعمة باللهفة ونفاد الصبر.

يفكِّر في أن هذا المرشح خطير، فمن تملؤه هذه الرغبة في القتل، شخص غير مستقر، ولا يمكنه الاضطلاع به كعمل روتينيّ وتحويله إلى فعل تلقائي منزوع الشغف لذبح البشر.

12

يتركون الاستراحة. يشرح لهما أنهم سيتوجهون إلى قاعة الذبح. يسأل المرشح الأقصر: «هل سندخل؟». ينظر إليه بصرامة ويُجيبه: «لا. لن ندخل لأننا، كما شرحت لك، لا نرتدي الملابس التي تنص عليها اللوائح». ينظر الآخر إلى الأرض ولا يُجيبه. يضع يديه في جيبي بنطلونه بنفاد صبر. يشتبه في أنه مرشح زائف. بين الحين والآخر، يظهر بعض الأشخاص الذين ينتحلون صفة مرشحين للعمل كي يشهدوا الذبح. إنهم أشخاص يستمتعون بالعملية. يرونها كشيء مثير للفضول أو طرفة شائقة يضيفونها إلى حياتهم.

يظن أنهم أشخاص لا يتحلون بالشجاعة الكافية لقبول ثقل هذا العمل والاضطلاع به.

يسيرون عبر طُرقة بها نافذة طويلة تطل مباشرة على صالة الذبح. يرتدي كل العمال ملابس بيضاء فى هذه الصالة البيضاء، لكن هذه النظافة الظاهرية ملطخة بأطنان

من الدماء التي تسقط في حوض التصفية وتلطخ الجدران، وملابس العمل والأرضية، والأيدي.

تدخل الرؤوس عبر سير آلي. ثمَّة ثلاثة أجساد مُعلَّقة ورؤوسها إلى الأسفل. ذُبح أحد الرؤوس بالفعل وينتظر الاثنان الآخران دورهما. أحدهما هي الأنثى التي أفقدها سرخيو وعيها للتو. يضغط العامل زرًّا فيواصل الجسد الذي صفى دماءه تَقدُّمَه عبر السير فيما يتحرَّك الجسد الآخر ليصبح فوق الحوض. يفتح عنقه بحركة سريعة. يرتعش الجسد قليلًا. يسقط الدم في الحوض ويلطخ مئزره وبنطلونه وحذاءه.

يسأل الأقصر ما الذي يفعلونه بالدماء. يُقرر تجاهله وعدم الرد عليه. يقول الأطول: «يستخدمونها للأسمدة» ينظر إليه، فيبتسم الأطول ويقول له إن أباه عمل فترة في أحد مجازر الحقبة السابقة، وأنه حكى له بعض الأمور. «الحقبة السابقة». قال هذه العبارة الأخيرة وهو يطأطئ رأسه ويخفض صوته كأنه يشعر بحزن أو استسلام. يقول هو له إن دم الأبقار استُخدم فيما مضى فعلًا لصناعة المخصبات، لكن «هذا الدم له استخدامات أخرى». مع ذلك، لا يوضحها له.

يسأله المرشح الأقصر: «وهل يُستخدم في صناعة بعض الـ«مورثيّا»[1] اللذيذة أم لا؟»، فيحدق إليه بثبات ولا يجيبه.

يتشتت انتباه العامل بالحديث مع عامل آخر.

يُدرك أن العامل يستغرق هكذا وقتًا أكثر من المطلوب. تبدأ الأنثى التي أفقدها سرخيو الوعي تتحرَّك. لا يراها العامل. تنتفض الأنثى في البداية ببطء ثم تزداد قوتها لاحقًا. حركتها عنيفة إلى درجة ينفك معها وثاق إحدى قدميها من الحبال التي لم تُربط جيدًا. تسقط بضوضاء مكتومة. ترتعش فوق الأرضية وتتلطخ بشرتها البيضاء بدماء

(1) عبارة عن سجق ملآن بالدم المطبوخ والتوابل وهو طبق إسباني شهير وموجود بالطبع في بعض مطابخ أمريكا الجنوبية، ومنها الأرجنتين. (المترجم).

من ذُبحوا قبلها. ترفع الأنثى ذراعها. تحاول أن تنهض. يلتفت العامل وينظر إليها بلا مبالاة. يمسك مُسدَّسًا للأوتاد ويضربها في جبهتها، ثم يُعلِّقها مرة ثانية.

يقترب الأقصر من النافذة ويتابع المشهد وعلى وجهه نصف ابتسامة. يضع الأطول يده فوق فمه ذاهلًا.

يقرع هو فوق الزجاج، فيجفل العامل. لم يره. يعرف أن هذا الإهمال قد يكلفه عمله. يُشير إليه كي يخرج. يطلب العامل أن يحل أحد محله ويخرج.

يُحيِّيه باسمه ويقول له إن ما حدث مؤخرًا لا يجب تكراره. «هذا اللحم مات خائفًا وسيغدو مذاقه سيِّئًا. أفسدت عمل سرخيو بسبب تأخرك». ينظر العامل إلى الأرض ويقول له إنه مخطئ ويطلب منه مسامحته ويعده بأن الأمر لن يتكرر. يجيبه بأنه سيُنقل إلى منطقة تجهيز الأمعاء والكروش والكراعين حتى إخطار آخر. يشق على العامل إخفاء تعبير الاشمئزاز الذي ارتسم على وجهه، لكنه يُومئ برأسه.

تبدأ تصفية دماء الأنثى التي أفقدها سرخيو وعيها، فيما تنتظر واحدة أخرى ذبحها.

ينحني الأطول ويظل مُقرفصًا. يُمسك رأسه بيديه. يربت هو فوق ظهره ويسأله ما إذا كان بخير. لا يُجيبه الأطول، بل يُومئ له فقط بأن يمنحه دقيقة. يستمر الأقصر في النظر إلى صالة الذبح ، مبهورًا، من دون أن يُلاحظ ما حدث للتو. ينهض الأطول. صار شاحبًا وظهرت بعض نقاط من العرق فوق جبهته. يُلملم شتاته ويستأنف المشاهدة.

يرون جميعًا كيف يتحرك جسد الأنثى المُصفى من الدماء عبر السير إلى أن يفك عامل آخر الحبال من القدمين ويسقط الجسد في خزان ملآن بالماء المغلي إلى جوار جثث أخرى تطفو في الداخل. يجعلها عامل آخر تغطس داخله ويحركها بعصا. يسأل الأطول ما إذا كانت رئات الرؤوس ستمتلئ بالماء الملوث لدى تغطيسها أم لا. يُفكر: «إنه رجل ذكي». يشرح له أنه محق، لكنها كمية قليلة من الماء لأن الذبائح لم تعد

تتنفس، غير أن المجزر في استثماره المُقبل يخطط لشراء آلة تعمل بتقنية الرش لأداء الوظيفة ذاتها. يوضح له: «في هذه الآلات، تكون عملية الغسل بالماء الحار فردية وعمودية».

يضع العامل إحدى الجثث الطافية فوق شبكة التحميل التي ترتفع، ثم تُقذف الجثة في حوض الآلة الذي يبدأ في الدوران. تعمل منظومة من الأسطوانات المزودة بشفرات كاشطة على إزالة شعر جسدها. لا تزال رؤية هذا الجزء من العملية تبهره، إذ تدور الجثث بأقصى سرعة، فتبدو كأنها تؤدي رقصة غريبة غامضة.

13

يُشير إليهما ليسيرا وراءه. سيذهبان إلى منطقة الأمعاء والكروش والكراعين. بينما يسيرون ببطء شديد، يقول لهما إن المنتج يُستخدم بالكامل تقريبًا. «عمليا، لا يُهدَر أي شيء». يقف المُرشح الأقصر لينظر كيف يُعيد أحد العمال فحص الجثث التي غسلت بالماء الحار وهو يستخدم موقد لحام لتفقد أي شعر باقٍ. صار إفراغ أحشاء الجثث الآن ممكنًا، بعد أن أُزيل شعرها بالكامل.

يمرُّون على قاعة التقطيع قبل الوصول إلى منطقة الأمعاء والكروش والكراعين. تتصل كل القاعات فيما بينها عبر سير ينقل الجثث كي تمر على كل واحدة من المراحل المطلوبة. يتمكنون عبر النوافذ الممتدة من رؤية كيف يُقطع رأس وأطراف الأنثى التي أفقدها سرخيو وعيها.

يتوقفون للمشاهدة.

يُمسك أحد العُمال الرأس، ويأخذه إلى طاولة أخرى حيث ينتزع العينين ويضعهما فوق صينية مزودة بلافتة عليها كلمة «أعين». يقطع اللسان ويضعه فوق صينية

مزودة بلافتة عليها كلمة «ألسُن». يقطع الأذنين ويضعهما فوق صينية مزودة بلافتة عليها كلمة «آذان». يُمسك العامل مثقابًا ومطرقة ويدق بحرص فوق الجزء السفلي من الرأس. لا يتوقف إلا بعد انكسار جزء من الجمجمة. يُخرج المخ بعناية ويضعه فوق صينية مزودة بلافتة عليها كلمة «أمخاخ».

يضع الرأس بعد أن صار خاويًا وسط الثلج داخل صندوق تظهر عليه كلمة «رؤوس».

يسأله المرشح الأقصر بحماس مكبوت: «ما الذي يُفعل بالرؤوس؟». يُجيبه بتلقائية: «ثمة استخدامات كثيرة. من ضمنها إرسالها إلى المقاطعات التي تشتهر بتسوية لحم الرأس في الحفر». يقول الأطول: «لم أجربها، لكن يقولون إنها شهية جدًّا. لحم قليل ورخيص ولذيذ، إذا ما طُهي جيِّدًا».

جمع عامل آخر اليدين والقدمين ووضعهما بعد أن نظفهما في الصناديق الخاصة بهما. تُباع الأذرع والسيقان مع باقي الذبيحة في محلات الجزارة. يشرح لهما أن كل المنتجات تُغسل وتُفحص من قبل مفتشين قبل تبريدها. يشير إلى رجل ملابسه مثل البقية، لكنه يحمل دفترًا يُدون فيه بيانات ومعه ختم تصديق يستخدمه بين الفينة والأخرى.

سُلخت الأنثى التي أفقدها سرخيو الوعي بالفعل وصار لا يُمكن التعرف عليها. أصبحت من دون جلدها وأطرافها، مجرد ذبيحة. يرون كيف يرفع أحد العمال الجلد الذي سلخته الآلة، وبالمثل وهو يفرده بعناية في صناديق طويلة.

يستأنفون السير. تطل النوافذ المُمتدة الآن على القاعة الوسطى أو قاعة التقطيع. تتحرك الأجساد المسلوخة على السيور. يقطعها العُمال بدقَّة من عند العانة حتى الضفيرة البطنية. يسأل المرشح الأطول عن سبب وجود عاملين لكل جسد. يجيبه بأن أحدهما منوط بالقطع، والآخر بخياطة فتحة الشرج لتجنُّب أي إفرازات قد تلوِّث المنتج. يضحك الأقصر ويقول: «لن تروقني هذه الوظيفة». يفكِّر هو في أنَّه صار

أصلًا خارج حساباته حتى لعمل مثل هذا. بدأ المرشح الأطول يمل من الأقصر، ولهذا نظر إليه بازدراء.

تسقط الأمعاء والمعدة والبنكرياس فوق طاولة من الحديد المقاوم للصدأ وينقلها عمال إلى منطقة الأمعاء والكروش والكراعين.

تتحرَّك الأجساد فوق السيور. ثمة طاولة أخرى، يقطع فيها عامل آخر التجويف العُلوي، ثم يخرج الكُلى والكبد ويفصل الضلوع ويقطع القلب والمريء والرئتين.

يستأنفون السير. يصلون إلى قاعة الأحشاء والكروش والكراعين. ثمة طاولات من الحديد المقاوم للصدأ مزودة بأنابيب يخرج منها الماء. تظهر على الطاولات أمعاء بيضاء. يُحركها العُمال فتنزلق في الماء. تبدو كبحر في حالة فوران بطيء يتحرك بإيقاعه الخاص. يفحصها العُمال وينظفونها ويغسلونها بضخ الماء ويفككونها ويصنفونها ويقطعونها ويعايرونها ويحفظونها. يرون كيف يرفعها العمال ويغطونها بطبقات من الملح قبل وضعها في صناديق. يرون كيف يزيلون دهونها. يرون كيف يحقنونها بالهواء المضغوط للتأكد من عدم وجود ثقوب. يرون كيف يغسلونها ويقطعونها لإخراج محتواها عديم الشكل الذي يتراوح لونه بين البني والأخضر قبل التخلص منه. يرون كيف ينظفون هذه المِعَد الخاوية والمقطوعة، وكيف يجففونها، ويقللون حجمها، ويقطعونها إلى شرائح، ويضغطونها كي تبدو مثل إسفنجة قابلة للأكل.

يرون في القاعة الأخرى، الأصغر، أحشاء حمراء معلقة من خطاطيف. تُفحص، وتُغسل، وتُختم، وتُحفظ.

يتساءل دائمًا عما قد يشعر به المرء حين يقضي أغلب يومه وهو يضع قلوبًا بشرية في صناديق. ما الذي يُفكر فيه هؤلاء العُمال؟ هل يعون أن ما بين أيديهم كان ينبض منذ لحظات؟ هل يهتمون بالأمر؟ يُفكر في أنه هو الآخر يكرس جزءًا كبيرًا من حياته للإشراف على الكيفية التي تُذبح بها مجموعة من الأشخاص رجالًا ونساءً بناءً على

أوامره، قبل أن تستخرج أحشاءهم وتقطعها بكل عفوية. قد يعتاد المرء على أي شيء، إلا موت ابنه.

كم عدد الرؤوس التي يجب قتلها شهريًّا كي يدفع مستحقات دار رعاية أبيه؟ كم إنسانًا يجب أن يُذبح كي ينسى أنه وضع لِيُو في مهده ودثره وغنّى له أغنية، ثم استيقظ في اليوم التالي ليجده ميتًا؟ كم عدد القلوب التي يجب أن تُوضع في صناديق كي يتحوَّل الألم إلى شيء آخر؟ غير أن الألم، كما يعلم هو الشيء الوحيد الذي يُبقيه على قيد الحياة.

فمن دون الحزن، ليس لديه شيء آخر.

14

يشرح للمُرشحين أنهم أوشكوا على الوصول إلى نهاية عملية الذبح. سيذهبون إلى صالة تقسيم الذبائح. يتمكنون عبر نافذة مربعة صغيرة من رؤية قاعة أضيق، لكنها في بياض وإضاءة القاعات السابقة نفسهما. يقطع رجلان يرتديان ملابس العمل النظامية وخَوذتين وحذاءين أسودين الجُثث من منتصفها بمنشارين كهربائيين. يغطي وجهيهما واقيان بلاستيكيان. يبدوان في قمة التركيز. يفحص عمال آخرون الأعمدة الفقرية التي أزيلت قبل القطع، ويحفظونها في صناديق.

ينظر إليه أحدهما. لا يوجه التحية. إنه بدرو مانثانيو. يسحب المنشار ويقطع الجسد بعنف أكبر. ربما يبدو غاضبًا، لكنه يمارس عمله بدقة. يعرف أن وجوده يُربك مانثانيو. يحاول دائمًا ألا تتقاطع طرقهما، لكن الأمر محتوم.

يشرح للمُرشحَين أن أجساد الذبائح تُغسل وتُفحص وتُختم وتُوضع في غرفة تهوية بعد تقطيعها كي تحصل على البرودة الكافية. يسأل الأقصر: «لكن، ألا يُصبح اللحم أنشف مع البرد؟». يشرح لهما العمليات الكيماوية التي يظل بسببها اللحم طَرِيًّا حتى مع البرد. ينطق كلمات مثل حمض اللاكتيك والميوسين والأدينوسين ثلاثي الفوسفات والجليكوجين والإنزيمات. يُومئ المرشح الأقصر كأنه قد فهم فعلًا. يقول لهما كي يُنهي الجولة ويخرج ليدخن: «ينتهي عملنا حين تُنقل أجزاء المُنتج إلى وجهاتها المقررة».

يترك مانثانيو المنشار الكهربائي فوق الطاولة وينظر إليه مجدَّدًا. لا يشيح هو ببصره لأنه يعرف أنه فعل ما تحتم عليه فعله ولا يشعر بالذنب. كان مانثانيو يعمل مع موظف آخر سموه «العلّامة» لأنه كان مثل الموسوعة. عرف معاني الكلمات المعقدة، واعتاد أن يقرأ في فترات الراحة كتبًا. في البداية ضحكوا، لكنه حين حكى لهم موضوعات الكتب التي يقرؤها، انبهروا وأنصتوا إليه. اتسمت علاقته. مع مانثانيو بطابع أخوي. عاشا في الحي نفسه، بل وجمعت صداقة بين زوجتيهما وأبنائهما. وصلا معًا إلى العمل وشكلا فريقًا جيدًا، لكن أحوال «العلامة» بدأت تتبدَّل قليلًا. في البداية، لم يلاحظ الأمر أحد سواه. رآه يصمت أكثر من المعتاد، ولاحظ أنه شرع في فترات الراحة ينظر إلى الشحنات الموجودة في أقفاص الاستراحة. انخفض وزنه وصار يعاني هالات سوداء. بدأ يتأخر في قطع الذبائح، وصار يمرض كثيرًا ويغيب عن العمل. واجهه ذات يوم وسأله عن الأمر، لكن «العلامة» أنكر وجود مشكلة. بدا في اليوم التالي كأنه قد عاد إلى أحواله الطبيعية، فحسب هو لفترة من الزمن أنه صار بخير. مع ذلك، جاء يوم قال فيه «العلامة» إنه سيأخذ راحة من العمل، بيد أنه أخذ المنشار الكهربائي معه في غفلة من الجميع. ذهب إلى أقفاص الاستراحة وبدأ يفتحها. هدَّدَ بالمنشار كل عامل حاول الاقتراب منه. هربت بعض الرؤوس، لكن أغلبها بقيت في الأقفاص، إذ شعرت بالارتباك والفزع. صرخ «العلامة» فيها: «لستم حيوانات. سيقتلونكم. اركضوا. عليكم أن تهربوا»، كأنَّ الرؤوس ستفهم ما يقوله. تمكن أحد من ضربه بمطرقة، ففقد وعيه. كل ما فعله تمرده هو تأخير الذبح بضع ساعات. لم يستفد أحد من تصرفه سوى العمال الذين تمكنوا من الاستراحة من مهامهم واستمتعوا بهذا التوقف. لم تصل الرؤوس التي هربت بعيدًا وأُعيدت إلى أقفاصها.

اضطر إلى فصل «العلّامة» لأنه لا يُمكن إصلاح شخص قد انكسر. مع ذلك، تحدث مع كريج كي يُوفر له علاجًا نفسيًّا ويتحمل تكلفته، لكن بعد مرور شهر أطلق «العلّامة» الرصاص على نفسه. اضطرت زوجته إلى الرحيل مع أبنائها عن الحي، ومنذ ذلك الحين بدأ مانثانيو ينظر إليه بكره حقيقي. يحترمه لهذا السبب. سيقلق حين يتوقف عن التحديق إليه؛ حين يفشل الكره في إبقائه واقفًا على قدميه، وهذا لأن الكره يمنح المرء القوة ليمضي قُدُمًا ويدعم بنيانه الضعيف ويحيك خيوطه لِكَيْلا

يصبح كل شيء مشغولًا بالخواء. يتمنى لو أن بمقدرته كره أحد على وفاة ابنه. لكن من الذي يمكن تحميله مسؤولية موت مفاجئ؟ حاول أن يكره الرب، لكنه لا يؤمن به. حاول أن يكره الإنسانية كلها لأنها شديدة الهشاشة وسريعة الزوال، لكنه عجز، لأن كره الكل يتساوى مع عدم كره أحد. يتمنى لو أن بمقدرته الانكسار مثل «العلامة»، لكن هذا الانهيار المنتظر لا يأتي أبدًا.

ظلَّ الأقصر صامتًا ورأسه مُلتصق بالنافذة وهو ينظر إلى كيف تُقطع الأجساد إلى نصفين. لم يعد يخفي الابتسامة الموجودة على وجهه. يتمنى تيخو أن يشعر بهذا. يتمنى أن يشعر بالسعادة أو بالإثارة حين يُرقي عاملًا من غسل دماء الأرضيات إلى تصنيف وحفظ الأعضاء في الصناديق، أو يتمنى على الأقل ألا يبالي بشيء أبدًا. ينظر إلى المرشح الأقصر بإمعان. يرى أنه يخفي هاتفًا خلويًّا تحت سترته. كيف لمثل هذا الأمر أن يحدث إن كان قسم الأمن قد فتشهما وطلب منهما هواتفهما الخلوية وأخبرهما بأن تصوير الفيديو والصور ممنوعان! يقترب وينتزع هاتفه الخلوي. يلقيه أرضًا ويكسره. يجذبه من ذراعه بقوة ويقول له في أذنه بغضب مكبوت: «لا تأتِ إلى هنا أبدًا. سأرسل بياناتك وصورتك إلى كل المجازر التي أعرفها». يلتفت المرشح الأقصر.

لا يُظهر في أي لحظة أمارات على التفاجؤ أو الخزي أو أنه سينطق أي كلمات، بل ينظر إليه بتبجح فحسب ويبتسم.

15

يرافق المُرشحَين إلى المخرج. قبلئذٍ، يتصل برئيس الأمن ويقول له أن يأتي كي يأخذ المرشح الأقصر. يشرح له ما حدث، فيقول له رئيس الأمن أن يهدأ وألا يشغل باله. يُخبره بأنهما يجب أن يتحدَّثا لاحقًا وأن أمرًا مثل هذا ما كان يجب أن يحدث. يُذكر نفسه بضرورة التحدث مع كريج عن الأمر. إنَّ تولي طرف ثالث مسؤولية الأمن خطأ. قال له هذا الأمر بالفعل، لكنه سيضطر إلى أن يقوله مجدَّدًا.

لم يَعُد المُرشح الأقصر يبتسم، لكنه في الوقت نفسه لم يقاوم حين أخذوه.

يودِّع المرشح الأطول بمُصافحته ويقول: «سنتصل بك»، فيشكره من دون اقتناع كبير. يفكر: «هذا ما يحدث دائمًا. أيُّ رد فعل سواه، سيغدو غريبًا».

ما من أحد عاقل سيسعد بعمل مثل هذا.

16

يقف في الخارج ليُدخِّن قبل أن يصعد ويرفع التقارير إلى كريـج. يرن هاتفه الخلوي. إنها حماته. يُجيب ويقول: «أهلًا جراثييلا»، من دون أن ينظر إلى الشاشة، لكنه يجد على الجانب الآخر من الخط صمتًا حادًّا وكثيفًا. حينئذٍ، يُدرك أنها ثيثيليا.

- أهلًا ماركوس.

إنها أول مرة تتصل به منذ ذهبت إلى بيت أُمها. تبدو منهكة.

- أهلًا.

يعرف أنها ستكون محادثة صعبة. يسحب نفسًا آخر من سيجارته.

- كيف حالك؟

- بخير. في المجزر. وأنتِ؟

تتأخر في الرد. تتأخر كثيرًا.

- أجل. أرى أنك هناك.

لكنها لا تنظر إلى الشاشة. تظل صامتة بضع ثوانٍ من دون أن تنظر إلى عينيه وتقول:

- لست بخير. لا تزال حالتي سيئة. أظن أنني ما زلت عاجزة عن العودة.

- لماذا لا تسمحين لي بزيارتك؟

- أحتاج إلى البقاء بمفردي.

- أفتقدك.

الكلمات ثقبٌ أسود. إنها ثقب يمتص أيَّ صوت وأيَّ جُزَيءٍ وأيَّ تنفس. لا تُجيبه، فيقول:

- أنا أيضًا مررتُ بالشيء نفسه. أنا أيضًا فقدته.

تبكي في صمت. تُغطي الشاشة بيدها ويسمع كيف تهمس قائلةً: «لم أعد أقدر على تَحمُّل المزيد». تنفتح بينهما هوة سقوط حر ملآنة بالنتوءات. تُناول الهاتف لأمها.

- أهلًا ماركوس حالتها سيئة. سامحها.

- أجل يا جراثييلا. الأمور بخير.

- أرسل لك قُبلاتي. ستكون بخير.

يُنهيان المكالمة.

يظل جالسًا هنيهة. يمر العمال وينظرون إليه لكنهم لا يزعجونه. إنه في إحدى استراحات الهواء الطلق حيث يُسمح بالتدخين. ينظر كيف تتحرك رؤوس الأشجار مع الرياح التي تُخفف قليلًا من وطأة الحر. يروقه الإيقاع وصوت الأوراق التي تتلاطم فيما بينها. إنها قليلة، مُجرد أربع أشجار متلاصقة في وسط العدم.

يعرف أن ثيثيليا لن تصبح بخير أبدًا. يعرف أنها انكسرت، وأن حُطامها لا يمكن إعادة تشكيله من جديد.

أول ما يتذكره هو الدواء الذي وضعاه في الثلاجة وكيف جلباه في وعاء خاص لِكَيْلا يفقد برودته، وهما يشعُران بالأمل وبأنهما مديونان. يتذكر الحقنة الأولى التي طلبت منه أن يحقنها في بطنها. لقد حقنت ملايين، بل مليارات أو عددًا لا يُمكن حصره من الحقن. لكنها أرادت منه أن يدشن هذا الطقس الذي كان بداية كل شيء. ارتعشت يده قليلًا لأنه لم يُرِد أن يؤلمها لكنها قالت: «هيا. احقن يا حبي. احقن بأمل. لن يحدث شيء». أمسكت إحدى ثنايا بطنها، فحقنها. شعرت بالألم. هذا صحيح، لأن الدواء بارد. شعرت به وهو يدخل جسدها، لكنها أخفت ألمها بابتسامة، فهذه كانت بدايةً لفرصة، لمستقبل.

كانت كلمات ثيثيليا كنهر من الأضواء أو تيار من الهواء. بدت كيراعات مُتلألئة. قالت له، قبل أن تعرف أنهما سيضطران إلى اللجوء إلى العلاجات، إنها تُريد أن يكون لأبنائها عيناه وأنفها، وفمه وشعرها. ضحك لأنها ضحكت ومع ضحكتها اختفى أبوه ومعه دار الرعاية والمجزر والرؤوس والدماء وضربات مفقد الوعي المكتومة.

الصورة التالية التي تتفجر داخل رأسه لوجه ثيثيليا حين فتحت المظروف ورأت نتائج تحليل مخزون المِبيض. لم تفهم لماذا يظهر مثل هذا الرقم المنخفض. نظرت إلى الورقة وهي عاجزة عن أن تنطق، إلى أن تحدثت ببطء: «أنا صغيرة. يجب أن أنتج بويضات أكثر»، لكنها قالت عبارتها بحيرة لأنها ممرضة وتعرف أن صغر السن ليس ضمانًا لشيء. نظرت إليه بعينيها بحثًا عن المساعدة، فأمسك الورقة وطبقها وتركها فوق الطاولة وقال لها ألا تقلق وإن كل الأمور ستكون بخير. بدأت تبكي، فعانقها

فحسب وقبلها في جبهتها ووجهها وهو يقول لها: «كل الأمور ستكون بخير»، مع أنه علم أن هذا لن يحدث.

بعدئذٍ، جاءت المزيد من الحقن والأقراص، والبويضات سيئة الجودة، والحمامات والشاشات التي ظهرت عليها نساء عاريات، وضغوط ملء أكواب التحاليل البلاستيكية، وحفلات التعميد التي لم يحضراها، وسؤال «ومتى ستنجبان ابنكما الأول؟» الذي تكرَّرَ إلى حد الإنهاك، ثم غرف العمليات التي لم يتركوه يدخلها ويُمسك بيدها لِكَيْلا تشعر بمثل هذه الوحدة؛ فديون أخرى والمزيد من الأطفال الذين أنجبهم آخرون، أولئك الذين قدروا فعلًا على الإنجاب، ثم احتباس السوائل وتغيرات المزاج والنقاشات حول احتمالية التبني ومكالمات المصرف، وأعياد ميلاد أطفال أرادا أن يهربا منها، ثم المزيد من الهرمونات والتعب المزمن والبويضات التي لا تُخصب، ونوبات البكاء والكلمات الجارحة، وأعياد الأم الصامتة، ثم أمل تشكل الجنين وقائمة الأسماء المحتملة: ليوناردو لو أنه ولد. وآريا لو أنها بنت، واختبارات حمل تُلقى في سلة المهملات وسط شعور بالعجز، ومن بعدها الشجارات والبحث عن متبرعة بالبويضات، والشكوك حول الهوية الجينية، ثم خطابات المصرف والانتظار وأنواع مختلفة من الخوف، فقبول أن الأمومة لا ترتبط بالكروموسومات، ثم الرهن العقاري والحمل فالانتشاء والسعادة إلى أن جاء الموت.

17

يعود في وقت مُتأخر إلى البيت.

يفتح باب المستودع. يرى الأنثى تنام مُتكورة. يُغير لها المياه ويضع لها مزيدًا من الطعام. تستيقظ مفزوعة من صَوت الطعام المتوازن لدى اصطدامه بالطبق المعدني. لا تقترب. تنظر إليه بخوف.

يفكر في أنه يتحتّم عليه أن يُحمِّمها ، لكن ليس الآن أو اليوم، إذ إن لديه شيئًا أهم ليفعله.

يغادر المستودع ويترك الباب مفتوحًا. تمضي الأنثى وراءه ببطء. يُوقفها الحبل عند الباب. يدخل بيته ويذهب مباشرة إلى غرفة ابنه. يُمسك المهد ويتركه وسط النجيل. يدخل المُستودع ويبحث عن الفأس والكيروسين. تظل الأنثى واقفة وهي تنظر إليه.

يتجمَّد في مكانه إلى جوار المهد وسط الليل الملآن بالنُّجوم. تدهسه كل هذه الأضواء الموجودة في السماء بضوئها المتوحِّش. يدخل البيت ويفتح زجاجة ويسكي.

يقف إلى جوار المهد ولا يبكي. ينظر إليه ويأخذ الزجاجة. يستخدم الفأس أوَّلًا. يحتاج

إلى تدمير الفراش. يكسره وهو يتذكَّر حين أمسك بقدمَي ليو الصغيرتين بين يديه، بمجرد أن وُلد.

بعدئذٍ، ينثر الكيروسين فوقه ويشعل ثقابًا. يشرب المزيد. تبدو السماء محيطًا ساكنًا.

ينظر كيف تختفي الصور المرسومة باليد. يحترق الدب والبطة المتعانقان. يفقدان شكلهما. يتبخران.

ينتبه إلى أن الأنثى تنظر إليه. تبدو مبهورة بالنيران. يدخل إلى المستودع فتتكور الأنثى بفزع. يترنح واقفًا. ترتعش الأنثى. ماذا إن حطمها هي الأخرى؟ إنها ملكه. يُمكنه أن يفعل بها ما يريده. يمكنه أن يقتلها، أن يذبحها، أن يجعلها تُعاني. يُمسك الفأس. ينظر إليها في صمت. هذه الأنثى مُشكلة. يرفع الفأس يقترب منها ويقطع الحبل.

يخرج ويرقد فوق النجيل تحت صمت هذه الأضواء الموجودة في السماء؛ هذه الأضواء المتجمِّدة والميتة التي يُقدَّر عددها بالملايين. السماء من الزجاج، وهو زجاج أغبش وصلب، فيما يبدو القمر ربًّا غريبًا.

لم يعد يأبه بأن تهرب الأنثى. لم يعد يأبه بأن تعود ثيثليا.

آخر ما يراه هو باب المُستودع والأنثى، تلك المرأة، وهي تنظر إليه. تبدو كأنها تبكي، لكن لا يُمكنها أن تفهم، فهي لا تعرف ما هو المهد. إنها لا تعرف شيئًا.

حين لم يبق شيء سوى الجمرات، كان قد نام بالفعل فوق النجيل.

18

يفتح عينيه، لكنه يغمضهما. يؤذيه النور. يؤلمه رأسه. يشعر بالحرّ وبوخز في صدغه الأيمن. يظل ساكنًا، فيما يحاول تذكَّر لم هو في الخارج. تظهر صورة ملتبسة داخل عقله. ثمة حجر فوق صدره. هذه هي الصورة. إنه ما حلم به. يجلس وعيناه لا تزالان مغمضتين. يحاول أن يفتحهما، لكنه يعجز. يسند رأسه إلى ركبتيه ويعانقهما. يظل بلا حراك بضع ثوان. تخونه الذاكرة، إلى أن يتذكر الحلم بوضوح مرعب.

يدخل فيه عاريًا إلى غرفة خاوية تُلطخ جدرانها الرطوبة وشيء بني اللون. يبدو دمًا. الأرضية قذرة ومحطمة. يجلس أبوه في أحد أركانها على أريكة خشبية. إنه عارٍ وينظر إلى الأرض، يحاول الاقتراب منه لكنه يعجز عن التحرك. يحاول مناداته، لكنه يعجز عن التحدث. في الزاوية الأخرى، ثمة ذئب يأكل لحمًا، وكلما نظر إليه، رفع رأسه وزمجر. يُكشر عن أنيابه. يتحرك ما يأكله الذئب. إنه حي. يمعن النظر. إنه ابنه الذي يبكي من دون أن يصدر صوتًا. يشعر باليأس يريد أن ينقذه لكنه يبقى صامتًا، بلا حراك. يحاول أن يصرخ. ينهض أبوه ويسير في دوائر عبر الغرفة، من دون أن ينظر إليه أو إلى حفيده الذي يُمزقه الذئب. يبكي من دون دموع. يصرخ. يرغب في الخروج من جسده لكنه يعجز. يظهر رجلٌ ومعه منشار. ربما هو مانثانيو، لكنه يعجز عن رؤية وجهه إنه مطموس. ثمة نور. إنها شمس تتدلى من السقف. تتحرك لتخلق نورًا

بيضاويًا أصفر. يكف عن التفكير في ابنه، كأنه لم يكن موجودًا قط. يقطع الرجل الذي ربما هو مانثانيو صدره. يفتحه. لا يشعر بشيء. يفحص ما إذا كان عمله قد تم على أكمل وجه. يُصافحه لتهنئته. يدخل سرخيو وينظر إليه باهتمام. يبدو عليه التركيز الشديد. لا يتحدث معه. ينحني ويضع يده في صدره. يتفقده وهو يُحرك أصابعه ويقلب ما في داخله. ينتزع قلبه. يأكل قطعة. يسيل الدم من فمه. لا يزال القلب ينبض، لكن سرخيو يلقيه على الأرض. بينما يدهسه، يقول له في أذنه: «ما من شيء أسوأ من عجزِ المرء عن رؤية نفسه». تدخل ثيثيليا الغرفة ومعها حجر أسود. وجهها هو وجه سبانيل، لكنه يعرف أنها ثيثيليا. تبتسم.

تتحرك الشمس سريعًا. يتضخم الشكل البيضاوي. يلمع الحجر وينبض. يعوي الذئب. يجلس أبوه وهو ينظر إلى الأرض. تفتح ثيثيليا صدره أكثر وتضع الحجر. إنها جميلة. لم يرها تُشع جمالًا بهذه الصورة قط. تستدير. لا يريدها أن ترحل. يحاول أن يناديها، لكنه يعجز. تنظر إليه بسعادة. تُمسك مطرقة وتفقده وعيه، بضربة في منتصف جبهته. يسقط، لكن الأرض تنفتح فيواصل السقوط، لأن الحجر الموجود في صدره، يُغرقه في هوة بيضاء.

يرفع رأسه ويفتح عينيه. يُغمضهما مُجددًا. لا يتذكر أحلامه أبدًا، ليس بمثل هذا الوضوح. يضع يديه على مؤخرة رقبته. إنه مجرد حلم. هكذا يفكر، لكن ثمة إحساس مزعزع يجتاحه، كأنه خوفٌ عتيق.

ينظر إلى جواره ويرى رماد المهد. ينظر إلى الجانب الآخر ويرى الأنثى راقِدة وهي قريبة جدًا من جسده. ينهض مفزوعًا، لكنه يترنَّح، فيجلس مرة ثانية. ما الذي فعلته؟ لماذا هي حرة؟ لماذا لم تهرب ؟ ما الذي تفعله وهي نائمة إلى جواري؟

تنام وهي مُتكوِّرة. تبدو هادئة. يلمع جلد الأنثى الأبيض مع الشمس. سيلمسها. يود أن يلمسها، لكن الأنثى ترتعش، كأنها تحلم، فيُبعد يديه. ينظر إلى جبهتها المختومة بالنار إنه رمز الملكية والقيمة.

ينظر إلى شعرها المُنسدل الذي لم يُقص ويُباع بعد. إنه طويل ومُتسخ. ثمة نقاء واضح في هذا الكيان العاجز عن الحديث. هكذا يفكر، فيما يمضي بإصبعه من بعيد فوق كتفها، فذراعها، فخاصرتها، فساقيها وصولًا إلى قدميها. لا يلمسها. إصبعه على بعد سنتيمتر من جلدها؛ على بعد سنتيمتر من شعار الـ«ج.أ.ن» المُنتشر في كل أنحاء جسدها. يفكر: إنها جميلة، لكن جمالها بلا فائدة. لن يغدو طعمها ألذ لأنها جميلة. لا يندهش من تفكيره هذا، بل لا يتوقف عنده أصلًا، فهذا ما يُفكر فيه كلما صادفه رأس يلفت انتباهه في المذبح، ففي كل الأيام تأتي أنثى وسط كل الإناث الأخريات وتبرز عن البقية.

ينام إلى جوارها قريبًا جدًّا منها، من دون أن يلامسها. يشعر بحرارة جسدها، وتنفسها البطيء المُتمهل. يقترب أكثر. يتنفس بنفس إيقاعها، ببطء، ببطء أكثر. يشعر برائحتها. إنها رائحة قوية لأن الأنثى ليست نظيفة، لكنها تروقه. تبدو مثل رائحة الياسمين المُسكرة البرية القوية المبهجة. يتسارع إيقاع تنفسه. ثمة شيء ما يثيره. هذا القرب. هذه الفرصة.

ينهض فجأة. تستيقظ الأنثى مفزوعة وتنظر إليه بارتباك. يُمسكها من ذراعها. يقتادها إلى المُستودع من دون عُنف، لكن بحسم. يغلق الباب ويذهب إلى البيت. يتحمم سريعًا ويغسل أسنانه. يُبدل ملابسه ويتناول قرصين مسكنين للصداع ويركب سيارته.

إنه يوم راحته ومع ذلك يقود السيارة في اتجاه المدينة من دون تفكير أو توقف. يصل إلى جزارة سبانيل. الوقت مُبكر جدًّا ولم تفتح بعد، لكنه يعرف أنها تنام هناك. يرن الجرس، فيفتح «الكلب». يدفعه من دون أن يُحيِّيه ويذهب مباشرة إلى الغرفة الخلفية. يغلق الباب، بالقِفل.

تقف سبانيل إلى جوار الطاولة الخشبية، وهي هادئة جدًّا كأنها تنتظره. لا تبدو مندهشة. تُمسك سكينًا كانت تقطع به ذراعًا تتدلى من الخطاف. تبدو الذراع طازجة جدًّا، كأنها قطعتها منذ بضع لحظات. لا تبدو ذراعًا من مذبح لأنها ليست مصفاة من

الدم أو مسلوخة. ثمة دماء على الطاولة وعلى الأرضية أيضًا. تتساقط الدّماء ببطء. تتشكل بركة ولا يسمع إلا صوت النقاط التي تسقط على الطاولة والأرضية.

يقترب. يبدو كأنه سيقول لها شيئًا، لكنه يمدُّ يده عبر شعرها ويجذبها من مؤخرة رقبتها. يُمسكها بقوة ويقبلها، بغضب وتوحش في البداية. تحاول أن تقاومه، لكن قليلًا فقط. يخلع مئزرها الملطخ بالدماء ويفعلها مرة ثانية، كأنه يود أن يكسرها، لكن ببطء. يخلع قميصها، وهو يعض عنقها. تتقوس وتختلج لكنها لا تصدر صوتًا. يلفها ويجعلها تستلقي فوق الطاولة. يُنزل بنطلونها وملابسها التحتية السفلية. تتنفس بقوة وهي تنتظر، لكنه يقرر أن يجعلها تعاني، فهو يود أن ينفد من وراء برودة كلماتها الحادة. تنظر إليه سبانيل طلبًا للأمر، أو ربما وهي ترجوه لكنه يتجاهلها. يسير إلى الجانب الآخر من الطاولة. يُمسكها من شعرها، ويجبرها على فتح بنطلونه الجينز بفمها. تسقط نقاط الدماء من الذراع المعلقة. تسقط هناك بالقرب من حافة الطاولة أمام شفتيها ورجولته. يخلع حذاءه ثم بنطلونه وفي النهاية قميصه. يقف عاريًا. يقترب من طرف الطاولة. تلطخه الدماء. يُشير إلى حيث يجب أن تنظف، عند ذلك المكان الذي يتصلب فيه اللحم. فتطيعه، بحرص في البداية، ثم باستماتة لاحقًا، كأنَّ الدم الذي يلطخه قليل، كأنها في حاجة إلى المزيد منه. يُمسك شعرها بقوة أكبر ويشير إليها كي تُبطئ، فتطيعه.

يود منها أن يعلو صوتها، وألا يستمر جلدها في كونه بحرًا ساكنا وخاويًا وأن تنكسر كلماتها وتذوب.

يمضي إلى طرف الطاولة الآخر ويخلع بنطلونها ولباسها ويُباعد ما بين ساقيها. يسمع ضجة ويرى «الكلب» وهو ينظر من نافذة الباب. يبدو له جيِّدًا أن يلتزم بدوره ككلب مخلص، وكقِن مطيع يحمي مالكه. يستمتع بتلك النظرة العمياء، وباحتمالية أن يُهاجمه «الكلب» في النهاية.

يهم بها فجأة، بدقة. تبقى هي صامتة. ترتعش. تكبت نفسها، فيما تواصل نقاط الدم سقوطها فوق الطاولة.

يود «الكلب» أن يفتح الباب، لكنه مغلق. يمكنه أن يرى الغضب، وأن يشعر به في الهواء. يرى انيابًا في عينيه. يستمتع باستماتة «الكلب»، من دون أن يتوقف عن النظر إليه. يجذب سبانيل من شعرها، فتخدش الطاولة في صمت وتتلطخ أظفارها بالدماء.

يلفها ويبتعد بضع خطوات. ينظر إليها. يجلس فوق مقعد. تقترب سبانيل وتقف إلى جوار ساقيه بالضبط، لكنه ينهض فجأة ويلقي المقعد جانبًا، وإذا به يحملها ويدفعها أمام أحد الأبواب الزجاجية. وراءه، ثمة أيدي وأقدام ومخ. تُقبله سبانيل بغم ومهابة.

تحوط سبانيل خصره بساقيها وتمسك رقبته بيديها. يضغط بجسده أكثر عليها فوق الزجاج. يفعلها وهو يُمسك وجهها وينظر مباشرة في عينيها. يتحرك ببطء من دون أن يتوقف عن النظر إليها. تستميت وتحرك رأسها. تود أن تفلت، لكنه لا يسمح لها. يشعر بتنفسها المتهدج، شبه المحتضر. حينما تتوقف عن التحرك، يُداعبها ويقبلها ويستمر في حركته البطيئة. حينئذ، يعلو صوت سبانيل. يعلو كأن العالم ليس موجودًا. يعلو كأنَّ الكلمات قد انقسمت إلى نصفين وفقدت كل معانيها. يعلو كأنَّ تحت الجحيم ثمة جحيم أخرى، وهي جحيم لا تود أن تفلت منها.

يرتدي ملابسه، فيما تدخن سبانيل سيجارة وهي تجلس عارية فوق المقعد. تبتسم لتظهر كل أسنانها.

لا يزال «الكلب» ينظر عبر نافذة الباب. تعرف سبانيل أنه يقف عند الجانب الآخر، لكنها تتجاهله، أما هو فيرحل من دون تحية.

19

يركب سيارته. يُشعل سيجارة. حين يُوشك على الانطلاق، يرن هاتفه. إنها أخته.

- أهلًا.

- أهلا ماركوس. أين أنت؟ أرى بنايات. هل أنت في المدينة؟

- أجل. أتيت لأجل إنهاء بعض المعاملات.

- إذن، تعال لتأكل معنا.

- لا، يتحتم علي أن أذهب إلى العمل.

- ماركوس! أعرف تمامًا أن اليوم عطلتك. هذا ما قالته لي السيدة التي أجابت علي حين اتصلت بالمجزر. لم أرك منذ فترة طويلة.

يُفضل أن يذهب إلى بيتها على العودة إلى البيت وأنثى المستودع.

- حسنًا. أنا قادم.

- سأحضِّر لك كُلى مخصوصة مُتبَّلة بالليمون والأعشاب. ستأكل أصابعك وراءها.

- أنا لا آكل اللحم يا ماريسا.

تنظر إليه أخته باندهاش ونوع من الريبة.

- أنت لم تغد واحدًا من أولئك النباتيين، أليس كذلك؟

- إنها مسألة صحية. أوصاني بها طبيب لبعض الوقت. لا أكثر أو أقل.

- لكن ما الأمر؟ لا تفزعني يا ماركوس.

- ليس شيئًا خطيرًا. ارتفع الكوليسترول فقط.

- حسنًا. سأتدبر الأمر، لكن تعال. أريد أن نتقابل.

ليست مسألة صحية. لقد توقف عن تناول اللحم منذ مات ابنه.

تُزعجه احتمالية رؤيتها بشكل مُسبق، لكنه يضطر إلى زيارتها في كل مرة لا يجد فيها مفرًّا. لا يعرف من هي أخته. لا يعرفها حق المعرفة.

يقود ببطء عبر المدينة. ثمَّة أشخاص، لكن تبدو المدينة خاوية. ليس بسبب تراجع التعداد السكاني، وإنما لأنه منذ غابت الحيوانات صار ثمة صمت لا يسمعه أحد، لكنه موجود هناك، طوال الوقت. يظهر هذا الصرير الصامت على وجوه الناس وفي إيماءاتهم وطريقة نظرهم إلى الآخرين. يبدو الجميع كأنهم يعيشون وهم متوقفون، كأنهم في انتظار انتهاء الكابوس.

يصل إلى بيت أخته. ينزل من السيارة ويدق الجرس بشيء من الاستسلام.

- أهلا ماركيتوس!

كلمات أخته كأدراج ملأى بصفحاتٍ فارغة. يمنحها عناقًا ضعيفًا وسريعًا.

- أعطني مظلتك.

- ليس لديَّ واحدة.

- هل جننت؟ ما معنى أنك ليس لديك واحدة!

- ليس لدي! أعيش وسط الريف، ولا توجد مشكلة مع الطيور يا ماريسا. وحدهم سكان المدينة من يعيشون بجنون الارتياب.

- هلَّا دخلت سريعًا.

تدفعه أخته وهي تنظر فيما حولها. يُقلقها أن يرى الجيران أخاها من دون مظلة.

يعرف أنه سيلتزم بذلك الطقس القائم على التحدث بخصوص تفاهات، وأنها ستلمح إلى أنها عاجزة عن الانشغال بأبيهما، وأنه سيقول لها ألا تقلق وأنه سيرى شخصين يعتبرهما غريبين عنه هما ابناها، وأنها ستزيل من فوق كاهلها شعور ذنب مدته ستة أشهر، إلى أن يتكرر كل شيء مرة ثانية.

يذهبان إلى المطبخ.

- كيف أحوالك يا ماركيتوس؟

يمقت أن تناديه ماركيتوس. تستخدم الصيغة التصغيرية لاسمه للتعبير عن مودة لا يشعر بها.

- بخير.

- أفضل؟

تنظر إليه بأسى واضح. ربما بتَعَطُّف. إنها الطريقة الوحيدة التي تنظر إليه بها منذ فقد ابنه.

لا يجيبها. يقتصر ما يفعله على إشعال سيجارة.

- اعذرني، لكن هنا لا. أرأيت؟ ستملأ البيت بالرائحة.

تتراكم كلمات أخته فوق بعضها كأنها ملفات تسند ملفات داخل ملفات. يطفئ السيجارة.

يودُّ أن يرحل.

- الطعام جاهز. أنتظر فقط تأكيد إستيبان.

استيبان زوجها. يتذكَّره دائمًا كرجل أحدب وجهه ملآن بالتناقضات التي يحاول إخفاءها بنصف ابتسامة. يظن أنه رجل عالق وسط الظروف، مع امرأة تُعَدُّ صرحًا للبلاهة، داخل حياة يندم على اختيارها.

- يا للأسف! أجابني إستيبان للتو. لن يتمكن من المجيء لأنه مشغول جدًّا في العمل.

- بالطبع.

- الأولاد على وشك الوصول من المدرسة.

«الأولاد» هما ابناها. يعتقد أنها لم تهتم قط بالأمومة وأنها ولدتهما لأن الأبناء أحد مظاهر التطور الطبيعي للحياة، مثل حفل إتمام خمسة عشر عامًا والزواج وتعديل البيت وأكل اللحم.

لا يُجيبها. ليس مهتمًّا برؤيتهما. تُقدِّم له الليمونادة مع النعناع وتضع طبقًا تحت الكوب. يشرب قليلًا منه ويترك الكوب. مذاق الليمونادة صناعي.

- كيف حالك يا ماركيتوس فعلًا؟

تُلامس يده من بعيد وتميل رأسها وهي تحاول مُداراة شفقتها، لكنها لا تنجح في إخفائها بالصورةِ الكافيةِ لِكَيْلا يُدرك ما تشعر به. ينظر إلى أصابعها وهي فوق يده ويفكر في أن هذه اليد كانت منذ دقائق تُمسك بمؤخرة رقبة سبانيل.

- بخير.

- لماذا ليس لديك مظلة؟

يُفلت تنهيدة خفيفة ويفكر في أنه مرة أخرى سيخوض نقاش كل السنوات السابقة نفسه.

- لا أحتاج إليها. ما من أحد يحتاج إليها.

- يحتاج الجميع إليها. ثمَّة مناطق بُنيت فيها أسقف حامية. هل تريد أن تموت؟

- ماريسا! هل تظنين حقًّا أنكِ ستموتين إن تغوط طائر عليكِ؟

- أجل!

- دعيني أكرِّر لكِ يا ماريسا: في الريف وفي المجزر لا يستخدم أحد مظلات أو يفكِّر في الأمر. ألن يغدو الأمر منطقيًّا لو فكرت في أنكِ قد تصابين بعدوى الفيروس إن لدغتك بعوضة كانت قد لدغت حيوانًا في وقت سابق ؟

- لا. تقول الحكومة إن البعوض ليس خطيرًا.

- تريد الحكومة أن تتحكَّم فيكِ. هذا سبب وجودها الوحيد.

- يخرج الكل هنا بمظلات. هذا منطقي بشكل أكبر.

- ألم تفكري ولو لمرة في أنَّ صناعة المظلّات رأت فرصة وتوصلت إلى اتفاق مع الحكومة؟

- أنت تفكِّر دائمًا في مؤامرات ليست موجودة.

تقرع بقدمها فوق الأرضية ببطء من دون أن تصدر ضوضاء، لكنه يعرفها ويعرف أن هذا هو حدها في النقاش، لأنها ليس لديها فكر مستقل على وجه الخصوص، وأيضًا لأنها لا يمكنها أن تدعم كلامها بأي حجة.

- دعنا لا نتناقش يا ماركيتوس.

- اتفقنا، بالطبع!

«عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذه النسخة على شكل كتاب مطبوع فتأكد من أنك تقرأ نسخة مسروقة وليس لمن طبعها الحق في البيع والشراء.. وهذه النسخة بالأصل هي نسخة إلكترونية تم تجهيزها من فيلق مكتبة ضَاد الإلكترونية على تطبيق تيليجرام! فتأكد من أنك تحمّل هذه الرواية وتقرأها من قناتنا الرسمية. نعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة..

تفتح بأصابعها شاشة طاولة المطبخ الافتراضية. تظهر في القائمة صورة لابنيها. تلمسها. تنفتح نافذة يرى فيها ابني أخته اللذين شارفا على دخول سن المراهقة وهما يسيران في الشارع ومعهما مظلتان هوائيتان.

- كم يتبقى على وصولكما؟

- شارفنا على الوصول.

تُغلق الشاشة وتنظر إليه بعصبية. لا تعرف ما قد تقوله.

- أهداهما جدّاهما هاتين المظلتين. ليس لديك فكرة عن مدى تدليلهما لهما لم يتوقّفا عن طلب هاتين المظلتين مني منذ سنوات، لكنهما باهظتا الثمن. من قد يخطر له شراء مظلة تعمل باندفاع الهواء؟ لكنهما صارا سعيدين على أي حال، وبالمثل مَثارًا لحسد كل زملائهما.

لا يُجيبها وينظر إلى لوحة معلقة فوق الحائط تعرض صورًا ساكنة سيئة الجودة: فواكه داخل سلال، وبرتقالًا فوق طاولة ورسومًا مُتعاقبة من دون توقيع. يرى صرصارًا بالقرب من اللوحة يسير فوق الحائط. ينزل الصرصار إلى النضد ويختفي وراء طبق عليه خبز.

- يُحبان لعبة افتراضية أهداها جداهما لهما. اسمها «حيواني الأليف الحقيقي».

لا يُجيبها. لكلمات أخته رائحة تشبه الرطوبة المحبوسة، المكتومة، رائحة البرودة المضغوطة. تمضي هي في حديثها:

- يُمكنك خلق حيوانك الأليف ومداعبته فعلًا، بل واللعب معه وإطعامه. اسم حيواني الأليف هو «ميتشي» وهو قط أنجورا أبيض. إنه مجرد هر. لا أريده أن يكبر . أحب الهررة، كحال الجميع.

لم ترقه القطط قط، ولا الهررة. يشرب قليلًا من الليمونادة. يُخفي الاشمئزاز الذي يشعر به منها وينظر كيف تتحرك الصور الساكنة. ترتعش إحدى الصور وتنطمس، ثم تسوَد اللوحة.

- خلق «الأولاد» تنينًا ووحيد قرن. لكن نحن نعرف أنهما سيملّان سريعًا، كما حدث مع «بوبي»، الكلب الآلي الذي اشتريناه. ادخرنا الكثير من المال لنشتري لهما هذه الهدية وملّا منها بعد مرور بضعة أشهر. «بوبي» الآن في المرأب. إنه مُطفأ. يعمل جيِّدًا جدًّا، لكن ليس ككلب حقيقي.

تجعله أخته يفهم دائمًا أنهم ليس لديهم مال وأنهم يعيشون بتقشُّف، لكنه يعرف أن الأمور ليست هكذا. على أي حال، فهو لا يهتم ولا يشعر بأي ضغينة تجاهها لأنها لا تساهم بسنت واحد في الاعتناء بأبيهما.

- حضرت لك سلطة فاترة بالخضراوات والأرز. هل ستروقك؟

- أجل.

يلاحظ بابًا بالقرب من الحوض لا يتذكَّر وجوده من قبل. إنه من ضمن الأبواب التي تُستَخدَم في البيوت التي تُربّى فيها الرؤوس. يلاحظ أنه جديد وأنه لم يُستخدم. وراء الباب، ثمة غرفة مبردة. يفهم الآن لماذا دعته أخته. ستطلب منه أن يحصل لها على أرخص رؤوس ممكنة لتربيتها.

يتردَّد صوت ضوضاء قادمة من الشارع وبعدئذٍ يدخل ابنا أخته.

20

ابنا أُخته توأمان غير متشابهين. بنت وولد. لا يتحدَّثان تقريبًا، وحينما يتحدَّثان يتهامسان بينهما بشفرات سرية وإشارات ضمنية. ينظر إليهما كأنهما حيوان غريب مُكوّن من جزئين مُنفصلين يُسيّرهما عقل واحد. تصر أخته على تسميتهما بـ«الولدين»، على الرغم من أن العالم كله يسميهما «التوأمين». أخته وقواعدها الحمقاء!

يجلس التوأمان إلى طاولة غرفة الطعام من دون أن يوجها إليه التحية.

- لم تقولا أهلًا إلى خالكما ماركيتوس.

ينهض من على طاولة المطبخ ويسير نحو غرفة الطعام بخُطى بطيئة. يريد أن يُنهي إجراءات هذه الزيارة الإجبارية بأسرع وقت ممكن.

- أهلًا خال ماركيتوس!

يقولان العبارة في الوقت نفسه بصورة آلية كأنهما يُحاكيان روبوتًا. يكتمان ضحكتهما. يظهر الأمر في عينَيْ كل منهما. يحدِّقان إليه من دون أن يرمشا، انتظارًا لرد فعله، لكنه يجلس على المقعد ويصب لنفسه ماء، من دون أن يوليهما اهتمامه.

تُقدِّم أخته الطعام من دون أن تدرك شيئًا. تأخذ منه كوب الماء وتترك له الليمونادة: «لقد نسيت الكوب في المطبخ يا ماركيتوس. لقد حضرتها خصيصًا لك».

ابنا أخته ليسا توأمين متطابقين، لكن هذا الاتحاد الوثيق والصلب بينهما يُضفي عليهما طابعًا بغيضًا. تتضاعف إيماءاتهما التلقائية وتُولِّد مع نظرتهما المتطابقة وصمتهما المتفق عليه شعورًا بالانزعاج. يعرف أن لديهما لغة سرية، وأن أخته لا تعلم هذا الأمر أصلًا. لا تُفهم هذه الكلمات إلا بينهما فحسب، فيصير بسببها الآخرون أجانب ومجهولين وأُمِّيين. ابنا أخته أيضًا مجرد «كليشيه»: توأمان غير متطابقين شريران.

تُقدِّم له أخته طعامه الذي يخلو من اللحم. إنه بارد وبلا مذاق.

- هل هو شهي؟

- أجل.

يأكل التوأمان الكُلى المخصوصة بالليمون والأعشاب مع البطاطا والبازلاء على الطريقة البروفنسية. يتذوَّقان اللحم فيما ينظران إليه بفضول. يشير الولد، إستيبانثيتو، إلى أخته مارو. لطالما ضحك كلما فكر في المُعضلة الكارثية التي كانت ستواجه أخته لو أنها ولدت فتاتين أو ولدين. إن تسمية الأبناء بأسماء الآباء يعني حرمانهم من هويتهم وتذكيرهم بانتمائهم.

يضحك التوأمان ويومئان لبعضهما ويتهامسان. شعرهما قذر ودهني.

- رجاءً يا أولاد. نحن نأكل مع خالكما. لا تكونوا قليلي الأدب. اتفقنا مع بابا على أن

التهامس على الطاولة ممنوع وأننا يجب أن نتحدث كبالغين أليس كذلك؟

ينظر إستيبانثيتو إليه فيما تلمع عيناه، وهي لمعة ملأى بكلمات تبدو كغابات من أشجار مكسورة وعواصف صامتة، لكن من تتحدث هي مارو:

- نحن نخمن كيف سيبدو مذاق الخال ماركيتوس.

تُمسك أخته السكين الذي تأكل به وتغرزه في الطاولة. صوتها غاضب ومباغت. تقول الأخت: «كفى». تقولها ببطء، كأنها تقيس الكلمة وتتحكم بها.

ينظر إليها التوأمان باندهاش. لم يَرَ هو رد فعل مشابهًا لهذا من أخته قط. ينظر إليها في صمت. يمضغ القليل من الأرز البارد، وهو يشعر بالحزن على هذا المشهد بأكمله.

- لقد طفح كيلي من هذه اللعبة. الأشخاص لا يُؤكلون، أم أنكما صرتما متوحشين؟

تصرخ وهي تُوجِّه هذا السؤال. تنظر إلى السكين المغروز في الطاولة وتركض إلى الحمام، كأنها قد استيقظت من نوبة.

تنظر مارو، أو ماريسيتا كما تناديها أخته، إلى قطعة الكُلى المخصوصة التي توشك على وضعها في فمها فيما ترتسم على شفتَيْها ابتسامة وهي تغمز لأخيها. تبدو كلمات ابنة أخته كقطع زجاج تنصهر بحرارة شديدة الحدة، أو كغربان تنتزع أعين بعضها بالتصوير البطيء:

- ماما مجنونة!

تقولها بصوتٍ طفولي وهي تصنع إيماءات بكائية بوجهها، فيما تحرك سبابتها في دوائر بمحاذاة صدغها. ينظر إليها إستيبانثيتو ويضحك. يبدو له كل هذا كوميديًّا. يقول:

- اسم اللعبة «جثة لذيذة»؟ هل تريد أن تلعبها؟

تعود أخته. تنظر إليه بخجل واستسلام نوعي.

- اعذرني. إنها لعبة رائجة وهما لا يفهمان أن لعبها ممنوع.

تشرب قليلًا من الماء وتستمر في حديثها كأنه مهتم بتفسير لم يطلبه.

- المشكلة في الشبكات والجماعات الصغيرة الافتراضية، إنها منبع تلك الأمور. أنت لن تفهم شيئًا لأنك تعيش مُنعزلًا.

تدرك أن السكين لا يزال مغروزًا في الطاولة. تنزعه سريعًا كأنَّ شيئًا لم يحدث، وكأنَّ رد فعلها لم يكن مبالغًا فيه.

يعرف أنه سيضطر إلى تكرار العملية ذاتها لو أنه نهض وغادر وتظاهر بأنه شعر بالإهانة، إذ إن أخته ستستمر في دعوته عدد المرات الضرورية كي تطلب مسامحته. يقتصر ما يفعله على قول:

- أعتقد أن مذاق إستيبانثيتو على الأرجح سيكون زنخًا مثل خنزير جرى تسمينه لوقت زائد على الحد، أما مارو فلا بُدَّ أن مذاقها مثل السلمون الوردي. ليس قويًّا، وإنما شهي.

ينظر إليه التوأمان في البداية من دون فهم. لم يتذوَّقا قطُّ لا الخنزير ولا السلمون. بعدئذٍ يضحكان باستمتاع. تنظر إليه أخته ولا تقول شيئًا. يقتصر كل ما تفعله على شرب المزيد من الماء والطعام. تتكدس الكلمات داخلها كأنها حقائب بلاستيكية مضغوطة.

- قل لي يا ماركيتوس، هل تبيعون رؤوسًا للأفراد؟ إلى شخص مثلي؟

يأكل ما يظنه خضراوات. لا يُميز ما يأكله، سواء عبر لونه أو مذاقه. يشعر برائحة لاذعة في الهواء. لا يعرف ما إذا كانت رائحة طعامه أم أنها رائحة البيت.

- هل تسمعني؟

ينظر إليها بضع ثوان قبل أن يجيب. يفكر في أنها لم تسأله عن أبيهما منذ وصل إلى البيت.

- لا.

- ليس هذا ما قالته لي سكرتيرة المجزر.

يقرر أن لحظة إنهاء الزيارة قد حانت.

- هل تعرفين يا ماريسا؟ بابا بخير.

تخفض نظرتها وتعرف أنها علامة على أن أخاها قد اكتفى.

- يا للسعادة!

- أجل. يا للسعادة!

لكنه يقرر أن يمضي قُدُمًا. لقد تجاوزت الحدود حين قرَّرَت الاتصال بعمله للسؤال عن أمور لا تعنيها.

- تعرض لنوبة مؤخرًا.

تترك أخته شوكتها مُعلَّقة في الهواء، في منتصف الطريق، كأنها تفاجأت فعلًا.

- فعلًا؟

أجل. الأمر تحت السيطرة، لكن بين الحين والآخر يتعرض إلى نوبات.

- بالطبع. بالطبع.

يُشير إلى التوأمين بالشوكة ويقول وهو يرفع صوته قليلًا:

- الولدان.. أقصد حفيديه، هل زاراه ذات مرة؟

تنظر إليه أخته باندهاش وغضب مكتوم. لا يتضمن اتفاقهما التكتيكي أن يُهينها. لطالما احترم الأمر، حتى اليوم.

- مع المدرسة والفروض المنزلية وبُعد المكان، المسألة معقدة جدًّا بالنسبة إلينا. أيضًا، مع حظر التجوال.

توشك مارو على أن تقول شيئًا لكن أمها تلمس يدها وتمضي في حديثها.

- تخيل.. إنهما يدرسان في أفضل مدرسة وهي مدرسة ممتازة، تابعة للدولة بالطبع، لأن المدارس الخاصة باهظة، لكن لو لم يكن أداؤهما الدراسي بالمستوى المطلوب، فسيتحتم علينا دفع مبلغ لا نقدر عليه.

كلمات أخته كأوراق شجر جافة متروكة في أحد الأركان كي تتعفن.

- بالطبع يا ماريسا. سأرسل التحية إلى بابا من طرف الجميع. ما رأيك؟

ينهض ويبتسم لابنيْ أخته، لكنه لا يُحييهما.

تنظر إليه مارو بتحدٍّ. تأخذ قضمة من الكُلى المخصوصة وتقول وفمها مفتوح، كأنها تصرخ:

-أود أن أزور جدي يا ماما.

ينظر إليها إستيبانثيتو بمرح ويكرر:

- هيا يا ماما! هيا! هيا!

تنظر إليهما أخته بحيرة. لا تفهم قسوة الطلب ولا ترى الضحكات المكبوتة.

- حسنًا. حسنًا. ولِمَ لا!

أنه يعرف أنه لن يراهما لفترة طويلة. يعرف أيضًا أنه إن قطع ذراعًا من كل منهما وتناولها في تلك اللحظة على تلك الطاولة الخشبية، فإن المذاق سيكون كما تخيله بالضبط. ينظر مباشرة إلى أعينهما. أوَّلًا إلى مارو ثم إلى إستيبانثيتو. ينظر إليهما كأنه يتذوقهما. يجفلان ويطأطئان رأسيهما.

يمضي مباشرةً نحو الباب. تفتحه له أخته وتحييه بقبلة سريعة:

- سعدت برؤيتك يا ماركيتوس. خذ هذه المظلة من أجلي.

يفتح المظلة ويمضي من دون أن يجيبها. يرى سلة قبل أن يصل إلى السيارة. يُلقي المظلة المفتوحة. تنظر إليه أخته من عند الباب، ثم تغلقه ببطء وهي تُطأطئ رأسها.

21

يقود السيارة إلى حديقة الحيوان المهجورة.

لطالما ارتبك في كل مرة تناول فيها الغداء عند أخته، لكن ليس بما يكفي كي يتوقف عن زيارتها. مع ذلك، يحتاج دائمًا إلى أن يهدأ بعد مقابلتها كي يفهم لماذا هي. هكذا كإنسان -على الرغم من كونها من عائلته- ولماذا لديها هذان الابنان، ولماذا لا تحبه هو وأباه.

يسير ببطء بين أقفاص القرود إنها مكسورة والأشجار الموجودة في داخلها جافة. يقرأ إحدى اللافتات التي بهتت ألوانها:

سعدان العواء.

Alouatta Caraya

طائفة: الثدييات.



يظهر رسم بذيء إلى جوار كلمة «الثدييات».

الرتبة: الرئيسيات.

الفصيلة: السيبيداي.

الموطن: الغابات.

التكيف: لدى الإناث فراء ذهبي أو مُصفر، فيما أن فراء الذكور..

تظهر الكلمات التالية ممحوَّة، ثم يأتي بعدها ما يلي:

لديها جهاز خاص للأصوات. تطورت حنجرتها بشكل كبير، وبالأخص عند العظم اللساني الذي يشكل كبسولة تُضخِّم أصواتها.

الغذاء: النباتات والحشرات والفواكه

الحالة: غير مهددة.

ثمة صليب يُغطي عبارة: «غير مهددة».

الانتشار: وسط أمريكا الجنوبية. بداية من شرق بوليفيا وجنوب البرازيل حتى شمال الأرجنتين وباراجواي.

ثمة صورة لأحد ذكور سعدان العواء. وجهه مُمتقع كأنها قد التُقِطت فور وضعه في الأسر. رسم أحد ما دائرة حمراء يوجد صليب في مُنتصفها.

يدخل أحد الأقفاص. ينمو النجيل وسط الأسمنت. ثمة سجائر وحقن على الأرضية. يجد عظامًا. يفكر في أنها ربما تخصُّ قردًا، أو ربما لا. قد تكون عظام أي شيء.

يخرج من القفص ويسير بين الأشجار. الجو حار والسماء صافية وظلال الأشجار

قليلة، ولهذا يتعرَّق.

يتعثَّر في طريقه بأحد أكشاك البيع. يطل برأسه عبر إطار الباب يعثر على عبوات وأوراق وقذارة. يدخل ويقرأ قائمة المُنتجات المرسومة على الحائط: دمية الأسد «سيمبا»، دمية الزرافة «ريتا»، دمية الفيل «دامبو»، كوب «مملكة الحيوانات». حافظة أقلام قرد التيتي. يظهر على الجدران البيضاء جرافيتي وعبارات ورسوم. كتب أحد ما: «أفتقد الحيوانات» بأحرف متلاصقة صغيرة. حاول أحد شطب هذه العبارة ودوّن الجملة التالية: «ليتك تموت لأنك أحمق!».

يخرج من كُشك البيع ويُشعل سيجارة. لا يتمشى عبر الحديقة أبدًا، إذ يذهب مباشرة إلى عرين الأسود ويبقى جالسًا هناك. يعرف أن حديقة الحيوان كبيرة لأنه يتذكر أنه لطالما تنزه فيها طيلة ساعات. مع أبيه.

يسير عبر أحواض خاوية. إنها صغيرة. يعتقد أن ثعالب الماء أو الفقمات قد سكنتها فيما سبق. لا يتذكر جيِّدًا. بالنسبة إلى اللافتات التوضيحية، فقد انتُزعت من مكانها.

بينما يسير، يُشمِّر كُمَّيْ قميصه. يفكُّ كل أزراره ويتركه مفتوحًا وحُرًّا.

يرى من بعيد أقفاصًا ضخمة وعالية مزودة بقباب. يتذكر بيت الطيور، والطيور المُلونة وهي تحلِّق. وصوت احتكاك الريش وتلك الرائحة الثخينة والضعيفة في الوقت ذاته. يصل إلى الأقفاص، التي هي في الأصل مجرد قفص واحد مُقسم إلى عدة أجزاء. في الداخل، ثمة جسر معلق كبير تغطيه قبة زجاجية. في الماضي، اعتاد الزوار أن يسيروا عليه وهم داخل القفص. الأبواب مكسورة. لقد نمت الأشجار التي زُرعت داخل الأقفاص إلى أن كسرت قباب السقف الزجاجية وقبة الجسر. يسير فوق أوراق الأشجار وقطع الزجاج المكسور. يشعر بها تطقطق تحت حذائه. يرى السُّلَّم المؤدي إلى الجسر المعلَّق يصعده ويقرر عبور الجسر. يسير بين الأغصان ويقفز من فوقها ويدفعها. يصل إلى جزء خالٍ في الجسر، فينظر إلى السقف ويرى رؤوس الأشجار وإحدى القباب. القبة المركزية تحديدًا. إنها القبة الوحيدة المصنوعة من الزجاج

الملون وعليها رسم لرجل مُجنّح يُحلّق بالقرب من الشمس. يعرف أنه إيكاروس ويعرف قدره. جناحاه مُلوّنان والسماء التي يحلق فيها ملأى بطيور تبدو كأنها ترافقه. يبدو هو كأنه واحد منها.

ينظف أرضية الجسر بأحد الأغصان المورِقة الساقطة كي يرقد من دون أن يؤذيه الزجاج. بعض أجزاء القبة مكسورة، لكنها أقل القباب تعرُّضًا للضرر، فهي أعلاها وأبعدها عن أغصان الأشجار.

لو أن الأمر بيده لرقد طوال اليوم وهو ينظر إلى هذه السماء متعدِّدة الألوان. لربما ودَّ أن يرى ابنه بيت الطيور الخاوي والمكسور هذا. يتذكَّر -وكأنها ضربة- مكالمات أخته حين مات ليو. تحدثت فقط مع ثيثيليا كأنها الوحيدة التي احتاجت إلى عزاء. في الجنازة، عانقت ابنيها كأنها تخشى أن تنال أيضًا ميتة مفاجئة منهما؛ كأن هذا الرضيع الموضوع في تابوت قادر على الإصابة بعدوى الموت. ظلَّ ينظر إلى الجميع كأنَّ العالم كله قد ابتعد عنه بضعة أمتار، كأنَّ كل هؤلاء القوم الذين عانقوه يقفون وراء زجاج مُسنفر. لم يتمكن من البكاء، في أي لحظة حتى حين رأى التابوت الأبيض الصغير وهو يواريه الثرى. ظلَّ يفكر في أنه لربما أراد تابوتًا أقل لفتًا للانتباه. فهم أن بياض التابوت رمز لنقاء الطفل الموجود داخله، لكن هل حين نصل إلى العالم نكون فعلًا بهذه الدرجة من النقاء؟ فكَّرَ في أشكال أخرى للحياة. فكَّرَ في أنه ربما قد يجد ابنه في بُعد آخر، في كوكب آخر، في حقبة أخرى، وأنه سيتمكن حينذاك من رؤيته وهو يكبر . بينما يفكر في كل هذا، ألقت الناس ورودًا على التابوت، وبكت أخته كأنَّ هذا الطفل ابنها.

لم يبك بعدئذٍ أيضًا، حين انتهت مُحاكاة الجنازة، التي كانت لا تزال أمرًا ممكنًا حينذاك. حين غادر الناس، وبقوا بمفردهم. أخرج عُمال المقبرة التابوت من الأرض ومعه الورود المُلقاة ونقلوه إلى إحدى القاعات. هناك، أخرجوا جثة ابنه من التابوت الأبيض ووضعوها في تابوت شفاف. اضطر هو وزوجته إلى رؤية كيف يدخل طفلهما ببطء إلى فرن الترميد. انهارت ثيثيليا واقتادوها إلى قاعة ملأى بالمقاعد مجهزة

خصيصًا لتلك النوبات. بعدئذٍ، تسلَّم الأرمدة ووقَّع على الأوراق التي تؤكِّد أن جثمان ابنه قد رُمِّد، وأنهما قد شهدا العملية.

يُغادر بيت الطيور. يمرُّ عبر منطقة لألعاب الأطفال. الزلاقة مكسورة. ثمة أرجوحة توازن ينقصها أحد مقعديها. لا تزال الأرجوحة الدوارة التي تبدو كدوامة محتفظة بلونها الأخضر، لكن رُسمت صلبان معقوفة على أرضيتها الخضراء. ثمة نجيل في الملعب الرملي الذي ترك أحدٌ ما مقعدًا متفسخًا في مُنتصفه ليتعفَّن. لم يبقَ من الأراجيح المُسلسلة سوى واحدة. يجلس فوق إحداها ويشعل سيجارة. لا تزال السلاسل قادرة على تحمل وزنه. يتأرجح بحركات خفيفة، فيما تلمس ساقاه الأرض. بعدئذٍ، يتأرجح بقوة أكبر برفع قدميه ويرى من بعيد السحب وهي تتشكل في السماء.

يخلع قميصه ويربطه حول خصره. الجو حار.

يرى قفصًا آخر بالقرب من منطقة الألعاب. يقترب ويقرأ اللافتة المُعلقة.

الكوكاتو كبريتيّ العرف.

Cacatúa Galerita

طائفة: الطيور.

الرتبة: الببغاوات.

الفصيلة: الببغائية.

كتب أحدٌ ما عبارة: «أحبك يا رومينا» فوق وصف الموطن.

التكيف: أعين الذكور بنية بلون القهوة، أما أعين النساء فحمراء. يرفع الذكر عرفه

خلال فترة التزاوج ويحرك رأسه في شكل علامة لا نهاية مقلوبة وهو يُنغِّم صوته. يضطلع الأب والأم بحضانة وتغذية الأفراخ. تعيش هذه الطيور 40 عامًا في الحياة البرية ونحو 65 عامًا في الأسر، مع وجود رقم قياسي تخطّى 120 عامًا.

بقية اللافتة مكسورة ومُلقاة على الأرض، لكنه لا ينحني لالتقاطها.

يسير نحو بناية ضخمة. إطار الباب محروق. يدخل إلى قاعة نوافذها ضخمة ومكسورة. يعتقد أن هذا المكان كان حانة أو مطعمًا فيما سبق. ثمة مقعدان مُثبَّتان في الجدار فشلوا في انتزاعهما. لا وجود لأغلب الطاولات، لكن تتبقى اثنتان فقط ملحومَتان بالأرض. ثمة هيكل ممتد لشيء ما. ربما كان مشربًا.

يرى لافتة عليها كلمتًا «بيت الأفاعي» وسهم. يسير عبر ممرات قاتمة وضيقة إلى أن يصل إلى حيز أوسع مزود بنافذات كبيرة. يرى لافتة أخرى مرسومة على الحائط عليها عبارة: «على الراغبين في زيارة بيت الأفاعي الاصطفاف والانتظار». يدخل غرفة سقفها مُرتفع ومكسور جزئيًّا. رؤية السماء ممكنة بسبب هذه الثقوب. لا وجود لأقفاص. الجُدران مقسمة إلى حجيرات زجاجية. يعتقد أن اسمها العلمي هو «مرابي الزواحف». لكل منها واجهة زجاجية تُظهر ما كان فيها من أفاعي. بعضها مكسور، والبعض الآخر اختفى بالكامل.

يجلس على الأرض ويُخرج سيجارة. يظل ينظر إلى الجرافيتي والرسوم. يلفت أحدها انتباهه. إنه قناع مرسوم بمهارة كبيرة. يبدو قناعا فينيسيًّا[1]. كُتِب إلى جواره بأحرف كبيرة سوداء: «قناع الهدوء الظاهري والسكينة الدنيوية والسعادة الصغيرة البرّاقة التي تجهل متى سيُسلخ هذا الذي أدعوه جلدي، ومتى سيفقد هذا الذي أدعوه فمي لحمه ومتى سيصطدم هذا الذي أدعوه عينيَّ بصمت السّكين الأسود». ليس مُوقَّعًا. لم يمحه أحد أو يرسم فوقه. لكن حوله كُتبت ورُسمت أمور أخرى. يقرأ بعض

(1) نسبةً إلى مدينة فينيسيا الإيطالية. (المترجم).

العبارات: «السوق السوداء»، و«اسلخ لي هذه» و «لحم له اسم ولقب. إنه الأشهى!».

«السعادة؟ الصغيرة والبراقة؟ فعلا يا للضحك!». «يا لها من قصيدة جميلة!». «بعد حظر التجوال، قد نأكلك». «هذا العالم قذر». «Yolo». «كل مني. كل من لحمي/بين آكلي اللحوم/خذ وقتك/ في تمزيقي/ بين آكلي اللحوم/ «صودا ستيريو» إلى الأبد».

بينما يحاول تذكُّر ما الذى تعنيه كلمة [1]«Yolo»، يسمع ضجة. يظل ساكنًا. إنه أنين ضعيف. يقف ويسير عبر بيت الأفاعي إلى أن يصل أمام واحدة من أكبر النوافذ التي لم يمسسها سوء.

يعجز عن تمييز أي شيء. ثمة أغصان جافة فوق الأرضية وقذارة، وإذا به يرى شيئًا ما يتحرك. يرى فجأة رأسًا صغيرًا ينهض. لديه خطم أسود وأذنان بُنِّيتان. بعدئذٍ، يُميز رأسًا آخر وآخر وآخر.

يقف ليُحدِّق فيها وهو يفكِّر في أنه يرى وهمًا. بعدئذٍ، يشعر باندفاع لكسر الزجاج لملامستها. يعجز في البداية عن تفهُّم كيف وصلت إلى هناك، لكنه يدرك بعدئذٍ أن هنالك ثلاث حجيرات متصلة عبر أبواب، وأن اثنتين منها زجاجها مكسور. ليست بمستوى الأرض، لهذا يتحتم عليه أن يصعد كي يدخل. يبدأ في السير على أربعٍ لاجتياز الباب الذي يصل بين المربى متوسط الحجم وذلك الأكبر الذي فيه الجراء. الباب مفتوح. المربى عريض ومرتفع. يظن أنه في وقت سابق كان مسكنًا لأناكوندا أو أصَلة[2]. تئن الجراء. إنها مفزوعة. يفكر: «بالطبع. إنها لم تَرَ إنسانًا في حياتها قط». يسير على أربع بحذر بسبب وجود حجارة وأوراق شجر جافة وقذارة. الجراء تحت بعض الأغصان التي تغطيها جيِّدًا. يُفكر في أنها ربما بعض الأغصان التي غطت بها

---

(1) اختصار لعبارة إنجليزية هي : you only live once. (المترجم).

(2) أحد أنواع الأفاعي. (المترجم).

إحدى الأفاعي الملكية نفسها. تتكوَّر فوق بعضها من أجل التدفئة والحماية. يجلس إلى جوارها من دون أن يلمسها إلى أن تهدأ. بعدئذٍ، يُداعبها. إنها أربعة جراء هزيلة وقذرة. تشم يديه. يرفع أحدها. إنه خفيف جدًّا. يرتعش الجرو. بعدئذٍ يتحرَّك باستماتة. يتبوَّل من الخوف. تنبح بقية الجراء. تئِن. يعانقه ويقبله إلى أن يهدأ. يلعق الجرو وجهه بلسانه، فيضحك باكيًا في صمت.

22

يفقد الزمن معناه مع الجراء. تلعب معه كأنها تهاجمه. تريد أن تُمسك الأغصان التي يُحركها في الهواء. تعض يديه بأسنانها الصغيرة، فتمنحه شعورًا بسيطًا بالدغدغة. يُمسك رؤوسها ويهزُّها بحذر كأنَّ يده فك بهيمة مُتوحِّشة تطاردها. يشدها بخفة من ذيولها ويُزمجر وينبح معها. تلعق يديه. إنها أربعة جراء من الذكور.

يُسميها. جاجر، وواتس، وريتشاردز، ووود.

تركض الجراء عبر المربى. يعض جاجر ذيل ريتشاردز. يبدو وود نائمًا، لكنه ينهض فجأة ويمسك أحد الأغصان بفمه ويهزه في الهواء. يتشممه واتس بريبة. يسير حوله. يشمه ثانيةً ثم ينبح في وجهه. يصعد فوق ساقيه بحركات خرقاء. يُهاجمه، فيئِن واتس قليلًا. يعض يديه ويحرك ذيله. بعدئذٍ، ينقض واتس على ريتشاردز وجاجر. يهاجمهما، لكنهما يبدآن بعدئذٍ في مُلاحقته.

يتذكر كلبيه. بوجلييسي وكوكو. اضطر إلى قتلهما، على الرغم من أنه يعرف، أو من أنه شكَّ، أن الفيروس كذبة اخترعتها القوى العالمية وأضفت عليها الحكومات ووسائل الإعلام طابعًا قانونيًا. خشي أن يُعذَّبا لو تركهما من دون أن يقتلهما. لو قرَّرَ الاحتفاظ بهما لساءت الأمور أكثر. لربما عذَّبوه هو والكلبين. حينذاك، بيعت حُقن مجهَّزة لِكَيْلا تُعاني الحيوانات الأليفة. بيعت في كل الأنحاء، حتى في متاجر التسوق.

دفنهما تحت أكبر أشجار الفناء وهي الشجرة التي اعتاد أن يجلس معهما تحت ظلها في الأمسيات التي لم يعمل فيها في مجزر أبيه. كان يشرب الجعة ويقرأ وهما إلى جواره. لطالما جلب معه مذياعًا محمولًا قديمًا يخصُّ أباه وجلس ليسمع برنامجًا لموسيقى الجاز. راقه اضطراره في كل مرة إلى ضبط الإذاعة. بين الحين والآخر، كان بوجلييسي يقف ثم ينطلق راكضًا لملاحقة أي طائر. قد تنظر كوكو إلى بوجلييسي وهي ناعسة، قبل أن تنظر إليه بعدئذٍ بإيماءة مُعيَّنة. فكر دائمًا في أن معنى هذه الإيماءة هو: «بوجلييسي مجنون، مجنون إلى أقصى حد، لكننا نحبه هكذا، بكل جنونه». اعتاد أن يُداعب رأسها مُبتسِمًا وأن يقول لها بصوتٍ خفيض: «تيلور الجميلة! كوكو يا فاتنتي!»، لكن كلما جاء والده، تحوَّلت كوكو وعجزت عن إخفاء سعادتها. اشتعل دائمًا شيء داخلها، كأنه مُحرِّك نائم، فإذا بها تقفز وتركض وتُحرك ذيلها وتنبح. لم تأبه بمدى بُعد أبيه في كل مرة رأته فيها، فكانت تنطلق راكضةً لتُلقي نفسها فوقه. لطالما استقبلها أبوه بابتسامة وعانقها ورفعها. اعتاد أن يُدرك أن أباه يوشك على الوصول بسبب كوكو لأنها كانت تُحرِّك ذيلها بطريقة مختلفة، وهي طريقة مخصصة فقط لأبيه. كان قد عثر عليها وهي مُتكوِّرة على نفسها وقذرة وتُعاني الجفاف وعلى وشك الموت على جانب أحد الطُّرق.

ظلَّ معها طيلة أربع وعشرين ساعة، وأخذها معه إلى المجزر، وظل يعتني بها إلى أن تحسنت. يعتقد أن قتل كوكو كان من ضمن الأسباب التي دفعت عقل أبيه إلى الانهيار.

تتوقَّف الجراء عن الحركة فجأةً وتنتصب آذانها. يتوتر. لم يفكر في أي لحظة في ذلك اليقين الجلي: للجراء أم.

يسمع زمجرة. ينظر عبر الزجاج ويرى كلبين يُكشِّران عن أنيابهما. يصدر رد فعله في أقل من ثانية. فكر في تلك اللحظة في أنه يودُّ أن يموت هناك، في هذا المربى، مع هذه الجراء. سيغدو جسده على الأقل طعامًا كي تعيش هذه الحيوانات لفترة أطول. لكن تأتي في ذهنه صورة أبيه وهو في دار الرعاية فيزحف بسرعة غريزية نحو الباب

الذي دخل منه يُغلقه بالمزلاج بقوة. أصبح الكلبان عند الجانب الآخر. ظَلَّا ينبحان ويخمشان ما أمامهما وهما يحاولان الدخول. لو ترك الباب مغلقًا بالمزلاج وفرّ عبر الباب الآخر الواصل بالمربى المجاور فستموت الجراء. لو فتح الباب الذي أغلقه للتو -ذلك الذي يحميه من الكلبين- فلن يحظى بوقت كافٍ للهرب من دون أن يهاجماه، لكن الباب الواصل بالمربى المجاور مُغلق. يحاول فتحه لكنه يعجز. تئن الجراء. تتكوَّر لتحمي نفسها. يُقرِّر تغطيتها بقميصه، مع أنه يعرف أنها حماية لا طائل منها. يرقد أرضًا أمام الباب الذي يرغب في الخروج منه ويبدأ في ركله. يركله عِدَّة مرات إلى أن ينفتح. يتنفس. ينبح الكلبان وتزداد قوة خمشهما. يتأكد من أن الباب المُفضي إلى المربى الآخر مفتوح بالكامل. يعرف أنه يمكنه الفرار من هنا لأن الزجاج مكسور. يسمع زمجرة الكلبين وهي تتنامى. يظن أن كلابًا أخرى قد انضمت إليهما أو أن غضبهما قد ازداد بمرور الوقت.

ينظر إلى الجراء المُتكوِّرة الحائرة وهي تُخرج رؤوسها من عند أطراف قميصه. يُمسك حجرًا متوسط الحجم ويسنده إلى الباب المُغلق بالمزلاج الذي يحاول قطيع الكلاب الدخول عبره. بعدئذٍ يفتح المزلاج لأنه يعرف أن الكلاب في النهاية ستتمكن من فتحه، حتى وإن شقَّ الأمر عليها. يجد حجرًا آخر أكبر فيجره وهو يسير على أربع إلى المربى المُجاور. يغلق الباب بالحجر الضخم لأنه كسر مزلاجه بسبب ركلاته. يخرج عبر الزجاج المكسور بحذر، من دون أن يقفز أو يصدر أي ضوضاء، ثم يبدأ في الركض، بمجرد ملامسته للأرض.

يركض من دون أن يتوقف أو أن ينظر وراءه. لا يدرك أن السماء معبأة بغيوم رمادية. حين يرى سيارته يسمع النباح بوضوح أكثر. يلتفت برأسه بصعوبة فيرى قطيعًا من الكلاب يلاحقه ويقترب بمرور الوقت. يركض كأنه آخر شيء يتحتم عليه فعله فوق ظهر هذا الكوكب. يتمكن من ركوب سيارته قبل أن تنال الكلاب منه ببضع ثوانٍ. حين يستعيد أنفاسه ينظر إليها بحزن لأنه لم يساعدها ولم يُقدِّم لها الغذاء ولم يحمِها ويعتني بها ويعانقها. يُحصي ستة كلاب. كلها هزيلة وتعاني على الأرجح سوء التغذية. لا يشعر بالخوف لكنه يعرف أنها قادرة على تمزيقه إن ترجَّلَ من السيارة.

يعجز عن التوقُّف عن النظر إليها. مرَّ وقت طويل على آخر مرة التقى فيها حيوانًا. يُميِّز الذكر المسيطر الذي يقود المجموعة. إنه أسود. تحوط الكلاب الستة السيارة وتنبح فتُلطخ الزجاج برغوة أخطامها البيضاء وتخمش الأبواب المغلقة. ينظر إلى أنيابها، إلى جوعها، إلى غضبها. يبدو له مظهرًا جميلًا. يُشغل سيارته وينطلق ببطء. لا يريد أن يؤذيها. تلاحقه إلى أن يضغط على دواسة البنزين أكثر ويُودِّع ذهنيًّا كلًّا من جاجر وواتس وريتشاردز وwood.

23

يصل إلى بيته. يفتقد نباح كوكو وبوجلييسي وركضهما في اتجاه السيارة على الطريق الترابي من حول أشجار الكافور. عثرت كوكو على بوجلييسي. كان يبكي تحت الشجرة التي صارا مدفونين تحتها الآن. عثرت عليه وهو لا يزال جروًا عمره بضعة أشهر ملآن بالبراغيث والقرادة. عانى سوء التغذية. تبنته كوكو، فيما اضطلع هو بتفلِيته من البراغيث والقرادة وغذَّاه كي يستعيد قواه، لكن بوجلييسي اعتبر أن كوكو هي مُنقذته. هكذا، كلما صرخ فيها شخص أو هدَّدها، أصابه الجنون. كان كلبًا وفيًّا يعتني بالجميع، لكن كوكو كانت المفضلة لديه.

تمتلئ السماء بغيوم سوداء لكنه لا يراها. يترجَّل ويسير مباشرةً نحو المستودع. الأنثى هناك. مُتكوِّرة ونائمة. عليه أن يُحممها. إنها مهمة واجبة. ينظر إلى المستودع ويفكر في أنه يجب أن يُنظفه، وأن يخلق مساحة كي ترتاح الأنثى بصورة أكبر.

حين يخرج بحثًا عن دلو لتحميمها، تبدأ الأمطار في السقوط. يُدرك أنها عاصفة الصيف، وهي واحدة من أجمل وأقسى العواصف.

يدخل المطبخ ويشعر بإنهاك مُدمر. يودُّ أن يجلس ليشرب زجاجة من الجعة، لكن لا يُمكنه إرجاء مهمة تنظيف الأنثى أكثر من هذا. يبحث عن دلو وصابونة بيضاء وخرقة نظيفة. يذهب إلى الحمام ليجلب مشطًا قديمًا. لا يجد أي أمشاط إلى أن يرى

واحدًا تركته ثيثليا. يُمسكه يُفكِّر في أنه سيُضطر إلى توصيل الخرطوم، لكن جسده يبتل من شِدَّة المطر. لا يرتدي قميصًا لأنه تركه مع جاجر وواتس وريتشاردز ووود. يخلع حذاءه وجوربه. يظل واقفًا ببنطلونه الجينز.

يسير حافيًا في اتجاه المُستودع. يشعر بالنجيل المُبتل تحت قدميه ورائحة الأرض الرطبة. يرى بوجلييسي وهو ينبح تحت المطر. يراه كأنه موجود هناك تلك اللحظة. بوجلييسي المجنون الذي يتواثب ويحاول الإمساك بقطرات المطر وهو يتمرَّغ في الوحل، بحثًا عن موافقة كوكو التي اعتادت أن تراقبه دائمًا من الرواق.

يُخرج الأنثى من المستودع بحرص، ربما بحنان. تفزع الأنثى من المطر. تحاول تغطيةَ نفسها. يُهدئها. يُداعب رأسها ويقول لها كأنها ستفهم: «لا توجد مشكلة. إنه مجرد ماء. سيُنظفك». يدعك شعرها بالصابون، فتنظر إليه الأنثى وهي مفزوعة. يُجلسها فوق النجيل لتهدئتها. يركع إلى جوارها. يمتلئ شعرها الذي يُحركه من دون مهارة بالصابون الأبيض. يفعلها ببطء لِكَيْلا تجفل. ترمش الأنثى وتحرك رأسها لتنظر إليه وسط المطر، ثم تتلوى وترتجف.

يسقط المطر بقوَّة وينظفها. يمسح ذراعيها بالصابون ويفركهما بالخرقة النظيفة. تبدو الأنثى هادئة، لكنها تنظر إليه بريبة واضحة. يمسح ظهرها بالصابونة ثم يرفعها ببطء. ينظف صدرها وإبطيها وبطنها. يفعلها باعتناء كأنه ينظف غرضًا له قيمة معينة، لكنه في الوقت نفسه غرض جامد. إنه متوتر، كأنَّ هذا الغرض قد ينكسر أو قد تدب فيه الحياة.

تمحو الخرقة العلامات التي توثق أنها أنثى من الجيل الأول النقي. يمسح عشرين علامة، عن كل عام تربية.

يمسح وجهها بيده لينظف القذارة الملتصقة به. يلاحظ أن رموشها كبيرة، لكنه يعجز عن تمييز لون عينيها. ربما هما رماديتان أو خضراوان. لديها أيضًا بعض النمش المُتناثِر في وجهها.

ينحني لينظف قدميها وربلتيها وفخذيها. من بين القطرات التي تتساقط بقوة، يتمكن من الشعور بالرائحة البرية والمنعشة التي تبدو كرائحة الياسمين. يُمسك المشط ويُجلسها مجددًا فوق النجيل. يقف وراءها ويبدأ في تمشيطها. شعرها منسدل، لكنه مموج في الوقت ذاته. عليه أن يمشطها بعناية لِكَيْلا يؤلمها.

حين ينتهي، يجعلها تنهض وينظر إليها. يراها وسط المطر. يراها هشَّة، وشبه شفافة. يراها كاملة. يقترب منها ليشعر برائحة الياسمين ومن دون أن يفكر في الأمر يعانقها. لا تتحرك الأنثى. لا ترتعش. ترفع رأسها فقط وتنظر إليه. يفكر: « عيناها خضراوان. من دون شك، خضراوان». يُداعب ختم النار الموجود فوق جبهتها. يُقبِّلها في مكان الختم لأنه يعرف أنها عانت حين ختموها، بنفس الصورة التي عانت بها حين أزالوا أحبالها الصوتية، كي يزداد خضوعها ولِكَيْلا تصرخ حين تُذبح. يُداعب رقبتها قرب الحنجرة. إنه من يرتعش الآن. يخلع بنطلونه ويقف عاريًا. يتسارع تنفسه. يستمر في معانقتها تحت المطر.

ما يريد فعله ممنوع، لكنه يفعله.

الجزء الثاني

«كمثل حيوان حبيس مولود من حيواناتٍ حبيسة مولودة
من حيواناتٍ حبيسة مولودة من حيواناتٍ حبيسة
تُولد في قفصٍ وتموت في قفص، تُولد ثم تموت،
تُولد في قفصٍ ثم تموت في قفص، في كلمةٍ كالحيوان،
في واحدةٍ من كلماتها، مثل حيوان كهذا...»[1].

صمويل بيكيت

(1) نظرًا لطول الاقتباس وصيغته المعقدة، فضلت الرجوع إلى الأصل باللغة الإنجليزية وعدم الاعتماد على الترجمة الإسبانية التي أوردتها المؤلفة، لأن الترجمة عن ترجمة قد تضعف اللغة، وأتوجه بجزيل الشكر إلى الزميل العزيز هشام فهمي، المترجم عن الإنجليزية، على مساعدته لي في ترجمة الاقتباس عن لغته الأصلية. (المترجم).

1

يستيقظ فيما تكسو جلده طبقة من العرق. الجو ليس حارًّا. ليس بعد. ليس خلال الربيع. يذهب إلى المطبخ ويصبُّ لنفسه ماءً. يُشغل التلفاز. يكتم صوته ويتنقل بين القنوات من دون أن يُعيرها اهتمامه. يتوقف عند واحدة تعرض نبأً قديمًا، منذ عدة سنوات. بدأ بعض الأشخاص يُخربون المنحوتات الحضرية الحيوانية. يظهر في النبأ مجموعة من الأشخاص يُلقون دهانات وقمامة وبيض على تمثال الثور في وول ستريت. يأتي فاصل يعرضون بعده لقطات أخرى لرافعة وهي تنقل في الهواء التمثال البرونزي الذي يتخطى وزنه ثلاثة آلاف كيلوجرام، فيما ينظر إليه الناس برعب ويشيرون إليه وهم يغطون أفواههم. يرفع الصوت، لكنه في الوقت نفسه يبقيه منخفضًا. جرت هجمات متفرقة في بعض المتاحف. شق أحدهم إلى نصفين لوحة «قط وطائر» لكلي[1] الموجودة في «متحف الفن الحديث». تتحدث المذيعة عن كيف سعى بعض الخبراء لإصلاحها. حاول شخصٌ آخر في متحف «إل برادو» أن يُمزِّق بيديه لوحة «شجار قطط» لجويا[2]. انقضَّ عليها، لكن أفراد الأمن تمكنوا من إيقافه قبل أن يُنفذ مراده. يتذكر الخبراء ومؤرخي الفن وأمناء المتاحف والنقاد وهم

---

(1) المقصود هو الفنان الألماني بول كلي الذي تتنوع أعماله بين السريالية والتعبيرية والتجريد. (المترجم).

(2) المقصود هو الفنان فرانثيسكو جويا وهو أحد أشهر رسامي إسبانيا والعالم على مر التاريخ. (المترجم).

يتحدثون بغضب عن «الرجعية القروسطية»، وعودة «المجتمع محطم الأيقونات». يشرب قليلًا من الماء ثم يُغلق التلفاز.

يتذكَّر كيف أُحرقت منحوتات القديس فرانسيس الأسيزي، وكيف أُزيلت الحمير والنعاج والكلاب والجمال من الأعمال التي تمثل ولادة المسيح، وكيف دُمِّرت تماثيل أسد البحر الباتاجوني[3] الموجودة في مار ديل بلاتا.

يعجز عن النوم. يتحتم عليه أن ينهض مبكرًا كي يستقبل في المجزر أحد أعضاء «كنيسة الافتداء». يفكر: «كلما مر الوقت تزايد عددهم». يضطرب إيقاع الذبح المنظم والهادئ كلما وصل هؤلاء المختلون. سيضطر أن يذهب هذا الأسبوع أيضًا إلى أرض الصيد والمعمل. كلها مهام ستبعده عن البيت وستزيد من تعقيد الأمور، لكن عليه أن يؤديها لأنه مؤخرًا لم يعد قادرًا على التركيز. لم يقل له كريج شيئًا، لكنه يعرف أنه لم يعد يعمل كما كان من قبل.

يُغمض عينيه ويحاول أن يُحصي أنفاسه. يجفل حين يشعر بأن أحدًا يلمسه. يفتح عينيه فيراها. يتحرك جانبًا، فترقد فوق الأريكة. يشعر برائحتها البرية المُبهجة. يعانقها. «أهلًا يا ياسمين». كان قد فكَّ وثاقها حين نهض.

يُشغِّل التلفاز. تروقها رؤية اللقطات. خافت في البداية من الجهاز. حاولت أن تكسره عِدَّة مرات. بدا لها صوته حادًّا وأربكتها اللقطات، لكن بمرور الأيام أدركت أن هذا الجهاز يعجز عن أذيتها، وأن ما يحدث داخله لا يمكن أن يصيبها بسوء، فبدأت تشاهد اللقطات بانبهار. صارت كل الأمور مثارًا للدهشة: الماء وهو يخرج من الصنبور، الطعام الجديد اللذيذ المختلف تمامًا عن الطعام المتوازن، الموسيقى المنبثقة من الراديو، والتحمم في حوض الاستحمام، قطع الأثاث، والسير بحُرية عبر البيت، ما دام كان قريبًا منها لمراقبتها.

---

(3) نسبة إلى إقليم باتاجونيا الأرجنتيني. (المترجم).

يضبط القميص النسائي عليها. تطلبت مهمة إلباسها صبرًا هائلًا، إذ مزقت الفساتين وخلعتها وتبوّلت عليها. لم يغضب وإنما بهرته شخصيتها وعنادها. بمرور الوقت تفهمت أن الملابس تدفئها وأنها تحميها بشكل ما. تعلمت أيضًا كيف ترتديها بمفردها.

تنظر إليه وتشير إلى التلفاز. تضحك. يضحك هو أيضًا. لا يعرف من أي شيء يضحك أو لماذا ، لكنه يضحك ويعانقها قليلًا. لا تصدر أي أصوات، لكن ابتسامة ياسمين تجعل جسده يرتعش بالكامل وكأنها عدوى.

يداعب بطنها. إنها حُبلى وفي شهرها الثامن.

2

يجب عليه أن يُغادر ، لكنه قبلئذٍ سيتناول بعضًا من المتَّة مع ياسمين. لقد أشعل النار بالفعل وسخَّن الماء. تطلَّب الأمر وقتًا طويلًا كي تفهم ماهية النيران ومخاطرها واستخداماتها. كانت تنطلق راكضةً إلى الطرف المعاكس كلما أشعل الموقد المُسطح. لما انتهى الخوف، بدأ الانبهار. بعدئذٍ، أرادت فحسب أن تلمس هذه الزُّرقة المُتمازِجة مع البياض الذي قد يصفَرّ أحيانًا؛ هذا الشيء الذي يبدو كأنه حي ويرقص. تلمسه، يلسعها، فتُبعد يدها سريعًا، مفزوعة تمص أصابعها وتبتعد قليلًا ثم تعاود الكَرَّة مرة تلو الأخرى، حتى صارت النيران تدريجيًّا شيئًا يوميًّا في واقعها الجديد.

يُنهي المتَّة. يُقبلها ويرافقها ككل المرات إلى الغرفة التي يتركها محبوسة فيها. يُغلق باب البيت بالمفتاح ويستقل سيارته. يعرف أنها ستبقى هادئة لمشاهدة التلفاز والنوم والرسم بألوان الشمع التي جلبها لها، أو لأكل الطعام الذي حضره لها، وهي تُقلب صفحات الكتب من دون أن تفهم ما تقوله. لربما أراد أن يعلمها القراءة، لكن ما معنى رغبته هذه و وهي عاجزة عن التحدث أو الانخراط وسط مجتمع لا يراها إلا كمنتج صالح للأكل؟ إنه الختم المطبوع على جبهتها؛ الختم الضخم والواضح الذي

لا يُزال يُجبره على إبقائها في البيت.

يقود سيارته سريعًا نحو المجزر. يريد أن يتخلَّص من هذا الالتزام وأن يعود سريعًا إلى بيته. يرن هاتفه يرى أنها ثيثليا. يُوقف السيارة جانبًا ويُجيبها. تَتَّصِلُ به مؤخرًا بشكل متتالٍ. يخشى من أن تعود. لن ينجح في أن يشرح لها شيئًا مما يحدث. لن تفهمه. حاول أن يتهرب منها، لكن ساء الأمر. يُمكنها أن تشعر بنفاد صبره ومعرفة أن الألم قد تحوَّلَ الآن إلى شيء آخر. «أنت مُختلف». هذا ما تقوله له. «وجهك مختلف». «لماذا لم تُجبني حين اتصلت بك سابقًا؟ هل أنت مشغول هكذا فعلا؟». «لقد نسيتني. نسيتنا». لا تقصد بالجمع هما الاثنين فقط، بل ليو أيضًا، لكن سيغدو قاسيًا أن تقولها بصوتٍ مرتفع.

يصل إلى المجزر، يُحيي فرد الأمن بإيماءة ويصف سيارته. لا يُلاحظ ما إذا كان يقرأ الجريدة أو من هو أصلًا. لم يَعُد يقف ليُدخن وهو يستند إلى سقف سيارته. يصعد مباشرة إلى مكتب كريـج. يحيي ماري بقبلة سريعة. تقول له: «أهلا ماركوس، عزيزي وصلت متأخرًا جدًّا. السيد كريـج بالفعل بالأسفل. وصل أفراد هذه الكنيسة ونزل لاستقبالهم». نطقت عبارتها الأخيرة باستياء. «تزايد قدومهم بمرور الوقت». لا يُجيبها، على الرغم من أنه يعرف أنه وصل مُتأخِّرًا وأن أتباع الكنيسة سبقوه أيضًا. ينزل السلالم سريعًا ويركض عبر الممرات من دون أن يُحيي العمال الذين تتقاطع طرقه معهم.

يصل إلى قاعة الدخول حيث يستقبلون المُوردين وكل من ليس له صلة بالمجزر. يقف كريـج من دون أن يتحدث، فيما يوازن جسده لا شعورِيًّا وببطء كأنه يعجز عن فعل أي شيء آخر. يبدو منزعجًا. أمامه وفد قوامه عشرة أشخاص في أردية كهَنوتية بيضاء. رؤوسهم جميعًا محلوقة تمامًا وينظرون إلى كريـج في صمت. يرتدي أحدهم رداء كهَنوتِيًّا أحمر.

يقترب ويُوجه لهم التحية ويصافحهم. يعتذر لهم على التأخير. يخبرهم كريـج بأنهم

سيبقون الآن معه. مع ماركوس، مع المسؤول. فليعذروه، فهو مضطر إلى الرحيل من أجل مكالمة.

يسير كريج ببطء من دون أن ينظر وراءه، كأنَّ أعضاء الكنيسة مُعديون. يمسح يديه في بنطلونه، لينظفهما من شيء ما. ربما هو العرق. ربما هو الغضب.

يتعرَّف على المُعلم الروحي، كما يسمون زعيمهم. يمدُّ له يده ويُطالبه بالأوراق التي تكفل وتوثق الأضحية. يُراجعها فيرى أن كل الأمور كما يجب. يشرح له المُعلم الروحي أن عضو الكنيسة الذي سيضحي بنفسه قد فُحص من قِبَل طبيب وجهَّزَ وصيته ومارس طقس الوداع. يُسلمه وثيقة أخرى مختومة ومُصدقة من قِبَل كاتب العدل جاء فيها: «أنا جاستون شافه أسمح بأن يصبح جسدي غذاءً لأشخاص آخرين»، ويظهر فيها توقيعه ورقم وثيقة هويته. يتقدم جاستون شافه بردائه الكهنوتي الأحمر. يبلغ عمره نحو سبعين عامًا.

يبتسم جاستون شافه ويتلو الأسس العقائدية لـ«كنيسة الافتداء» بشغف وقناعة: «إن الإنسان سبب كل شرور هذا العالم. نحن الفيروس نفسه». يرفع كل مرافقيه أيديهم ويهتفون: «الفيروس». يُكمل جاستون شافه: «نحن أسوأ آفة، إذ ندمر كوكبنا ونجوِّع أقراننا». يتوقف مجدَّدًا قبل أن يهتف الجميع: «أقراننا». «سيصبح لحياتي معنى فعلًا، بمجرد أن يغدو جسدي غذاء لإنسان آخر، وهو إنسان يحتاج إليه فعلًا. لماذا قد أضيع قيمتي البروتينية في ترميد لا معنى له؟ لقد عشت، وهذا يكفيني». يهتفون جميعًا بصوتٍ موحد: «أنقذ الكوكب! قدم نفسك فداء».

منذ عِدَّة أشهر جاءت مُرشحة شابة، ووسط هذا الخطاب نزلت ماري السلالم وهي تصرخ قائلةً إن إقدام امرأة شابة على الانتحار فعل مُتوحش، وإن أحدًا لا ينقذ الكوكب، وإن كل هذا «شغل بهلوانات»، وإنها لا يُمكنها أن تسمح لزُمرة من المجانين بأن يغسلوا عقل فتاة صغيرة كهذه، وإنهم يجب عليهم أن يشعروا بالخزي، فلماذا لا يقتلون أنفسهم جميعًا مرة

واحدة، وإنها لا تفهم لماذا لا يتبرعون بكامل الأعضاء إن أرادوا المساعدة، وإن وجود «كنيسة افتداء» تضم أعضاءً أحياء، شيء مُنفر تمامًا، واستمرت في الصراخ إلى أن عانقها ورافقها إلى غرفة أخرى. أجلسها وقدَّمَ لها كوبًا من الماء وانتظر أن تهدأ. بكت ماري قليلًا ثم لملمت شتاتها سألته بوجه ممتقع: «لماذا لا يُسلمون أنفسهم مباشرة إلى السوق السوداء. لماذا يحتاجون إلى المجيء إلى هنا؟». « لأنهم يحتاجون إلى الصيغة القانونية كي تستمر الكنيسة في عملها. يحتاجون إلى الشهادات». سامحها كريج على ما فعلته لأنه يتفق مع كل ما قالته.

المجزر مُجبر على استقبالهم و«تنفيذ كل هذا العرض المخيف»، كما تصفه ماري. قبلئذٍ، لم يقبلهم أي مجزر. كافحت الكنيسة طيلة سنوات كي تتراجع الحكومة وتتوصل معهم إلى اتفاق. حالفهم النجاح فقط حين انضم إلى الكنيسة عضو جديد يتمتع بصلات مع القيادات العليا ولديه موارد كثيرة. اضطرت الحكومة في النهاية إلى الاتفاق مع مجازر قليلة كي تستقبل أعضاء الكنيسة على أن يُقدموا لها في المقابل تسهيلات ضريبية. بهذه الطريقة، تخلصوا من إشكالية الاضطرار إلى التعامل مع مجموعة من المصابين بالهذيان عرَّضت كل الهيكل المُزيف لتشريع أكل لحوم البشر إلى الخطر. لو أن شخصًا له اسم ولقب يُمكن أكله بصورة قانونية، لو أن هذا الشخص ليس منتجًا، فما الذي يمنعنا من التهام بعضنا؟ ما لم تشر إليه الحكومة هو ماذا سيُفعل باللحم، ولم توضحه لأنه لحم لا يودُّ أحد أن يأكله، خاصة إن كان يعرف مصدره وسيضطر إلى أن يدفع مقابله ثمنًا في السوق. أمر كريج منذ فترة بأن يُقال لأعضاء «كنيسة الافتداء» أن لحم الأضحية سيوثق بشهادة خاصة كي يأكله أكثر الأشخاص عوزًا، من دون أي تفسير آخر. تُسلم لهم هذه الشهادة كي يضعوها في الأرشيف إلى جوار الشهادات الأخرى التي سُلمت إليهم على مر السنين. في الواقع، سينتهي مطاف هذا اللحم في النهاية عند أكثر الأشخاص عوزًا فعلًا، ألا وهم «الرمامون»، الذين يحومون حاليًّا بالقرب من الأسلاك الشائكة، إذ يعرفون أن وليمة كبيرة تنتظرهم. لا يأبهون بكونه لحمًا عجوزًا، بل إنه بالنسبة إليهم قمة المتعة لأنه لحم طازج. لكن مشكلة «الرمامين» أنهم مجموعة من المُهمشين الذين لا يمنحهم

المجتمع أي قيمة، لهذا لا يُمكن إخبار الأضحية أن جسده ستُنتزع أحشاؤه وسيُمزق وسيُقضم وسيُبلع من قِبَل شخص منبوذ لا يريده أحد.

يمنح أعضاء الكنيسة الوقت الذي يحتاجون إليه لوداع المُرشح. الوداع جاستون شافه، الذي يبدو في حالة انتشاء. يعرف أن هذه الحالة لن يطول أمدها، وأن جاستون شافه على الأرجح سيتقيَّأ أو سيبكي أو سيحاول الهرب أو سيتبوَّل على نفسه حين يصل إلى منطقة الحجيرات. من لا يفعلون هذا يكونون مُخدرين إلى أقصى حد أو مرضى نفسيين. يعرف أن ثمة مراهنات بين عمال المجزر. بينما ينتظر انتهاء الأحضان، يتساءل عن ماهية ما تفعله ياسمين. في البداية، اضطر إلى تركها محبوسة في المستودع لِكَيْلا تؤذي نفسها وتدمر البيت. طلب من كريج عطلات متراكمة ولم يذهب إلى العمل طيلة أسابيع ليبقى معها ويعلمها كيف تعيش في بيت، وكيف تجلس إلى طاولة العشاء، وكيف تمسك شوكة، وكيف تنظف نفسها، أو تمسك كوبًا من الماء، أو تفتح ثلاجة، وكيف تستخدم المرحاض. تَحتَّم عليه أن يُعلمها ألا تعرف الخوف. خوف مُكتسب. خوف متكيس. خوف مقبول.

يتقدَّم جاستون شافه ويرفع يديه إلى الأمام. يُسلم نفسه بحركات دراماتيكية، كأنَّ كل هذا الطقس له قيمة فعلًا. يتلو: «كما قال يسوع: خذوا كلوا هذا هو جسدي». يقول جاستون عبارته بنبرة انتصارية. وحده هو يُمكنه رؤية مدى ضحالة كل هذا المشهد.

ضحالته وجنونه.

ينتظر رحيل بقية المجموعة. يرافقهم حارس أمن نحو المخرج. يقول له: «كارليتوس، أوصلهم»، ويُومئ إلى كارليتوس الذي يفهم أنه يقصد: «أوصلهم وتأكد من رحيلهم تمامًا».

يطلب من المُرشح أن يجلس على مقعد ويُقدِّم له كوبًا من الماء. تخضع الرؤوس في العادة إلى صيام كامل قبل الذبح، لكن القواعد لا تهم هنا. هذا اللحم لـ«الرمامين»، الذين لا يهتمون بالدقة أو القواعد أو المخالفات. يهدف إلى تهدئة جاستون شافه

إلى أقصى حد في ظل هذه الظروف. يذهب لجلب الماء ويتواصل مع كارليتوس الذي يؤكد له رحيل أعضاء الكنيسة، إذ استقلوا جميعًا شاحنتهم البيضاء ورآهم وهم يمضون عبر الطريق.

يشرب جاستون شافه كوب الماء من دون أن يدرك أنه يحتوي على مهدئ. إنه مهدئ خفيف، لكن قوته كافية كي يغدو رد فعله حين يدخل منطقة الحجيرات أقل صخبًا وعنفًا إلى أدنى حد ممكن. بدؤوا استخدام المهدئات منذ فترة قليلة، بعد موقف أفسد الأجواء فى المجزر كله مع مرشحة شابة جلبتها الكنيسة. حدث هذا فى اليوم نفسه الذي علم فيه بحمل ياسمين. في ذلك اليوم، أجرى لها اختبار الحمل المنزلي صباحًا لا لأنها لم تحض فقط، وإنما لأن وزنها قد زاد قليلًا. شعر أوَّلًا بالسعادة، أو بشيء مثلها، ثم بالخوف ومن بعده الحيرة.

كيف سيتعامل مع الأمر؟ لا يمكن أن يكون هذا الرضيع طفله بشكل رسمي، خاصة إن أراد ألا يأخذوه منه ويرسلوه إلى حظيرة، قبل أن يرسلوه هو وهي إلى «مذبح البلدية». لم يَكُن لديه عمل في ذلك اليوم، لكن ماري اتصلت به كي يُعجل بمجيئه: «تلك الكنيسة.. كنيسة الأضاحي التي تثير جنوني. غيروا الموعد وجاؤوا مباشرة وقالوا لي إنني المخطئة. كريج ليس موجودًا. لن أستقبلهم. تخيل يا ماركوس أود أن أهز أجسادهم وأن أعيد إليهم عقولهم. إنهم جميعًا مجانين. لا يمكنني أن أنظر إليهم». أنهى المكالمة وذهب إلى المجزر. لم يتمكن من التفكير في شيء آخر سوى الطفل، طفله. أجل طفله. سيفكر في حل ما لِكَيْلا ينتزعوه منه. استقبل أعضاء الكنيسة بنفاد صبر. لم يأبه بأن المرشحة، كلاوديا راموس، صغيرة في السن. لم يفكر أيضًا أنه لم ينتظر أن يوصلوهم إلى المخرج حين رحلوا، إذ رافق كلاوديا راموس مباشرة إلى منطقة الحجيرات. لم يهمه أيضًا أنها نظرت عبر نوافذ قاعة الأمعاء والكروش والكراعين، وقاعة الذبح وأنها ازدادت شُحوبًا وتوتُّرًا مع كل خطوة. لم ينتبه إلى أن سرخيو كان قد خرج ليستريح وأن ريكاردو، مُفقد الوعي الآخر، الأقل خبرة هو الموجود. لم يتوقع مسألة أن يجذبها ريكاردو من ذراعها، حين دخلا إلى استراحة قاعة الحجيرات، كأنها حيوان، وأن يحاول خلع ردائها الكهنوتي بعنف واضح وازدراء قبل تعريتها لإفقادها

وعيها. لم يتوقع أن تُفلت كلاوديا راموس منه وهي مرعوبة لتنطلق راكضة. ركضت كلاوديا راموس باستماتة عبر المجزر. عبرت عبر القاعات وهي تصرخ: «لا أريد أن أموت. لا أريد أن أموت»، إلى أن وصلت إلى منطقة التفريغ ورأت كيف ينزلون دفعة من الرؤوس من الشاحنات. ركضت مباشرة نحو الرؤوس وهي تصرخ: «لا. لا تقتلونا. رجاءً. لا. لا تقتلونا. لا تقتلونا». رأها سرخيو تقترب بأقصى ما لديها من سرعة. علم أنها من كنيسة الافتداء لأن الرؤوس لا تتحدث، فأمسك بمطرقته التي لا تفارقه قط وأفقدها وعيها بدقة أثارت إعجاب الكل. بالنسبة إليه، فكان قد انطلق ليركض وراء كلاوديا راموس، لكنه لم يلحقها. رأى كيف أفقدها سرخيو وعيها وتنهد مرتاحًا. اتصل بالأمن عبر اللاسلكي. وسأل ما إذا كان أفراد الكنيسة قد غادروا فأجابوه: «حالًا». أمر عاملين بأن يأخذا كلاوديا إلى منطقة «الرمامين»، فقُطعت كلاوديا راموس بالسواطير والسكاكين وهي غير واعية. التهمها «الرمامون» الذين تجوَّلوا عبر المنطقة على بُعد عِدَّة أمتار من السياج الكهربائي. علم كريج بما حدث، لكنه لم يولِه اهتمامًا كبيرًا لأنه كان قد ملَّ من الكنيسة. بالنسبة إليه، فقد تفهَّمَ على النقيض أن شيئًا مثل هذا لا يُمكن أن يتكرر، وأن الأمور كانت ستسوء، لولا أن سرخيو تمكَّنَ من إفقادها وعيها.

يرتجف جاستون شافه قليلًا. لقد بدأ تأثير المهدئ. يمرَّان من أمام قاعة الأمعاء والكروش والكراعين وقاعة الذبح، لكن النوافذ مُغطاة. يصلان إلى الحجيرات. ينتظرهما سرخيو عند الباب. وجه جاستون شافه شاحب قليلًا، لكنه لا يزال يدرك ما حوله. يخلع له سرخيو رداءه الكهنوتي وحذاءه. يقف جاستون شافه عاريًا. يرتجف قليلًا وينظر حوله حائرًا. بينما يوشك على التحدث، يُمسكه سرخيو من ذراعه بعناية، ويعصب عينيه. يقتاده إلى داخل الحجيرة. يتحرك جاستون شافه بيأس. يقول شيئًا غير مفهوم، فيما يُفكر هو في ضرورة أن يرفع من جرعة المهدئ. يضبط سرخيو أغلال الحديد غير القابل للصدئ فوق عنقه ويتحدث معه. يبدأ جاستون شافه يهدأ، أو أنه على الأقل يتوقف عن التحرك والتحدث. يرفع سرخيو المطرقة ويضربه بها في جبهته. يسقط جاستون شافه. يرفعه عاملان ويأخذانه إلى منطقة «الرمامين».

لا يُمكِن للسياج الكهربائي أن يمحو صوت الصرخات وصخب السواطير التي تقطع

جاستون شافه أو الشجارات على أفضل قطعة لحم من جسده.

3

يصل إلى بيته مُنهكًا. يتحمم قبل أن يفتح الغرفة الموجودة فيها ياسمين. إن لم يفعلها، فلن تتركه يتحمم بهدوء لأنها ستحاول أن تقف معه تحت الماء وستقبله وستعانقه. يفهم أنها بمفردها طوال اليوم وأنها بمجرد وصوله ستلاحقه عبر كل أرجاء المنزل.

يفتح الباب وتستقبله ياسمين بعناق. ينسى جاستون شافه وماري والحجيرات.

ثمة وسائد فوق الأرضية. ليس فيها قطع أثاث أو شيء قد يؤذيها. جهزها هكذا لما علم أنها حُبلى. دفعته احتمالية حدوث شيء لابنه إلى اتِّخاذ كل الاحتياطات. تعلَّمت أن تقضي حاجاتها في سطل ينظفه يوميًّا وأن تنتظره. يمكنها أن تتحرك بحرية وسط هذه الجدران الأربعة المُجهزة لِكَيْلا يحدث لها أي شيء.

لم يشعر منذ فترة بأن هذا المنزل بيته. قبلئذٍ، كان حيِّزًا للنوم وتناول الطعام، ومكانًا للكلمات المكسورة ولأشكال متنوعة من الصمت تسكن الجدران، ولأحزان متراكمة يتشظى معها الهواء فيجرحه ويشق معه الأكسجين الذي يتنفسه؛ مجرد منزل يتشكل داخله جنون متربص ووشيك.

لكن منذ جاءت ياسمين امتلأ البيت برائحة برية، مع ضحكاتها البراقة الصامتة.

يدخل الغرفة التي كانت لليو. نزع عن جدرانها أوراق الحائط التي انطبعت عليها قوارب، وطلاها بالأبيض. صنع مهدًا وأثاثًا جديدًا، إذ عجز عن شراء هذا أو ذاك. لم يرد أن يشتبه أحد فيه. يعتاد كلما عاد من المذبح أن يجلس على الأرضية ليتخيل بأي لون سيطلي المهد. يريد أن يولد ابنه كي ينظر إلى عينيه وفي تلك اللحظة يتخيل أن ابنه سيجعله يعلم أي لون يريده. سينام في أشهره الأولى معه إلى جوار الفراش، في مهد مؤقت.

سيضطلع بأن يظل هذا الطفل يتنفس طوال الوقت.

تجلس ياسمين إلى جواره في غُرفة الطفل. يُفضل أن يكون الوضع هكذا: أن تلاحقه. لكل أدراج البيت مفاتيح. ذات يوم، وصل من المذبح فوجد أن ياسمين أخرجت كل السكاكين. جرحت يدها. جلست على الأرض وهي مُلطخة بالدماء التي سالت منها ببطء. شعر بالإحباط. كان جرحًا سطحيًّا فعالجه ونظفه وأغلق على السكاكين بالمفتاح، ومعها الأشواك والملاعق. نظف الأرضية واكتشف أنها كانت ترسم على الخشب. حينئذٍ، اشترى لها ألوان الشمع والورق.

اشترى كاميرات ووصلها بهاتفه الخلوي لتتيح له معرفة ما تفعله ياسمين في الغرفة وهو في المجزر. تقضي ساعات طويلة في مشاهدة التلفاز والنوم والرسم والنظر إلى نقطة محددة. في بعض الأحيان تبدو تفكر، كأنها قادرة فعلًا على فعل شيء مثل هذا.

4

- هل أكلت شيئًا حيًّا ذات مرة؟

- لا؟

- ستشعر برعشة وحرارة ضئيلة تُضفي لذة كبيرة. ثمة مُتعة في القضاء على حياة ما بقضماتك ومعرفة أن هذا المخلوق لم يعد موجودًا بفضل نيتك وتصرفاتك. تشعر بأن حياة هذا الكيان المعقد والدقيق تنتهي تدريجيًّا، لكنها في الوقت ذاته تبدأ في تشكيل جزء منك، إلى الأبد. إنها معجزة باهرة. أقصد احتمالية هذا الاتحاد الذي لا يُفسخ.

يشرب أورليت النبيذ من كأس يبدو قدحًا قديمًا. لونه أحمر شفاف ومصنوع من الزجاج المصقول وعليه رسوم غريبة. ربما هي رسوم لنساء عاريات يرقصن حول محرقة. لا. إنها رسوم تجريدية. أم أنهم رجال يعوون؟ يمسك الكأس من ساقها ويرفعها ببطء شديد، كأنها غرض قيمته استثنائية. لون الكأس هو لون الخاتم نفسه الذي يرتديه في بِنصره.

ينظر هو إلى أظفاره، كما يحدث فى كل مرة. لا يُفارقه شعوره بالاشمئزاز. صحيح أنها أظفاره مُعتنى بها، لكنها طويلة. ثمة شيء بدائي ومنوم مغناطيسِيًّا فيها. إنه شيء صارخ؛ شيءٌ من هيئة الأسلاف؛ شيءٌ يُولد حاجة إلى معرفة ما قد يشعر به المرء إن لمسته.

يبتهج حين يُفكر في أنه ملزم بزيارته مرات قليلة فحسب طوال العام.

يجلس أورليت على مقعد صالون من الخشب الداكن مُزوَّد بمسند ظهر مرتفع. تظهر وراءه نصف دستة من الرؤوس البشرية التي اصطادها على مر السنين. يُوضِّح دائمًا لكل شخص يودُّ أن يعرف أنها أكثر غنائم شق عليه اصطيادها وأنه قد واجه بسببها «تحديات شديدة التوحش». ثمَّة صور قديمة مُؤطَّرة إلى جوار هذه الرؤوس. إنها صور لمجموعة من الصيادين وهم يصطادون رجالًا سودًا قبل «الانتقال». يظهر في أكبرها وأوضحها صياد أبيض يجلس على ركبتيه وهو يُمسك بندقية ويضحك ومن ورائه، فوق أوتاد، رؤوس أربعة من السود.

لا يمكن تخمين عمر أورليت. إنه من أولئك الأشخاص الذين يبدون كأنهم كانوا في العالم منذ بدايته، لكنهم يتمتعون بحيوية ظاهرة تجعلهم يبدون أصغر سنًا. أربعون. ربما خمسون أو سبعون عامًا. معرفة عُمره مستحيلة.

يظل أورليت صامتًا وينظر إليه.

يُفكر في أن أورليت يجمع الكلمات، بخلاف الغنائم. قيمتها لدى أورليت مثل قيمة رأس مُعلق على الحائط. يتحدث بإسبانية شِبه مثالية. طريقته في التعبير عن نفسه شديدة الدقة. يختار كل كلمة كأنها ستذهب أدراج الريح إن لم يعتن بها. يبدو الأمر كأنَّ العبارات تتجمَّد إلى قطع زجاجية في الهواء لينتقي الكلمات التي يريدها قبل أن يحفظها ويُغلق عليها بالمفتاح داخل إحدى خزائنه، لكنها ليست أي خزينة، وإنما واحدة قديمة لها أبواب زجاجية بأسلوب الـ«آرت نوفو».

رحل أورليت عن رومانيا بعد «الانتقال». مُنع صيد البشر هناك. كأن لديه أرض لصيد الحيوانات، وأراد أن يستمر في عمله في مكان آخر.

لا يعرف أبدًا كيف يرد عليه. يرقبه أورليت كأنه ينتظر عبارة كاشفة أو كلمة ذكية، أما هو فكل ما يوده هو أن يرحل. يقول أول ما يخطر على باله. يقوله بتوتر، لأنه يعجز عن مبادلة أورليت نظراته، ويعجز عن التوقف عن الشعور بأن أورليت داخله كيان أو شيء يخمش جسده من الداخل، في محاولة للخروج.

- أجل. لا بُدَّ أن تناول شيء حي أمر باهر.

تصدر إيماءة خفيفة من فم أورليت. إنها إيماء ازدراء. يراها بوضوح ويتعرف عليها لأن أورليت يُظهر له في إحدى لحظات الحوار استياءه بشكل أو بآخر كلما زاره؛ إما لأنه يُكرر كلماته وإما لأنه ليس لديه شيء جديد ليُضيفه وإما لأن العبارة التي يقولها لا تسمح له بمواصلة استعراضه. لكن إيماءات أورليت محسوبة ويعتني بألا يلاحظها أحد تقريبًا، ولهذا يبتسم على الفور ويُجيبه.

- بالطبع يا سعادة الـ«كافالير» العزيز.

لا يُناديه أبدًا باسمه، ويتحدث معه دائمًا بصيغة رسمية. يُخاطبه دائمًا بكلمة «كافالير»، التي تعني «الفارس» بالرومانية.

إنه النهار، ومع ذلك ثمة شموع مُشعلة في مكتب أورليت وراء المكتب الضخم المصنوع من الخشب الأسود ومقعده الذي يبدو عرشًا، تحت الرؤوس المحنطة والصور، كأنَّ هذا المكان مذبح ضخم؛ كأنَّ هذه الرؤوس أغراض مقدسة لديانة شخصية وهي ديانة أورليت التي مسعاها جمع البشر والكلمات والصور والنكهات والأرواح، واللحم، والكتب، والكيانات.

تنبثق من جدران الغرفة أرفف ملأى بالكتب القديمة تبدأ من الأرضية وصولًا إلى السقف. أغلب العناوين بالرومانية، لكنه يتمكن من قراءة بعض العناوين على الرغم

من بُعدها: «العزيف» و «الكتاب العظيم للقديس قبريانوس القرطاجي» و«كتاب يد البابا ليو» و «كتاب الطلاسم الكبير» و «كتاب الموتى».

تُسمع ضحكات الصيادين وهم عائدون من أرض الصيد.

يُناوله أورليت أوراق الطلبية الجديدة. لا يُمكنه تفادي اقشعرار بدنه حين لامس ظفره بيده. يُبعدها سريعًا وهو عاجز عن إخفاء اشمئزازه. لا يريد أن ينظر إلى عينيه لأنه يخشى أن يتوقف ذلك الكيان أو المخلوق الذي يعيش تحت جلد أورليت عن خمشه من الداخل ليتحرر. هل هي روح كائن التهمه حيًّا وظلَّت عالقة داخله؟

ينظر إلى الطلبية ويرى أن أورليت قد كتب بالأحمر: «إناث حُبليات».

- لا أريد مزيدًا من النساء غير الحُبليات. إنهن حمقاوات وخاضعات.

- ممتاز. الحُبليات سعرهن ثلاثة أضعاف ولو أنهن في شهرهن الرابع أو أكثر، فهذه التكلفة سترتفع.

- لا توجد أي مشكلة. أريد أن يكون لدى بعضهن جنين مُكتمل، كي آكله لاحقًا.

- ممتاز. أرى أيضًا أنك رفعت عدد الذكور.

- تجلب لي أفضل ما في السوق. في كل مرة يكون الذكور أرشق وأذكى كأنَّ قدرتهم على التفكير مُمكنة.

يقرع أحد مساعديه الباب. يقول له أورليت أن يدخل. يقترب المساعد ويهمس له شيئًا في أذنه. يُومئ أورليت للمساعد الذي ينسحب في صمت ويُغلق الباب. بعدئذٍ، يبتسم.

يظل هو جالسًا بانزعاج من دون معرفة ما يجب عليه فعله. يقرع أورليت فوق الطاولة بأظفاره ببطء من دون أن يتوقف عن الابتسام.

- عزيزي الـ«كافالير»! لقد ابتسمت لي الأقدار. لقد طرحتُ منذ فترة فرصة أمام المشاهير الذين تنال منهم المصائب ويستدينون بمبالغ طائلة كي يصفوا حساباتهم هنا.

- وكيف سيحدث هذا؟ لا أفهم.

يأخذ أورليت رشفة وينتظر بضع ثوانٍ قبل أن يُجيب.

- سيتحتَّم عليهم أن يبقوا في أرض الصيد أسبوعًا أو ثلاثة أيام أو بضع ساعات.. يعتمد الأمر على حجم الدَّين، وإن أفلتوا من الصيد وخرجوا أحياء من هذه المغامرة، فسأضمن إلغاء ديونهم بالكامل.

- بمعنى أنهم مستعدون للموت لأنهم مدينون؟

- ثمة أشخاص مستعدون لفعل أشياء مُتوحِّشة لأسباب أقل من هذه يا «كافالير»؛ أشياء مثل اصطياد شخص مشهور وأكله.

يبدو عليه الارتباك بعد سماع رده. لم يفكر قط في أن أورليت قد يحكم على أكل شخص لشخص آخر، فيسأله:

- هل لديك مُعضلة أخلاقية مع الأمر؟ هل يبدو لك مُتوحِّشًا؟

- على الإطلاق. الإنسان كائنٌ مُعقَّد. تبهرني دائمًا شرور وتناقضات وفخامة جنسنا. لو كنا جميعًا أطهارًا، لصارت صبغة الوجود رمادية خانقة.

- لكن، إذن.. لماذا قلت كلمة «مُتوحِّشة»؟

- لأنها أشياء مُتوحِّشة، لكن هنا تكمن الروعة: في قبول شططنا وتحييده ومعانقتنا لجوهرنا البدائي.

يتوقف أورليت قبل أن يصب النبيذ. يُقدم له المزيد، لكنه يرفض بذريعة أنه سيقود سيارته لاحقًا. يمضي أورليت في حديثه ببطء. يلمس الخاتم الموجود في بنصره ويحركه.

- في نهاية المطاف، منذ صار العالم عالمًا، نحن نأكل بعضنا بعضًا. لو لم نفعلها بطريقة رمزية، فنحن نلتهم بعضنا حرفيًّا. منحنا «الانتقال» فرصة كي نصبح أقل نفاقًا.

ينهض ببطء ويقول له:

- رافقني يا «كافالير». لنستمتع بالوحشية.

يُفكِّر في أن كل ما يريده هو العودة إلى بيته ليبقى في صحبة ياسمين ويلمس بطنها، لكن شيئًا مغناطيسِيًّا ومُنفرًا في الوقت ذاته في أورليت يدفعه إلى البقاء. ينهض ويرافقه.

ينظران عبر نافذة كبيرة تطل على أرض الصيد. يتمكنان من رؤية نصف دستة من الصيادين وهم يلتقطون صورًا مع غنائمهم في الرواق الحجري. يقرفص بعضهم فوق جثامين طرائدهم الموجودة على الأرض. ثمة اثنان يرفعان رأسًا من شعره. اصطاد أحدهما أنثى حُبلى. يُخمن أنها في شهرها السادس تقريبًا.

في المنتصف، ثمة صيَّاد طريدته واقفة. تستند إلى جسده، فيما يمسكها مساعده من الخلف. إنها الطريدة الأعظم والأقيم. ترتدي ملابس قذرة، لكن من المُلاحظ أنها باهظة الثمن وعالية الجودة. هذه الطريدة هي العازف؛ عازف موسيقى «الروك» المديون. لا يتذكر اسمه، لكنه يعرف أنه كان مشهورًا جدًّا.

يقترب المساعدون ويطلبون منهم البنادق. يُعلق الصيادون الطرائد فوق أكتافهم ويذهبون إلى المُستودع لوزنها وختمها وتسليمها إلى الطباخين لتقطيعها وفصل القطع التي ستطبخ وتغليف البقية في أكياس مُفرغة من الهواء كي يأخذوها.

تُقدِّم أرض الصيد أيضًا خدمة تحنيط الرؤوس.

5

يرافقه أورليت نحو المخرج، لكنهما يلتقيان عند باب الصالون بصياد وصل لاحقًا. إنه جيريرو إيراولا. يعرفه جيدًا لأنه ورَّد الرؤوس إلى المذبح. يمتلك واحدة من أكبر الحظائر، لكنه توقف عن العمل معه حين بدأ بمرور الوقت يرسل رؤوسًا مريضة وعنيفة، ويتأخر في توريد الطلبيات، بل وحقنها بدواء تجريبي كي يغدو اللحم أطرى. في النهاية، صار لحمًا سيئ الجودة. ملَّ هو من معاملته الفاترة، وعجزه عن التواصل مباشرة معه، واضطراره إلى المرور على ثلاث سكرتيرات كي يتمكن من التحدث معه لخمس دقائق فحسب.

- ماركوس تيخو! صديقي القديم! كيف أحوالك؟ متى كانت آخر مرة التقينا فيها!

- أنا بخير. بخير جدًّا.

- أورليت. يجب أن ندعو هذا الرجل المهذب إلى مائدتنا.(No discussion[1]).

---

(1) وردت في النص الإسباني بالإنجليزية ومعناها «من دون نقاش» أو «لا تناقشني». سيدرك القارئ في الفقرات المقبلة، لماذا قررت الإبقاء عليها كما هي مكتوبة بالإنجليزية. (المترجم).

- رغبات سعادتك مُجابة.

تصدر من أورليت إنحناءة بسيطة ثم يشير إلى أحد مساعديه ويقول له شيئًا في أذنه.

- تعال لتأكل معنا. كان الصيد Very spectacular([1]) كلنا نرغب في تذوُّق أوليسيس بوكس.

يُفكر: «بالطبع! هذا اسم عازف الروك». تبدو له احتمالية أكله مُنفرة. يُجيبه:

- أمامي رحلة عودة طويلة.

- No discussion)[2])! من أجل أزمنتنا القديمة التي أتمنى عودتها.

يعرف أن إخراجه من قائمة الموردين لم يُؤثِّر عليه اقتصادِيًّا بصورة كبيرة، فـ«حظيرة جيريرو إيراولا»، بخلاف حجم صادراتها الكبير، تُورِّد الرؤوس إلى نصف البلاد في نهاية المطاف، لكنه يعرف أيضًا أن هيبته قد تراجعت لأن «مجزر كريج» معروف بكونه أكثر المجازر جدية في السوق. على أي حال، ثمة قاعدة لا يكسرها أبدًا: عليه أن يكون على وفاق مع كل الموردين، حتى وإن شعر بالغيظ من طريقة كلام جيريرو التي يخلط فيها الإسبانية بالإنجليزية ليُظهر طبقته الاجتماعية، وكي يعرف الجميع أنه ذهب إلى مدارس لغات وأنه سليل عائلة كبيرة من المربين الذين تعاملوا أوَّلًا مع الحيوانات، وذلك لأنه لا يعرف ما إذا كان سيضطر ذات يوم إلى التعامل مجددًا مع هؤلاء القوم.

لا يتركه أورليت يرد بنفسه، إذ يجيب:

- بالطبع. الـ«كافالير» تروقه هذه الفكرة. يضيف المُساعدون الآن بالفعل طبقًا

---

(2) نفس ما ورد في الهامش الأول في الصفحة السابقة. (المترجم).

إضافِيًّا إلى الطاولة.

-Great[1] وأتخيل أنك ستأتي أيضًا لتأكل معنا.

- سيشرفني هذا الأمر بالطبع.

يدخلون إلى الصالون حيث يدخن الصيادون السيجار وهم جالسون على مقاعد من الجلد مُزوَّدة بمساند ظهر مُرتفعة. لقد خلعوا أحذيتهم طويلة الرقبة وستراتهم بالفعل، وقدم لهم المساعدون سترات وروابطات عنق من أجل التجهز للغداء.

يدق أحد المساعدين جرسًا، فينهضون جميعًا للتوجه إلى غرفة الطعام حيث يجلسون إلى طاولة عليها طاقم خزف إنجليزي وسكاكين من الفضة وكؤوس زجاجية. ثمَّة مناديل طعام طُرزت عليها الأحرف الأولى لاسم أرض الصيد. بالنسبة إلى مقاعد السفرة، فمساندها طويلة وكسوتها مُخملية حمراء. أيضًا، ثمة شمعدانات مزودة بشموع مشتعلة.

يطلب منه أحد المساعدين أن يرافقه قبل أن يدخل إلى غرفة الطعام. يُناوله سترة كي يقيسها ورابطة عنق تتماشى معها. تبدو له كل هذه التجهيزات سخيفة، لكن عليه أن يحترم قواعد أورليت.

حين يدخُل إلى غُرفة الطعام، ينظر إليه بقية الصيادين بتعجب، كأنه دخيل، لكن

جيريرو إيراولا يُقدِّمه:

- هذا هو ماركوس تيخو، اليد اليمنى في مجزر كريج، وأحد أكثر الرجال خبرة في هذا الـ«buisness» ، أكثرهم احترامًا وتطلبًا.

(1) وردت في النص الإسباني بالإنجليزية ومعناها «رائع». (المترجم).

لم يكن ليقدم نفسه بهذه الطريقة أبدًا أمام أحد. لو اضطر إلى تقديم نفسه، لربما قال: «ماركوس تيخو، رجل مات ابنه ويعيش بصدر ملآن بالخواء. مُتزوج من امرأة مُحطَّمة ويعمل في ذبح البشر. يتكفل بنفقات أبيه الخرف الذي يعجز عن التعرُّف عليه ويعيش محبوسًا في دار رعاية. يوشك أن يُولد له ابن من رأس أنثى، في خرقٍ صارخٍ للقانون، لكنه لا يأبه ولو بأقل درجة ممكنة، فهذا الابن سيغدو ابنه».

يُحيِّيه الصيادون. يقول له جيريرو إيراولا أن يجلس إلى جواره.

ربما يتحتم عليه أن يعود إلى منزله. تتبقى له رحلة مدتها عدة ساعات. ينظر إلى هاتفه الخلوي ويرى أن ياسمين نائمة، فيهدأ.

يقدم المساعدون حساء الشمر بالبقدونس، ومُقبلات مكونة من أصابع مع صلصة نبيذ خيريث وخضراوات معسولة، لكنهم لا يسمونها أصابع، بل «fresh fingers»، كأنَّ الكلمات بالإنجليزية ستُعيد تعريف حقيقة أنهم يأكلون أصابع بشر كانوا يتنفسون قبلئذٍ بعِدَّة ساعات.

يتحدَّث جيريرو إيراولا عن «كباريه لولو». يتحدث بلغة مُشفرة لأنه من المعروف أن هذا المكان بمنزلة مغارة للاتجار بالبشر، مع فارق صغير وهو أنه بعد سداد الخدمات الجنسية يُمكن للعميل أن يدفع مبلغًا إضافيًّا لأكل المرأة التي عاشرها. المبلغ بالملايين، لكن هذا الخيار موجود، مع أنه ليس قانونيًّا. الجميع مُتورطون في المسألة: ساسة وشرطة وقضاة. يأخذ كلٌّ منهم نسبته لأن الاتجار بالبشر قفز من المركز الثالث إلى الصدارة في قائمة أكثر الأعمال إدرارًا للربح. قليلات من يتعرَّضن للأكل، لكن بين الفينة والأخرى يحدث هذا الأمر، مثل تلك الحالة التي يحكي عنها جيريرو إيراولا، الذي يبدو أنه دفع فيها «مليارات لا تعد» من أجل شقراء مذهلة أصابته بالجنون وتحتم عليه بعدئذٍ بالطبع أن يذهب «إلى ما هو أبعد». يضحك الصيادون ويرفعون كؤوسهم، احتفالًا بقرار جيريرو إيراولا.

يسأل أحد أصغر الصيادين:

- وكيف كان الأمر؟

يقتصر ما يفعله جيريرو إيراولا على رفع أصابعه تجاه فمه وأداء إشارة توحي باللذة. لا يُمكن لأحد أن يعترف علانية بأنه أكل شخصًا له اسم ولقب، إلا في حالات مثل الموسيقي الذي وقع إقرارًا بالموافقة. لكن جيريرو إيراولا ألمح إلى الأمر لإثبات أنه قادر على دفع التكلفة، ولهذا دعاه إلى الغداء كي يُلقي المسألة في وجهه. يسمع كيف يهمس أحد الصيادين الذي يجلس بالقرب منه في أذن صياد آخر قائلًا إن الشقراء المذهلة لم تَكُن إلَّا عذراء صغيرة عمرها أربعة عشر عامًا وجب معاملتها برفق لكن جيريرو إيراولا حطمها في الفراش وظلَّ يغتصبها طيلة ساعات. لقد كان هناك وحين أخذوا الفتاة لذبحها، كانت الفتاة بالفعل نصف ميتة.

يُفكِّر هو في أن تجارة الشهوة واللحم حرفية فى هذه الحالة، فيشعر بالاشمئزاز. يتمعن في هذه المسألة وهو يحاول أن يأكل الخضار المعسول من دون الأصابع المقطعة إلى شرائح الصغيرة.

ينظر إليه أورليت الجالس إلى جواره ويقول له في أذنه:

- سعادة الـ«كافالير» يجب أن تحترم ما ستأكله. الموت حاضر في كل طبق. فكِّر في الأمر كفداء نفذه البعض من أجل أشخاص آخرين.

يُلامس يده مرة ثانية بأظفاره فيقشعر بدنه. يعتقد أنه قادر على سماع صوت الخمش من تحت جلد أورليت، ذلك الصراخ المكبوت للكيان الذي يودُّ أن يخرج. يبتلع الـ«Fresh fingers» لأنه يودُّ أن ينتهي من الأمر ليرحل بأقصى سرعة ممكنة. لا يريد أن يتناقش مع أورليت حول نظرياته الاصطناعية. لن يقول له إن الفداء عامة يحتاج إلى موافقة الأضحية، ولن يوضح له أن الموت موجود في كل شيء، وليس في هذا الطبق فحسب، أو أنه -أي أورليت- يقترب من الموت مع مرور كل ثانية، كحال كل هؤلاء.

يندهش من شعوره بأن الأصابع شهيَّة. يُدرك كم يفتقد تناول اللحم.

يجلب مُساعد طبقًا واحدًا ويضعه أمام الصياد الذي قتل العازف. يقول المُساعد بمهابة:

- لسان أوليسيس بوكس المُتبَّل بالأعشاب النادرة، والمقدم فوق الـ«كيمشي» والبطاطا بالليمون.

يصفقون جميعًا ويضحكون. يقول أحدهم:

- إن تناول لسان أوليسيس لشرفٌ كبيرٌ! بعدئذٍ، سيتحتم عليك أن تُغني لنا إحدى أغنياته، لنرى ما إذا كنا سنسمع الصوت نفسه.

يضحك الجميع باستثنائه. لا. لا يضحك.

يُقدمون إلى بقية الضيوف القلب والعينين والكليتين والردفين. بالنسبة إلى قضيب أوليسيس بوكس، فيقدمونه إلى جيريرو إيراولا، إذ طلبه على وجه الخصوص.

يقول جيريرو إيراولا:

- كان كبيرًا.

يقول له أحدهم:

- هل صرت شاذًّا الآن؟ هل تأكل رجولته؟

يضحكون جميعًا.

يُجيب جيريرو إيراولا بجدية وهو ينظر بازدراء إلى من دعاه شاذًّا:

- لا! هذا من أجل القوة الجنسية. إنه طعام محفز للشهوة.

يصمتون جميعًا. ما من أحد يريد أن يُخالفه الرأي لأنه رجل صاحب سلطة. يسأل أحدهم لتغيير الموضوع وتخفيف التوتر:

- ما هو هذا الكيمشي الذي نأكله؟

يسود الصمت. ما من أحد يعرف ما هو الكيمشي، حتى جيريرو إيراولا وهو رجل حظي بتعليم نوعي وسافر عبر نصف أنحاء العالم ويتحدث اللغات. يُخفي أورليت جيِّدًا امتعاضه من تناول الطعام مع هؤلاء القوم الذين يفتقرون إلى الثقافة والذوق، لكنه لا يُخفيه بالكامل، إذ يجيب مع لمسة ازدراء خفيفة في صوته:

- الكيمشي غذاء مجهز من خضراوات خُمرت طيلة شهر. أصوله كورية. منافعه مُتعددة، ومن ضمنها أنه ملآن بالمعينات الحيوية. أُقدِّم الأفضل دائمًا إلى ضيوفي.

يقول أحدهم قبل أن ينفجر جميعهم ضحكًا:

- لدينا معيناتنا الحيوية من المخدرات القوية التي اعتاد أوليسيس أن يحقن بها نفسه.

لا يُجيبه أورليت. ينظر إليهم فقط وعلى وجهه نصف ابتسامة. يعرف هو أن الكيان، الموجود هناك ويخمش جلد أورليت من الداخل، يودُّ أن يعوي ويمزق الهواء بصرخة حادَّة وقاطعة.

يفرض جيريرو إيراولا النظام بنظرة منه ويسأل:

- كيف كان صيد أوليسيس بوكس؟

- باغتُّه على حين غرة في شيء يبدو كالمخبأ. لم يحالفه الحظ، إذ تحرك وأنا أمر إلى جواره.

يقول له من اصطاد المرأة الحُبلى:

- بالطبع فمع أذنك الآلية، لا يُمكن لأحد أن يفلت منك.

يقول جيريرو إيراولا:

- ليساندريتو أستاذ مثل كل آل نونييث جيبارا. أفضل عائلة من الصيادين في كل أنحاء البلاد.

يمضي جيريرو إيراولا في حديثه وهو يشير بشوكته إلى اللحم:

- اترك لي النجم القادم الذي سيجلبه أورليت لنا يا فتى!

إنه تهديد واضح، يدفع ليساندريتو إلى طأطأةِ رأسه.

يرفع جيريرو إيراولا ويشربون جميعًا في نخب ليساندريتو وسلالته من صيادي الدرجة الأولى.

يسأل أحد ما أورليت:

- كم يومًا كان يتبقى له؟

- كان يومه الأخير، وتبقت له خمس ساعات.

يصفقون جميعًا ويقرعون كؤوسهم.

إلا هو، لأنه يفكر في ياسمين.

6

يعرف أنه سيعود إلى بيته في وقت متأخر. السفر طويل، لكنه لا يريد أن يبيت في فندق كما حدث في مرات سابقة، حين لم تكن معه ياسمين. يقود سيارته منذ عدة ساعات. يعرف أنه سيصل ليلًا.

يمر على حديقة الحيوانات المهجورة. يتجاهلها لأنها مظلمة ولأنه لا يريد أن يذهب إليها بعدئذٍ على الإطلاق. في آخر مرة، لم تكن ياسمين حُبلى. احتاج إلى أن يُصفي ذهنه وأراد أن يذهب إلى بيت الطيور.

سمع وهو على مشارف الوصول صرخات وضحكات. جاءت من «بيت الأفاعي». اقترب ببطء، وهو يدور حول البناية ليرى ما إذا كان سيجد نافذة لِكَيْلا يضطر إلى الدخول.

كانت إحدى الحوائط مكسورة. نظر بحذر ورأى مجموعة من المراهقين. حوالي ستة أو سبعة يُمسكون كلهم العِصي في أيديهم.

كانوا في «بيت الأفاعي» الذي فيه الجراء. كسروا الزجاج. تمكن من رؤية أن الجراء موجودة هناك وهي مُتكوِّرة فوق بعضها وترتجف وتئن من الخوف. أمسك مراهق واحدًا من الجراء التي كان قد داعبها قبلئذٍ بعِدَّة أسابيع وقذفه في الهواء، ثم ضربه مراهق آخر بالعصا كأنه كرة. اصطدم الجرو بالحائط وسقط أرضًا ميتًا بالقرب من جرو آخر.

صفَّقَ المراهقون. قال أحدهم:

- أريد أن نسحق أمخاخهم فوق الجدار. أريد أن أختبر هذا الشعور.

أمسك الجرو الثالث وضرب رأسه عِدَّة مرات في الجدار.

- الأمر كسحق بطيخة. مجرد خراء. هيا نجرب مع الأخير.

حاول الأخير أن يدافع عن نفسه وينبح. فكر: «إنه جاجر». أكله الغضب من الداخل لأنه يعرف أنه عاجز عن إنقاذه، ولن يتمكن من مواجهة المراهقين بمفرده. عضَّ الجرو المراهق الذي سيُلقيه في الهواء في يده. شعر بلذة من انتقام جاجر الصغير.

ضحكوا في البداية وبعدئذٍ توقفوا جميعًا وصمتوا.

- ستموت يا أحمق. قلت لك إنك يجب أن تمسكه من رقبته.

ظل المراهق صامتًا وعاجزًا عن إبداء رد فعل.

- لقد أصبت بالفيروس.

- أنت مُلوَّث.

- ستموت.

ابتعدوا عنه جميعًا بخوف بضع خطوات.

- الفيروس مجرد اختراع يا معاتيه!

- لكن الحكومة...

- ماذا عن الحكومة؟ هل ستصدق شيئًا مما تقوله زمرة الفاسدين من مصاصي الدم وأبناء العاهرة الكبيرة الذين يسمون أنفسهم حُكامًا؟

بينما يقول كل هذا، أخذ يهز جاجر في الهواء.

- لا، لكن ثمة ناس قد ماتوا.

- لا تَكُن غبيًّا. ألا تدرك أنهم يتحكمون بنا؟ إن أكلنا بعضنا بعضًا فبإمكانهم أن يسيطروا على الزيادة السكانية والفقر والجريمة. هل تريد أن تسمع المزيد؟ ألا ترى أن الأمر واضح؟

قال الأطول بينهم:

- أجل. أجل، مثل ذلك الفيلم الممنوع الذي أكل فيه الجميع من بعضهم من دون أن يدركوا.

- أي فيلم؟

- هذا الفيلم.. عنوانه كان شيئًا مثل «القدر الذي ينال منّا» أو عبارة حمقاء مثل هذه. شاهدناه على الإنترنت المُظلم. العثور عليه ليس سهلًا لأنه من الأفلام الممنوعة.

- آه! أجل. تذكرت يا أحمق. ذلك الفيلم الذي يأكلون فيه قطعًا من البسكويت الأخضر مصنوعة في الأصل من معجون البشر.

هزَّ المراهق جاجر بقوة أكبر في الهواء وصرخ:

- لن أموت بسبب هذا الحيوان القذر.

قالها بضغينة وخوف ثم ألقى جاجر على الجدار بقوة. سقط جاجر على الأرضية، لكنه ظلَّ حيا وبكى وتأوه.

سأله مراهق آخر:

وماذا إن أضرمنا فيه النيران؟

وحينئذٍ، لم يقدر على رؤية المزيد.

7

بين الحين والآخر يظهر في بيته مُفتش تابع لوكالة وزارة مراقبة الرؤوس المنزلية. يعرفهم جميعًا. يعرف كل المهمين منهم، لأنه عمل بنفسه هناك، في وكالة الوزارة، حين أغلقوا كلية العلوم البيطرية، وصار العالم عبارة عن فوضى وبدأ أبوه يعيش داخل الكتب ويتصل به في الثالثة صباحًا ليخبره أنه يريد أن يتحدث مع «البارون ساكن الأشجار» كي يساعده على دخول صفحاته، ويقول له إن الكتب جواسيس من بُعد موازٍ؛ حين صارت الحيوانات تهديدًا، ثم لملم العالم شتاته بسرعة تقشعر لها الأبدان وأصبح أكل لحوم البشر قانونيًّا. اتصلوا به بتوصية من العاملين في مجزر أبيه. كان من ضمن الأشخاص الذين صاغوا القواعد واللوائح، لكنه لم يعمل هناك إلا سنة واحدة لأن الراتب كان سيِّئًا وتحتم عليه أن يُودع أباه في دار الرعاية.

ظهر موظفو وكالة الوزارة للمرة الأولى بعد عِدَّة أيام من وصول الأنثى إلى بيته؛ الأنثى التي لم يكن لها اسم آنذاك، وكانت مجرد رقم في السجل، ومشكلة ورأس منزلي مثل بقية الرؤوس الأخرى.

كان المفتش شابًّا ولم يعلم أنه عمل في وكالة الوزارة. قاده إلى المستودع الذي رقدت فيه الأنثى فوق ملاءة وهي مُقيَّدة وعارية. لم يبدُ على المفتش الاندهاش وسأله ما إذا كانت قد حصلت على اللقاحات الضرورية.

- إنها هدية ولا أزال أتأقلم على وجودها. لكن، أجل، حصلت على اللقاحات. سأجلب لك الأوراق الآن.

- يمكنك أن تبيعها. إنها من الجيل الأول النقي. تساوي ثروة. لدي قائمة مشترين قد يهتمون بالأمر.

- لا أعرف ما سأفعله بعد.

- لا أرى أيَّ مخالفات. قد أنصحك فقط بأن تبقيها أنظف مما هي عليه لتجنب الأمراض. تذكر أنك إن قررت ذبحها، فسيتحتم عليك أن تتصل بإخصائي للتصديق على العمل وإبلاغنا بذبح الرأس من أجل السجلات. ينطبق الشيء نفسه إن أردت بيعها أو إن هربت أو إن حدث أي شيء علينا تسجيله، لِكَيْلا تصدر أي شكاوى مستقبلية.

- أجل. كل هذه الأمور واضحة. لو أردت ذبحها، فأنا مصرح لي بهذا. أعمل في مجزر. كيف حال السمين بينيدا؟

- السيد ألفونسو بينيدا؟

- أجل السمين.

- لا أحد يناديه هكذا. إنه مديرنا.

- السمين صار مُديرًا؟ لا يمكنني أن أصدق. لقد عملت معه ونحن مجرد فتية. أُرسل له تحياتي.

عقب هذه الزيارة الأولى، اضطلع «السمين» بينيدا بالاتصال به شخصيًّا لإبلاغه بأنهم سيطلبون منه توقيعه فحسب، حين يأتي موعد التفتيش المقبل، وذلك لِكَيْلا يزعجوه.

- أهلًا يا تيخيتو! وكأنك قد تفعل شيئًا لأنثى!

- عزيزي «السمين»! يا رباه على الزمن!

- لم أعد سمينًا! تجبرني زوجتي الشمطاء على تناول العصائر وهذه القمامة التي يأكلها الأصحاء. صرت الآن نحيفًا تعيسًا. متى سنأكل معًا في حفل شواء يا تيخيتو؟

كان «السمين» بينيدا رفيقه في زيارات التفتيش الأولى التي نفذاها لأوائل مُلَّاك الرؤوس المنزلية. عرف الناس المسموح والمحظور، لكنهم لم ينتظروا تفتيشًا، وهكذا شهدا شتى أنواع المواقف.

تعدلت اللوائح مع تقدم العمل. يتذكر حالة تعاملا فيها مع امرأة. سألاها عن أنثى. احتاجا إلى رؤية الأوراق والتأكد من أنها ملقحة ومن ظروفها المعيشية. تعصبت المرأة وقالت إن زوجها، مالك الأنثى، ليس موجودًا وإن عليهما أن يأتيا في وقت لاحق. حينذاك، نظر إلى «السمين»، وفكر كلاهما في الشيء نفسه. ركضا في اتجاه المرأة التي حاولت إغلاق الباب ودخلا البيت. صرخت المرأة قائلةً إنهما لا يحق لهما الدخول، وإن فعلتهما غير قانونية وإنها ستتصل بالشرطة. قال «السمين» إن ما فعلاه مُصرح به وأن تتصل بالشرطة لو أنها رغبتها. تفقدا الغرف ولم يجدا الأنثى. حينئذٍ، خطر له أن يفتح خزانات الملابس ويبحث تحت الأسِرَّة، وحين نظرا تحت فراش الزوجية، وجدا صندوقًا خشبيًّا مُزوَّدًا بإطارات صغيرة وكبيرًا بصورة كافية كي يسعَ شخصًا راقدًا داخله. فتحاه ووجدا الأنثى وهي عاجزة عن الحركة في ذلك الشيء الذي يُشبه التابوت. لم يعرفا ما يتحتَّم عليهما فعله لأن اللوائح لم تتضمَّن حالة مثل هذه. كانت الأنثى في حالة صحية جيدة، لكن التابوت الخشبي ليس مكانًا تقليديًّا لوضعها فيه، ومع ذلك لم يكن بإمكانهما أن يفرضا غرامة على صاحبها. حين دخلت الزوجة إلى

الغرفة ورأت أنهما قد اكتشفا الأنثى، انهارت. بدأت تبكي وتقول إن زوجها يعاشر الأنثى ولا يعاشرها وإنها فاض بها الكيل وإنها قد استُبدلت بحيوان وإنها لا تطيق فكرة النوم وهذا المخلوق المنفر تحت فراشها وإنها تشعر بالإهانة، وإنها لن تهتم إن انتهى بها المطاف في «مذبح «البلدية» لكونها شريكة في جريمة. وإن كل ما توده هو حياة طبيعية، الحياة التي تسبق «الانتقال». على ضوء هذه الشهادة اتصلا بالفريق المختص بفحص الرؤوس للتحقق من أنها قد استُخدمت بغرض «المتعة»، وهي الكلمة الرسمية التي استُخدمت في تلك الحالات. نص القانون على أن وسيلة التكاثر الوحيدة للرؤوس المنزلية لا بُدَّ أن تكون صناعية، بشراء السائل المنوي من البنوك المتخصصة، على أن تُلقح الأنثى بالعينة بواسطة محترفين مؤهلين، وأن كل هذه العملية لا بُدَّ أن تسجل وتوثق بطريقة تُمكِّن من تخصيص رقم تعريفي للجنين، إن صارت الأنثى حُبلى فعلًا. بالتالي، فلا مناص من أن تغدو كل الإناث عذراوات. معاشرة إحدى الرؤوس، والاستمتاع بها غير قانوني، وعقوبة المسألة الموت في «مجزر البلدية». ذهب الفريق المتخصص إلى البيت وأكد أن الأنثى قد استُخدمت بغرض «المتعة بكل الطرق الممكنة».

حُكم على الرجل، وعمره سبعون عامًا، بالإعدام وأُرسل مباشرة إلى «مجزر البلدية»، أما المرأة ففُرِضت عليها غرامة وصودِرت منها الأنثى وبيعت في مزاد بسعر أقل لأنها وفقًا لاصطلاحات المجال تعرَّضت إلى «تمتع محظور».

يستيقظ مفزوعًا بعد أن نام بضع ساعات عقب رحلة العودة الطويلة من أرض الصيد. يسمع بوق سيارة. تنظر إليه ياسمين، الموجودة إلى جواره، بعينين متسعتين جدًّا. إنها مُعتادة على البقاء بلا حراك وهي تنظر إليه لأنها تنام طوال النهار ويحتاج إلى أن تظل هادئة ليلًا، لهذا عوَّدها على ربطها في الفراش. لا يريد أن تتجوَّل في البيت من دون رقابة. لا يريدها أن تؤذي نفسها أو أن يحدث شيء لابنه.

ينهض وهو يقفز ليغلق الستارة. يرى رجلًا يرتدي بزة واقفًا عند باب السيارة المفتوح وبين الحين والآخر يميل ليدق البوق.

يُفكِّر: «إنه مفتش».

يفتح باب الدخول وهو في منامته، بوجه قد انطمست ملامحه بسبب النوم.

- السيد ماركوس تيخو؟

- أجل. هذا أنا.

- أنا من وكالة وزارة مراقبة الرؤوس المنزلية. كانت آخر زيارة تفتيش منذ ستة شهور، أليس كذلك؟

- أجل. ناولني الوثيقة وسأوقعها واتركني كي أكمل نومي.

ينظر المفتش إليه في البداية مندهشًا، ثم يرمقه بنظرة تُوضِّح سلطته، ويرفع صوته ويقول:

- ما الذي قلته؟ أين هي الأنثى يا سيد تيخو؟

- انظر.. «السمين» بينيدا اتصل بي وقال لي إنكم تحتاجون فقط إلى توقيع. لم يَكُن ثمة مشكلة مع المفتش السابق.

- هل تقصد السيد بينيدا؟ لم يَعُد يعمل في القطاع.

يشعر بقشعريرة تسري في عموده الفقري. يحاول التفكير فيما يجب عليه فعله. لو اكتشف المفتش أن ياسمين حُبلى فسيرسلونه إلى «مذبح البلدية»، والأسوأ من هذا أنهم سيحرمونه من ابنه.

يحاول اكتساب الوقت ليفكر فيما يجب عليه فعله. يقول له:

- تعال. لنشرب بعض المتَّة. لا أزال ناعسًا. امنحني بضع دقائق لأنني استيقظت للتو.

- أشكرك، لكن علي أن أستأنف مسيرتي. أين هي الأنثى؟

- تعال. ادخل. احكِ لي ما حدث مع بينيدا.

تظهر أمارات الشك على المُفتش، فيما يتعرق هو ويحاول إخفاء توتره.

- حسنًا. لكن لا يمكنني أن أمكث وقتًا طويلًا.

يجلسان في المطبخ. يشغل نيران الموقد ويضع الإبريق. يُجهز المتَّة وهو يتحدث عن شؤون متنوعة: عن الطقس، وعن مدى سوء الطرق في هذه المنطقة، وعما إذا كان يحب عمله. حين يناوله المتَّة، يقول له:

- هلَّا انتظرتني بضع دقائق كي أغسل وجهي؟ عدت بالأمس من رحلة طويلة ولم أنم تقريبًا. استيقظت على صوت بوق سيارتك.

- لكنني ظللت أصفق لبرهة قبل بوق السيارة.

يبدو المفتش منزعجًا. يبدو أنه يود أن يغادر، لكن ذكر اسم بينيدا ما جعله يدخل وينتظر.

يذهب إلى غرفة ياسمين ويرى أنها ساكنة في الفراش. يغلق الباب ويذهب إلى الحمام ليغسل وجهه. ما الذي يجب فعله؟ ما الذي يجب قوله؟

يعود إلى المطبخ ويعرض عليه بعض قطع البسكويت الصغيرة. يقبلها المفتش بريبة.

- هل تخلصوا من «السمين» بينيدا؟

يتأخر المفتش في الرد. يتوتر.

- كيف تعرفه؟

- عملت معه حينما كنَّا مجرد شابين. نحن صديقان. عملنا كمفتشين معًا. اعتدنا أن نقوم بعملك قبل وجود اللوائح الحاسمة، وعملنا على أقلمتها مع الأوضاع.

تتراجع حِدَّة توتر المفتش قليلًا وينظر إليه بصورة مختلفة، ربما بإعجاب نوعي.

يُمسك قطعة أخرى من البسكويت ويرتسم على وجهه شيء يشبه الابتسامة.

- بدأت هذا العمل منذ فترة قليلة. أنا هنا منذ شهرين. السيد بينيدا ترقّى. لم أحظَ به كمدير، لكن يقولون إنه كان مديرًا عظيمًا.

يشعر بالراحة، لكنه يُخفي الأمر.

- أجل «السمين» رجل عظيم. انتظرني ثانية.

يتوجَّه إلى الغرفة ويبحث عن هاتفه. يتصل برقم «السمين»، ثم يتوجَّه إلى المطبخ.

- أهلًا يا «سمين»! كيف حالك؟ أنا هنا مع أحد مفتشيك. يريد مني أن أظهر له الأنثى وأنا لم أنم. إنها في المستودع. يتحتَّم عليَّ أن أفتحه وهذا مجهود كبير. ألم نتفق أنني سأوقع فحسب؟

يناول المفتش الهاتف الخلوي.

- أجل يا سيدي! بالطبع. لم تكن لدي معلومة بخصوص الأمر. أجل. اعتبر أن المسألة قد تمَّت. لا تقلق سعادتك.

يضع المفتش المتَّة جانبًا ويبحث في حافظة أوراقه ويسلمه استمارة وقلمًا. يوجه له ابتسامة مُصطنعة بتوتر. إنها ابتسامة تُخفي أسئلة كثيرة وتهديدًا: ما الذي يفعله بالأنثى؟ هل يستمتع بها؟ هل يستخدمها لأي غرض آخر غير قانوني؟ سترى ما سأفعله حين يترك «السمين» منصبه. سترى. لديك تاج صغير فوق رأسك حاليًّا، لكننى سأجعلك تدفع الثمن.

يرى هو الأمر بوضوح. يرى الأسئلة والتهديد المُستتر، لكنه لا يشغل باله. يعرف أنه قادر على تزوير شهادة ذبح منزلية، لأنه لديه كل ما يحتاج إليه في المجزر، وبالمثل أنه لم يَعُد بإمكانه الاعتماد على «السمين» بينيدا، وبالأخص بعد هذه الزيارة. يود أن يرحل كي ينام مجددًا، لكن يعرف أن الأمر لن يغدو ممكنًا. يناوله الاستمارة، ويسأله:

- هل أصب لك مزيدًا من المتّة؟

ينهض المفتش ببطء. يضع الاستمارة في حافظة الأوراق ويقول له:

- لا. شكرًا. سأغادر الآن.

يرافقه نحو الباب ويصافحه. لا يشدُّ المفتش على يده. يتركها هكذا وهي رخوة ميتة، كي يبذل هو مجهود مصافحته والإمساك بهذه اليد التي تبدو عجينًا غير متجانس، أو سمكة ميتة. ينظر المفتش إلى عينيه، قبل أن يستدير، ويقول:

- يا للسهولة التي كان عملنا سيصبح عليها لو أن الأمر يتعلَّق فقط بالتوقيع من دون أي شيء آخر، أليس كذلك؟

لا يُجيبه. صحيح أن ما قاله له يبدو تصرفًا وقحًا، لكنه يفهمه. يتفهم عجز هذا المفتش الشاب الذي يحتاج إلى مخالفة كي يصبح لعنائه قيمة، هذا المفتش الذي يعرف أن ثمة شيئًا مريبًا في الموقف لكنه يجد نفسه مُضطرًّا إلى التخلي عن واجبات عمله؛ هذا المُفتش الذي يعرف أنه ليس فاسدًا ولم يَكُن ليقبل أي رشوة. إنه رجل شريف لأنه يظل جاهلًا لبعض الأمور. يُذكره بنفسه حين كان لا يزال شابًّا (قبل المجزر والشكوك وابنه والموت اليومي المُرقم)؛ حين ظن تطبيق اللوائح أهم شيء؛ حين ابتهج جزء ما داخل عقله بـ«الانتقال»، وهذا العمل الجديد، وبكونه جزءًا من تغيير تاريخي، وبالتفكير في قواعد سيتحتم على الناس الالتزام بها بعد زواله من هذا العالم بوقت طويل لأن اللوائح: «ستغدو إرثي وأثري». هكذا فكر.

لم يتخيَّل قط أنه قد يأتي اليوم الذي سيتجاهل فيه قانونه الشخصي.

8

حين يطمئن إلى أن المفتش قد غادر وإلى أن السيارة قد عبرت البوابة يعود إلى غرفته ويفكُ قيود ياسمين ويعانقها. يعانقها بقوة ويلمس بطنها. يبكي قليلًا، فتنظر إليه ياسمين من دون أن تفهم، لكنها تلمس وجهه ببطء كأنها تُداعبه.

9

إنها عطلته.

يُحضِّر بعض الشطائر ويجلب جعة وقليلًا من الماء لياسمين. يبحث عن الراديو القديم، الذي اعتاد أن يستخدمه حين كان كل من كوكو وبوجلييسي على قيد الحياة، ويذهب مع ياسمين عند الشجرة التي دُفنا تحتها. يبقى الاثنان تحت ظلالها وهما يستمعان إلى موسيقى الجاز.

يتردد صدى موسيقى مايلز ديفيز وكولترين وشارلي باركر وديزي جيليسبي. لا وجود للكلمات، بل الموسيقى فحسب وسماء زرقاء واسعة وضاءة، وأوراق الأشجار التي تتحرك بخفة، وياسمين المستندة إلى صدره في صمت.

حين تبدأ موسيقى ثالونيوس منك، يقف ويساعد ياسمين على النهوض ببطء. يعانقها بعناية ويبدأ في التحرك والتمايل. لا تفهم ياسمين في البداية تبدو مُنزعجة، لكنها تترك نفسها تمضي مع التيار وتبتسم. يقبلها في جبهتها، عند ختم النار. يرقصان ببطء، على الرغم من أنها موسيقى سريعة.

يقضيان بقية المساء تحت الشجرة ويظن أنه يشعر بأن كوكو وبوجلييسي يرقصان معهما.

10

يستيقظ على مكالمة من نيليدا.

- أهلًا ماركوس كيف حالك، عزيزي؟ أحوال بابا ليست جيدة. الأمر ليس خطيرًا، لكننا نحتاج إلى أن تأتي اليوم لو أن الأمر ممكن.

- لا أظن أنني سأقدر اليوم. غدًا أفضل.

- لا أعتقد أنك تفهمني. نحتاج إليك اليوم.

لا يُجيبها. يعرف ما تعنيه مكالمة نيليدا، لكنه لا يريد أن يقوله. لا يُريد أن يصيغه في صورة كلمات.

- سآتي الآن يا نيليدا.

يترك ياسمين في الغُرفة. يعرف أنه سيتأخر. يُحضِّر لها طعامًا وماء لليوم كله. يتصل بماري ويقول لها إنه لن يأتي اليوم إلى المجزر.

يقود بأقصى سرعة. لا لأنه يُفكِّر في أنه سيغير الأمور أو لأنه يحسب أنه سيتمكن من رؤية أبيه وهو على قيد الحياة، وإنما لأن السرعة تساعده على ألا يفكر. يُشعل سيجارته ويستمر في القيادة. يبدأ في السعال بقوة. يُلقي السيجارة من النافذة، لكنه يستمر في السعال. يشعر بشيء في صدره، كأنه حجر. يضربه ويسعل.

يُوقف السيارة إلى جانب الطريق. يسند رأسه إلى المقود. يبقى صامتًا وهو يحاول أن يتنفس. يجد نفسه قرب مدخل حديقة الحيوان. ينظر إلى اللافتة المكسورة التي تساقط طلاؤها والحيوانات المرسومة التي تحوط كلمتي «حديقة حيوان» شبه المختفيتين. يخرج من السيارة ويمضي نحو المدخل. اللافتة موجودة فوق قوس مؤطَّر قوامه حجارة غير متماثلة. يتسلق الحجارة لأنها ليست مُرتفعة جدًّا ويظل واقفًا وراء اللافتة. يبدأ في ركلها وضربها إلى أن يتمكن من إسقاطها. صوت اصطدام اللافتة بالنجيل مكتوم، كضربة.

الآن لم يَعُد لهذا المكان اسم.

يصل إلى دار الرعاية. تنتظره نيليدا عند الباب. تعانقه.

- تخيلت الأمر؟ أليس كذلك؟ لم أرد أن أبلغك هاتفيًّا، لكننا احتجنا إليك هنا من أجل الإجراءات. أنا حزينة جدًّا جدًّا، عزيزي.

كل ما يقوله لها فقط هو: «أود أن أراه الآن».

- أجل يا عزيزي. تعال معي وسأرافقك إلى الغرفة.

توصله نيليدا إلى غرفة أبيه. الضوء طبيعي والغرفة مُرتبة بالكامل. ثمة صورة على الكومود لأمه وهي تحمله بين ذراعيها وهو مجرد رضيع وعلب أدوية ومصباح.

يجلس على مقعد إلى جوار الفراش الذي يرقد أبوه فوقه بيديه المتقاطعتين فوق صدره. شعره مُصفف ومُعطر. إنه ميت.

- متى حدث الأمر؟

- اليوم في وقت مبكر. مات وهو نائم.

تغلق نيليدا الباب وتتركه بمفرده.

يلمس يديه، لكنهما باردتين كالثلج، فيبعدهما بسرعة. لا يشعر بشيء. يود أن يبكي وأن يعانقه، لكنه ينظر إلى هذا الجثمان، كأنه جسد يخص شخصًا غريبًا. يُفكِّر فى أن أباه قد تحرَّرَ الآن من الجنون ومن هذا العالم المُتوحِّش. يشعر بشيء يبدو كالراحة، لكن ما يحدث في الواقع أن هذا الحجر الموجود داخل صدره يتضخم.

ينظر عبر النافذة المُطِلَّة على الحديقة. يرى طائرًا طنانًا يُحلِّق على ارتفاعٍ موازٍ لعينيه بالضبط. يبدو لبضع ثوانٍ كأنه ينظر إليه. يودُّ أن يلمسه لكن الطنان يتحرَّك سريعًا ويختفي. يفكر في أنه من غير الممكن أن يُلحق شيء بمثل هذا الصغر والجمال الأذى بأحد. يفكر في أن طائر الطنان هذا ربما روح أبيه التي جاءت لتُودِّعه.

يشعر بأن الحجر يتحرَّك داخل صدره، فيبدأ في البكاء.

11

يخرج من الغرفة. تطلب منه نيليدا أن يأتي معها ليوقع الوثائق. يدخلان مكتبًا. تعرض عليه شرب القهوة فيرفض. نيليدا متوترة. تُحرِّك الأوراق وتشرب بعضًا من الماء. يُفكِّر في أنه من المفترض أن كل ما يحدث روتيني بالنسبة إليها، ولهذا لا يجب عليها أن تتأخر في إنهاء الإجراءات كما تفعل حاليًّا.

- ما الأمر يا نيليدا؟

تنظر إليه بحيرة. لم يكن مباشرًا أو عدائيًّا معها بمثل هذه الصورة قبلئذٍ قط.

- لا شيء عزيزي. الأمر وما فيه أنني اضطررت إلى الاتصال بأختك.

تنظر إليه بحسم، لكنه ممزوج بقليل من الذنب:

- إنها قواعد دار الرعاية ولا وجود للاستثناءات، عزيزي. أنت تعرف أنني أحبك جدًّا، لكنني لا أريد المخاطرة بعملي. ماذا سنفعل إن جاءت أختك لاحقًا وتسببت في فضيحة؟ لقد مررنا بمثل هذه الأمور من قبل.

- حسنًا.

لو أنها لحظة أخرى، لواساها بعبارة من نوعية: «لا تقلقي» أو «لا توجد مشكلة»، أما اليوم فلا.

- عليك أن توقع وثيقة الموافقة على ترميده. لقد أرسلت لي أختك وثيقتها موقعة إلكترونيًّا، لكنها أوضحت لي أنها لن تحضر الترميد. يمكننا أن نتواصل نحن مع «بيت الراحلين»، لو أنها رغبتك.

- أجل. يبدو لي أمرًا جيدًا.

- ستحضر الترميد بالطبع للتحقق من إتمامه، وسيقدمون لك الجرَّة في النهاية.

- حسنًا.

- هل لديك رغبة في إجراء مُحاكاة للجنازة؟

- لا.

- بالطبع لم يَعُد أحد يفعلها، وماذا عن اجتماع الوداع؟

- لا.

تنظر إليه نيليدا باندهاش. تشرب مزيدًا من الماء وتعقد ذراعيها.

- تودُّ أختك أن تعقد هذا الاجتماع وهذا من حقها قانونيًّا. أتفهم رغبتك في الرفض، لكنها عازمة على توديعه.

يأخذ نفسًا عميقًا. يشعر بإنهاك مدمر. صار الحجر الآن يشغل صدره بالكامل. لن يتناقش مع أحد. لا مع نيليدا، أو مع أخته أو مع كل الناس الذين سيذهبون إلى هذا

الاجتماع الذين يدعونه «وداعًا» للحفاظ على علاقتهم الجيدة مع أخته؛ كل هؤلاء القوم الذين لم يعرفوا أباه قط ولم يشغلوا أنفسهم قط بالسؤال عن أحواله. بعدئذٍ، يضحك ويجيبها:

- حسنًا. لتعقد هذا الاجتماع. لتضطلع بشيء على الأقل، بشيء واحد.

تنظر إليه نيليدا باندهاش وشيء من الأسى.

- أتفهم استياءك وأنت فوق هذا محق، لكنها أختك. العائلة عائلة.

يحاول التفكير فى أى لحظة تحوَّلت فيها نيليدا من مجرد عاملة في دار رعاية إلى شخص يعتبر أن لديه حقًّا في تقديم النصائح وإبداء رأيه والسقوط مرة تلو الأخرى في التَّفوُّه بعبارات مُستهلَكة ومُبتذلة مثيرة للغضب.

- ناوليني الأوراق يا نيليدا من فضلك.

تتراجع نيليدا. تنظر إليه بحيرة. لطالما كان لطيفًا، بل وودودًا معها. تناوله الأوراق في صمت. يوقع ويقول:

- أريد أن يرمدوه اليوم. الآن.

- أجل، عزيزي. تسارع كل شيء بعد «الانتقال». انتظرني في الصالة، وأنا سأهتم بالأمر. سيأتون لنقله في سيارة عادية. أنت تعرف أن السيارات الجنائزية لم تعد تُستخدم، أليس كذلك؟

- أجل. هذا أمر يعرفه الجميع.

- لا. أوضح لك الأمر لأن هناك قومًا لا يعرفون المسألة ويحسبون أن هذه النقطة لم تتغير.

- كيف كانت ستبقى على حالها بعد الهجمات؟ ظهرت الأنباء في كل الصُّحف. لا يريد أحد أن يأكل آخرون قريبه وهو في طريقه إلى المقبرة يا نيليدا.

- اعذرني أنا متوترة. لا أفكر بوضوح. أحببت أباك كثيرًا وكل هذه الأمور تشق عليَّ جدًّا.

يسود صمت طويل. لن يمنحها هذا العذر أيضًا. ينظر إليها بنفاد صبر، فترتبك.

- أعرف أن الأمر لا يخصني يا ماركوس، لكن هل أنت بخير؟ أعرف أن النبأ حزين جدًّا، لكن أحوالك غريبة منذ فترة. لديك هالات سوداء ووجهك مُنهك.

ينظر إليها من دون أن يجيبها، فتمضي في حديثها:

- حسنًا.. ما سيحدث أنك ستذهب مع السيارة وستكون مع أبيك طوال الوقت حتى في أثناء الترميد.

- أعرف يا نيليدا. سبق لي المرور بهذا الأمر بالفعل.

يشحب وجهها. بالطبع. لم تفكر في الأمر وأدركته الآن. تنهض بسرعة وتقول له: «اعذرني. أنا عجوزٌ حمقاء. اعذرني». تستمر في الاعتذار منه إلى أن يصلا إلى القاعة ويجلس وتُقدِّم له شيئًا ليشربه، قبل أن تبتعد في صمت.

12

يعود إلى بيته ومعه أرمدة أبيه في السيارة. وضعها في المقعد المجاور إليه لأنه لم يعرف أين قد يضع الجرَّة. كان الأمر سريعًا. شاهد جسد أبيه وهو يدخل الفرن ببطء، داخل التابوت الشفاف. لم يشعر بشيء، أو ربما شعر بالراحة.

اتصلت أخته أربع مرات على الهاتف الخلوي. لم يجبها. يعرف أنها قادرة على الذهاب إلى بيته بحثًا عن الأرمدة. يعرف أنها قادرة على فعل أي شيء لإتمام ذلك اللقاء الوداعي. سيتحتم عليه أن يجيب على مكالماتها في نهاية المطاف.

يمر على ما كان حديقة للحيوان ولم يَعُد له اسم الآن. الوقت متأخر، لكنه يتوقف. لا يزال هنالك بقايا من الضوء الطبيعي.

يترجَّل من السيارة ويُمسك الجرَّة بين يديه. ينظر إلى اللافتة الساقطة على الأرضية ويدخل.

يسير مباشرة نحو بيت الطيور لا يفكر أصلًا في عرين الأسود. يسمع صرخات، لكنها بعيدة. يفكر في أنهم المراهقون الذين قتلوا الجراء على الأرجح.

يصل إلى بيت الطيور ويصعد السُلَّم المؤدي إلى الجسر المُعلَّق. يرقد وهو ينظر إلى السقف الزجاجي؛ إلى السماء البرتقالية والوردية، إلى الليل الذي يقترب.

يتذكَّر حين رافقه أبوه إلى بيت الطيور. جلسا معًا عند المقاعد السفلية وتحدث معه طيلة ساعات عن فصائل الطيور وعاداتها وألوان الإناث والذكور وعن الطيور التي تغرد ليلًا وصباحًا، وعن تلك التي تُهاجر. صوت أبيه كقطعة قطن ذات ألوان لامعة. ناعم وضخم وشديد الجمال. لم يسمعه يتحدَّث بهذه الصورة قط منذ وفاة أمه. حينما صعدا إلى الجسر المعلق، أشار أبوه إلى نقش الرجل المجنح الذي ترافقه الطيور وابتسم. قال له: «يقولون جميعًا إنه سقط لأنه حلَّقَ قريبًا جدًّا من الشمس، لكنه حلَّق. هل تفهم يا بني؟ لقد تمكن من التحليق. لو صرت طائرًا حتى ولو لبضع ثوانٍ، فالسقوط ليس مهمًّا».

يُصفِّر لبعض الوقت لحن أغنية «Summertime» لجريشوين التي اعتاد أبوه أن يُشغِّل دائمًا نسخة إيلا فيتزجيرالد ولويس أرمسترونج منها. لطالما قال أبوه: «إنها الأفضل، إذ تثير عواطفي إلى حد البكاء». ذات يوم رأى أباه وأمه وهما يرقصان على إيقاع بوق أرمسترونج. تحركا بين الظلال المُشعشعة. وقف ليشاهدهما في صمت وهما يرقصان لفترة طويلة. داعب أبوه خد أمه، فشعر وهو في هذه السن الصغيرة بأن هذا هو الحب. لم يتمكن من إيجاد الكلمات المناسبة في تلك اللحظة، لكن جسده أدرك الأمر، كما يحدث حين يتعرف المرء على أي شيء حقيقي.

حاولت أمه تعليمه تصفير هذا اللحن، لكنه لم ينجح. ذات يوم خرج أبوه للتمشية معه وعلمه. قال له أن يتظاهر في المرة المقبلة حينما تحاول تعليمه أمه تصفير اللحن بأن الأمر لا يزال يشق عليه قبل أن يصفره بنجاح. لما نجح في الأمر أمام أمه قفزت بسعادة وصفقت له. يتذكر كيف بدأ ثلاثتهم يصفرون هذا اللحن معًا كفرقة جاز ثلاثية لا تأبه بشيء، لكنها سعيدة.

بالنسبة إلى أخته، التي كانت لا تزال رضيعة في ذلك الوقت، فنظرت إليهم بعينين براقتين وابتسمت.

ينهض ويفتح غطاء الجرَّة. يُلقي الرماد من فوق الجسر. يراه يسقط ببطء. يقول: «وداعا يا أبي سأفتقدك».

ينزل ويخرج من بيت الطيور. يسير إلى منطقة ألعاب الأطفال. ينحني ويجمع بعض الرمال، أو بالأصح ما يكفي منها ليملأ الجرَّة. إنها رمال مُختلطة بالقمامة، ومع ذلك لا يشغل باله بتنظيفها. يجلس على إحدى الأراجيح ويشعل سيجارة. حين يفرغ من تدخينها، يُطفئها داخل الجرَّة ثم يغلقها بالغطاء.

هذا ما ستحصل عليه أخته: جرَّة ملأى بالرمال القذرة لحديقة حيوان مهجورة من دون اسم.

13

يعود إلى بيته والجرَّة موضوعة في صندوق السيارة. اتصلت به أخته بالفعل أكثر من مرة. يتصل بها هو ينظر إلى الهاتف بنفاد صبر ويشغل مكبر الصوت.

- أهلًا يا ماركيتوس، لماذا لا أراك؟

- أنا أقود.

- آه بالطبع. كيف أحوالك مع مسألة بابا؟

- بخير.

- أتصل بك لأخبرك بأنني سأنظم حفل وداع في البيت. يبدو لي أنسب شيء.

لا يُجيبها. يتحرك الحجر الموجود داخل صدره وينمو.

- أردت أن أطلب منك أن تجلب الجرَّة اليوم أو غدًا. يمكنني أيضًا أن آتي إلى بيتك لجلبها، لكنني لا أظنه أمرًا صائبًا بسبب بُعد المسافة، أليس كذالك؟

- لا.

- ما الذي تقصده بلا؟

- لا. ليس اليوم أو غدًا، بل حينما أخبرك أنا.

- لكن يا ماركيـ..

- من دون لكن سآتي لك بها، وقتما يروقني وستعقدين حفل الوداع حين يناسبني. هل الأمر واضح بالنسبة إليكِ؟

- حسنًا. أجل. أتفهم أنك لست بخير، لكن يمكنك أن تتحدَّث معي بنبر...

وحينئذٍ، يُنهي الاتصال.

14

يصل إلى بيته في وقت مُتأخر. إنه مُنهك. ظلَّ يراقب ياسمين عبر الهاتف الخلوي طوال اليوم. يعرف أنها نائمة.

لا يفتح لها باب الغرفة.

يذهب إلى المطبخ ويُمسك زجاجة ويسكي. يظل مُستلقيًا فوق أرجوحة النوم وهو يشرب. تخلو السماء من النجوم. إنها ليلة حالكة. لا وجود لليراعات أيضًا، كأنَّ العالم كله قد انطفأ وبقي في صمت.

يستيقظ على ضوء الشمس الساقط فوق وجهه. ينظر إلى الزجاجة الخاوية المُلقاة جانبًا. لا يفهم أين هو إلى أن يتحرك وتهتز أرجوحة النوم قليلًا.

ينزل منها مُتعثِّرًا ويجلس فوق النجيل وشمس الصباح فوق جسده يُمسك رأسه بيديه. يؤلمه. يرقد فوق النجيل وينظر إلى السماء. زرقتها مُتوهجة. لا وجود للغيوم. يُفكِّر في أنه لو مدَّ يده قد يلمس هذه الزُّرقة من فرط شعوره بقربها.

يعرف أنه حلم ويتذكر الحلم بصورة مثالية، لكنه لا يود أن يفكر. كل ما يريده هو أن يتيه داخل هذه الزُّرقة المُشعة.

ينزل ذراعيه ويغلق عينيه ويترك صور وأحاسيس الحلم تتشكل داخل رأسه، كأنها فيلم.

إنه داخل بيت الطيور. يعرف أنه زمن ما قبل «الانتقال»، إذ إن البيت لا يزال سليمًا. يقف على الجسر المُعلَّق الذي يخلو من زجاج حماية. ينظر إلى السقف ويرى صورة الرجل الذي يطير على الزجاج الملون. ينظر الرجل إليه. لا يندهش من أن الحياة دبَّت في الصورة، لكنه يكف عن النظر إليه حين يشعر بضوضاء تصم الآذان لملايين الأجنحة المرفرفة. مع ذلك، لا وجود للطيور. بيت الطيور فارغ. ينظر إلى الرجل إلى إيكاروس، الذي لم يَعُد موجودًا في الزجاج الملون. لقد سقط. لقد تداعى، لكنه طار. هذا ما يفكر فيه. يخفض بصره ويرى على جانبي الجسر، في وسط الهواء، طيور طنان وغربان وأبو الحناء وحسون ونسورًا، وشحارير وبلابل ووطاويط. ثمة فراشات أيضًا، لكن كلها ثابتة. تبدو زجاجية، ككلمات أورليت، كأنها داخل كهرمان شفاف. يشعر بأن الهواء يصبح أخف، لكن الطيور لا تتحرَّك. تنظر إليه كلها بأجنحتها المفتوحة. إنها قريبة جدًّا، لكنه يراها بعيدة جدًّا. تحتل الحيز بأكمله وكل الهواء الذي يتنفسه. يقترب من طائر طنان ويلمسه فيسقط على الأرض ويتحطم كأنه مصنوع من الزجاج. يقترب من فراشة أجنحتها زرقاء شبه فسفورية. يرتعش جناحاها ويهتزان، لكن الفراشة تظل ثابتة في مكانها. يمسكها بين يديه بكل حرص لِكَيْلا يؤذيها. تصير الفراشة ترابًا. يقترب من بُلبل. يوشك على لمسه، لكنه لا يفعلها. تتوقف إصبعه بالقرب منه لأنه يبدو له جميلًا جدًّا ولا يريد أن يؤذيه. يتحرك البلبل. يرفرف بجناحيه قليلًا ويفتح منقاره. لا يغرد، وإنما يصرخ. يصرخ بصوتٍ حاد ويائس. إنها صرخة مُحملة بالكراهية. يرحل. يركض. يهرب. يخرج من بيت الطيور. حديقة الحيوان مظلمة، لكنه يتمكن من رؤية أشكال لرجال. يدرك أن هؤلاء الرجال نسخة مُتكرِّرة منه إلى حد اللانهائية. كلهم أفواههم مفتوحة وعُراة. يعرف أنهم يقولون شيئًا، لكن الصمت تام. يقترب من أحد الرجال ويهزه. يحتاج إلى أن يتحدث، إلى أن يتحرك. يتنقل الرجل، هو نفسه، ببطء

حانق، وفيما يفعلها يقتل البقية. لا يضربهم بمطرقة. لا يخنقهم. لا يطعنهم. يتحدث معهم فقط، هو بنفسه، فيسقطون واحدًا تلو الآخر. بعدئذٍ يتقدَّم هذا الرجل -هو نفسه- نحوه ويعانقه. يعانقه بقوة إلى درجة يعجز معها عن التنفس، فيدخل في شد وجذب معه إلى أن يتمكن من الإفلات منه. يحاول هذا الرجل -هو نفسه- أن يقترب منه ليقول له شيئًا في أذنه، لكنه ينطلق راكضًا لأنه لا يودُّ أن يموت. بينما يركض يشعر بأن الحجر الموجود داخل صدره يهتز ويضربه في قلبه. يخرج من حديقة الحيوان إلى غابة. تتدلى من أشجارها أعين، وأيادٍ، وآذان بشرية، ورُضَّع. يتسلَّق واحدة من هذه الأشجار ليُمسك بأحد هؤلاء الأطفال الرضع، لكنه لا ينجح، إذ يختفي الرضيع حين يصبح بين يديه. يصعد شجرة أخرى، فيتحوَّل الطفل إلى دخان أسود. يتسلَّق واحدة أخرى، فتلتصق الآذان بجسده. يحاول أن يتخلص منها وكأنها علقات لكنها تنتزع جلده. حين يصل إلى رضيع هذه الشجرة، يرى أنه مُغطى بآذان بشرية وأنه لم يَعُد يتنفس. حينئذٍ، يزأر ويعوي وينقنق ويخور وينبح ويموء ويصيح ويصهل وينهق وينعق ويجأر ويبكي.

يفتح عينيه. كل ما يراه هي زُرقة باهرة. حينئذٍ، يصرخ فعلًا.

15

يتحتم عليه الذهاب. يترك الطعام والماء لياسمين. بمجرد أن يفتح الباب إذا بها تقفز لمعانقته بقوة. لم يتركها ساعات كثيرة بمفردها منذ مدة طويلة. يقبلها سريعًا. يُجلسها بعناية فوق الوسائد ويغلق الباب بالمفتاح.

يركب سيارته. يتحتم عليه الذهاب إلى «معمل فالكا». يتصل بهاتف كريـج الخلوي.

- أهلًا ماركوس. أخبرتني ماري. آسف لمصابك كثيرًا.

- شكرا.

- ليس ضروريًّا أن تذهب إلى المعمل. يُمكنني أن أبلغهم أنك ستذهب في وقتٍ لاحق.

- سأذهب، لكنها المرة الأخيرة.

صمت كريـج ثقيل. ليس معتادًا على النبرة التي يتحدَّث بها معه.

- لا يمكنني قبول ما تقوله تحت أي ظرف. أحتاج إلى أن تذهب أنت دائمًا.

- سأذهب اليوم. بعدئذٍ، سأُدرِّب شخصًا آخر كي يذهب.

- أنت لا تفهمني. المعمل أحد أهم العملاء الذين يدفعون لنا. أحتاج إلى الأفضل هناك.

- أنا أفهمك بصورة مثالية، لكنني لن أذهب بعدئذٍ إلى هناك مرة أخرى.

يظل كريج صامتًا بضع ثوانٍ.

- حسنًا. ربما هذه ليست أفضل لحظة للتحدث بخصوص هذه المسألة في ظل هذه الظروف.

- هذه هي أفضل لحظة وهذه آخر مرة سأذهب فيها أو سأقدم غدًا استقالتي.

- ماذا؟ لا. هذا لن يحدث تحت أيِّ ظرف. ماركوس، درِّب شخصًا آخر. ابدأ وقتما تحب. الحديث في هذا الموضوع انتهى. خذ الوقت الذي تحتاج إليه كي ترتاح ودعنا نتحدث في وقت آخر.

يُنهي المكالمة من دون وداع. يمقت الدكتورة فالكا ومعملها الملآن بالفظائع.

يتحتم عليه أن يسلم وثيقته قبل أن يدخل المعمل مع الخضوع إلى مسح للشبكية والتوقيع على عِدَّة وثائق، بل والخضوع إلى تفتيش في غرفة خاصة للتحقق من أنه ليس في حوزته كاميرات أو أي شيء قد يضر سرية التجارب التي تُجرى هناك.

يرافقه حارس أمن إلى الطابق الذي تنتظره فيه الدكتورة. إنها ليست مضطرة على الأرجح أن تفعل هذه المهمة؛ مهمة التحدث مع موظفي المجازر لاختيار أفضل العينات لكن الدكتورة فالكا مهووسة بالتفاصيل وتقول له دائمًا: «العينات هي أساس كل شيء. إذا أردتُ النجاح، فعليَّ أن أتحلى بالدقة». تطالبه بأن تكون العينات من

الجيل الأول النقي، وهي أصعب الأنواع التي يمكن الحصول عليها. تستبعد الرؤوس المعدلة على الفور. تطلب منه أسخف الأمور مثل مقاسات معينة للأطراف وعينات بأعين مُتلاصقة ومُنفصلة، أو بجبهة غائرة أو بقدرة كبيرة على تحريك الأعين، وعينات تلتئم جروحها بسرعة وببطء، وأخرى لديها هالات سوداء كبيرة أو صغيرة. تتغير القائمة في كل زيارة مع المزيد من الطلبات الغريبة. إن لم تفِ إحدى العينات بمتطلباتها، تعيدها إليه مع المطالبة بخصم شامل لأنه أضاع وقتها ومالها ولهذا بالطبع لم يَعُد يرتكب أي خطأ.

التحية التي تجمعهما دومًا باردة: يمدُّ إليها يده، لكنها في كل مرة تنظر إليه كأنها لا تفهمه وتحرك رأسها في إيماءة، أو شيء يشبه التحية.

- دكتورة فالكا. كيف حالك؟

- حصلت على واحدة من أرقى جوائز البحث والابتكار، ولهذا فأنا في خير حال.

ينظر إليها من دون أن يُجيبها. يفكر فقط في أنها آخر مرة سيراها وسيسمعها وسيدخل فيها أصلًا إلى هذا المكان. تسأله، لأنه لم يهنئها ولأنها تنتظر تهنئته:

- هل قلت شيئًا؟

- لم أقل شيئًا.

تنظر إليه بحيرة. لو أنها لحظة أخرى، لقدم لها التهنئة فعلًا.

- الأمر وما فيه أن العمل الذي نمارسه في معمل فالكا حيويٌّ لأن نتائج التجارب التي تخضع لها هذه العينات مختلفة وأسفرت عن تقدُّم جوهري لم نحققه من قبل مع الحيوانات. نحن نُقدِّم مفهومًا مختلفًا ومُتقدِّمًا في مسألة التعامل مع العينات وبروتوكولات عملنا تُنفَّذ بيد من حديد.

تمضي في حديثها كالعادة وتُلقي الخطاب نفسه الذي أعده فريق التسويق، مع تلك الكلمات التي تبدو كحمم بركان لا تتوقف قط، لكنها في الأصل حمم باردة ودبقة. إنها كلمات تلتصق بجسده وتشعره بالنفور فحسب.

تسأله الدكتورة:

- ماذا قلت؟

لقد انتظرت إجابة لن يقدمها لها لأنه أصلًا كان قد توقَّفَ عن الإنصات إليها.

- لم أقل شيئًا.

تنظر إليه بتعجب. لطالما أبدى اهتمامه وأنصت إليها وتحدث بالصورة الكافية والضرورية لإشعارها بأنه مهتم. لن تسأله الدكتورة فالكا أبدًا ما إذا كان بخير أو يمر بأمر ما، لأنها لا تراه إلا انعكاسًا لها، مجرد مرآة تتحدث أمامها عن إنجازاتها.

تنهض. سترافقه في الجولة المُعتادة؛ هذه الجولة التي أصابته بالغثيان وبألم في بطنه وكوابيس في المرة الأولى. إنها جولة غير مُجدية لأن كل ما يحتاج إليه هي قائمة الطلبات وأن تشرح له ماهية أعقد العينات التي تريدها، لكنها مهتمة بأن يفهم بدقة كل تجربة كي يجلب لها العينات المناسبة.

تُمسك الدكتورة فالكا بعكازها وتقف. تعرَّضت إلى حادث مع عينة منذ بضع سنوات. يُقال إن أحد مساعديها أهمل وترك قفصًا موارِبًا. حين مضت الدكتورة، التي تبقى في العمل لوقت متأخر، في جولتها التفتيشية، هاجمتها العينة وأكلت جزءًا من ساقها. يعتقد أن الحادث لم يقع بسبب إهمال المساعد. يعتقد أنه انتقم منها لأن فالكا مشهورة بالتطلب وبإساءة معاملة موظفيها وبتعليقاتها الجارحة، لكن لأن معملها الأكبر والأشهر، يتحمل الناس كل هذه العوائق، إلى أن يأتي اليوم الذي يعجزون فيه

عن الاستمرار. يعرف أنهم في البداية دعوها سرًّا الدكتورة مينجيله[1]، لكن بعدئذٍ صار إخضاع البشر إلى التجارب شيئًا طبيعيًّا وبدأت تحصد الجوائز.

تتمايل وهي تسير وتتحدث. تبدو كأنها في حاجة إلى الاستناد إلى الكلمات التي تخرج من فمها من دون توقف. تُكرر الخطاب نفسه دائما. تقول إنه لا يزال صعبًا على المرأة، حتى في هذا القرن أن تحظى باحترام مهني فالعالم لديه أحكامه المسبقة، وإن الناس بدؤوا منذ فترة قليلة فقط يحيونها هي وليس مساعدها، لأنهم كانوا يحسبونه مدير المعمل لأنه رجل، وبالمثل إنها اختارت ألَّا تبني عائلة، وإنها تدفع ثمن المسألة اجتماعِيًّا لأن الناس لا يزالون يفكرون في أن النساء عليهن أن يلتزمن بمقصد بيولوجي مُعيَّن، وإن إنجازها الأهم في الحياة هو المُضي قُدُمًا، والحفاظ على رباطة جأشها؛ وإن الأمور أسهل بالنسبة للرجال، وإن هذا المعمل هو عائلتها، لكن ما من أحد يفهم المسألة فعلًا، وإنها فيما تنفذ ثورة في عالم الطب، يصب الناس تركيزهم على ما إذا كانت ترتدي أحذية أنثوية، أو ما إذا كان لون صبغة شعرها قد بهت لأنها لم تحظ بوقتٍ كافٍ للذهاب إلى مُصفف الشعر، أو ما إذا كان وزنها قد زاد.

يوافق على كل ما تقوله لكنه لا يطيق كلماتها التي تبدو كشراغيف صغيرة تزحف فتترك وراءها أثرًا دبِقًا، وتستمر في زحفها إلى أن تتراكم فوق بعضها وتتعفن وتُفسد الهواء برائحتها الزنخة. لا يجيبها لأنه يعرف أيضًا أن النساء اللاتي يعملن لديها قليلات وأنها تزدري أي واحدة تحبل منهن، عبر سلاح تجاهلها.

تُظهر له قفصًا وتقول له إن هذه العينة مُدمنة على الهيروين وإنهم يمدونها بالهيروين منذ سنوات لدراسة الأسباب المؤدية للإدمان. «حين نُحيده، سندرس مخه». يُفكِّر: «نحيده! ها هي ذي كلمة أخرى لإسكات الفزع».

تمضي الدكتورة فالكا في حديثها، لكنه كان قد توقف عن الإنصات إليها. يرى عينات

(1) الغرض من هذه التسمية تشبيهها بجوزيف مينجيله، الضابط والطبيب النازي الذي أجرى تجارب مميتة على السجناء في معسكر اعتقال أوشفيتز. (المترجم).

من دون أعين، وبعضها متصل بأنابيب لتدخين النيكوتين طوال الوقت، وأخرى بأجهزة متصلة برأسها، بل ومتصلة بجمجمتها، وعينات غيرها تبدو أنها تتضور جوعًا، وأخرى متصلة بأسلاك تخرج من كل أنحاء جسدها. يرى معاونين يجرون عمليات تشريح لعينات على قيد الحياة، وآخرين ينتزعون قطعًا من جلود أذرع بعض العينات من دون تخدير، بل وعينات في أقفاص يعلم أن أرضيتها مكهربة. يفكر في أن المذبح أفضل من هذا المكان لأن الموت على الأقل أسرع.

يجتازان قاعة تظهر فيها عينة على طاولة. صدرها مفتوح وقلبها ينبض. ثمة أشخاص يحيطون بالعينة لدراستها. تقف الدكتورة فالكا لتنظر عبر النافذة. تقول له إن تسجيل أداء الأعضاء بعينات حية وواعية أمر رائع، وإنهم حقنوا هذه العينة بمخدر خفيف لِكَيْلا يفقد وعيه من الألم. تضيف بحماس:

- يا لجمال هذا القلب النابض. أليس شيئًا رائعًا؟

لا يُجيبها.

تسأله:

- ماذا؟

- لم أقل شيئًا.

أجابها في هذه المرة وهو ينظر إلى عينيها بشيء من الملل ونفاد الصبر.

ترمقه بنظرة من أعلى لأسفل في صمت، كأنها تفحصه بماسح إلكتروني. إنها نظرة تستهدف إظهار السلطة، لكنه يتجاهلها. ترافقه إلى قاعة جديدة كأنها لا تعرف ما يتحتم عليها فعله أمام لا مبالاته، صالة لم يدخلها قبلئذٍ قط. ثمة إناث في الأقفاص مع أطفالهن. يقفان أمام قفص فيه أُنثى وهي تبدو ميتة ومعها طفل عمره سنتان أو

ثلاث سنوات لا يتوقف عن البكاء. تشرح له أنهم قد خدروا الأم لدراسة رد فعل الطفل.

يسألها:

- ما معنى القيام بهذا؟ أليس رد الفعل أمرًا جليًّا؟

لا تُجيبه. تستأنف مسيرتها وهي تضرب بعكازها على الأرضية لتحدد إيقاع كل خطوة بغضب مكبوت. ليس مهتمًا بأن صبرها قد بدأ ينفد، ولا بعجزها عن إبداء رد فعل أمام تصرُّفاته المفتقرة إلى اللياقة. ليس منزعجًا من أنها ستشتكيه لكريج. يُفكِّر: «لو اشتكت، فهذا أفضل وسيضمن لي ألا أعود إلى هنا أبدًا».

يمرَّان من أمام قاعة جديدة لا يتذكَّر أنه رآها من قبل. لا يدخلان. يريان عبر النوافذ حيوانات موجود في الأقفاص. يُميِّز كلابًا وأرانب وقطة. حينئذٍ، يسألها:

- هل تبحثون عن علاج للفيروس؟ أسأل بسبب وجود هذه الحيوانات. أليس وجودها خطرًا؟

- كل ما نفعله هنا سريٌّ، لهذا كلما خطا أحد ما فوق أرضية هذا المعمل وقَّعَ اتِّفاقًا ملزِمًا بالسرية.

- أجل بالطبع.

- لا أهتم سوى بالحديث عن التجارب التي أحتاج بسببها إلى عينات أنت من ستجلبها إليَّ.

لا تناديه الدكتورة فالكا أبدًا باسمه لأنها ليست مهتمة بتذكُّره. يشتبه هو في أن هذه الحيوانات المحبوسة مُجرد شيء صوري، لأنه إن كان ثمة شخص يدرسها، فهذا يعني أن الفيروس حقيقي.

- من الغريب أن أحدًا لم يكتشف العلاج بعد، أليس كذلك؟ أقصد مع كل هذه المعامل المتقدمة التي تجري تجارب طليعية..

لا تنظر الدكتورة إليه ولا تجيبه لكنه يشعر بأن الشراغيف الصغيرة الموجودة في حنجرتها قد أوشكت على التفجر.

- أحتاج إلى عينات قوية، دعني أرِك.

تأخذه إلى قاعة في طابق آخر تجلس فيها العينات، وكلها من الذكور، على مقاعد تشبه مقاعد السيارات. جميعهم مُثبتون بصورة تجعلهم عاجزين عن الحركة ورأسهم داخل خوذة هيكلها مربع ومُكوَّنة من قضبان معدنية. يلمس أحد المساعدين زرًّا، فيتحرك الهيكل بسرعة شديدة ليضرب رأس العينة فوق لوح حساس يسجل عدد وسرعة وأثر هذه الضربات. تبدو بعض العينات ميتة إذ لا يصدر منها رد فعل حين يحاول المساعدون إيقاظها، فيما ينظر آخرون بِحيرة فيما حولهم وعلى وجههم تعبيرات ألم. تقول فالكا:

- نجري تجارب لمحاكات تصادم السيارات ونجمع بيانات لتصنيع سيارات آمنة، لهذا أحتاج إلى عينات معملية قوية من الذكور كي تقدر على تَحمُّل أكبر عدد ممكن من التجارب.

يعلم أنها تنتظر منه أن يقول لها شيئًا حول مدى روعة عملهم، وأنه قد يساهم في إنقاذ حياة البشر، لكنه يشعر فقط بذلك الحجر الذي يضغط على صدره.

يقترب أحد المساعدين ويناول الدكتورة شيئًا كي توقعه.

- ما هذا؟ كيف سأوقع هذا الآن؟ كيف لم تجلبه لي قبلئذٍ؟

- جلبته لسعادتك، لكنكِ قلت لي أن أجلبه لاحقًا.

- هذه ليست إجابة. لو قلت لك لاحقًا فمعناها الآن، خاصة مع شيء بمثل هذه الأهمية. أدفع لك كي تفكر. اتركني الآن.

لا ينظر إليها لكنها تقول له:

- عدم جدوى هؤلاء القوم لا اسم لها.

لا يُجيبها لأنه يظن أن العمل مع هذه المرأة قد يفقد المرء عقله بالكامل. لربما وَدَّ أن يقول لها إن «لاحقًا» تعني لاحقًا وإن التحدث بشكل سيئ عن موظفيها، يجعلها تبدو كمديرة غادرة فحسب. يفكر بشكل أفضل ويقول لها:

- عدم جدوى؟ أليس من المُفترض أنكِ من تتعاقدين معهم؟

تنظر إليه بغضب.

يشعر بأن الحُمم البركانية الباردة والدبقة قد تنفجر في أي لحظة، لكنها تأخذ نفسًا عميقًا وتقول له:

- غادر، رجاءً. سأرسل القائمة مباشرة إلى كريج.

تقول عبارتها الأخيرة كتهديد، لكنه يتجاهلها. لربما أراد أن يُجيب على أمور كثيرة قالتها، لكنه يُحييها بابتسامة ويضع يديه في جيبي بنطلونه ويستدير. يرحل وهو يُصفِّر عبر الطرقة فيما يسمع ضربات عكازها الغاضبة التي تبتعد تدريجيًّا.

16

حين يركب سيارته، تتصل به ثيثيليا.

- أهلًا يا ماركوس. لا أراك بوضوح. أهلًا. هل تسمعني؟ هل تراني؟

- أهلًا ثيثيليا! أجل. أهلًا. أسمعك، لكن ليس بصورة واضحة.

- مارك..

ينقطع الاتصال. يقود بعضًا من الوقت ثم يتوقَّف ويتصل بها.

- أهلًا ثيثيليا. كنت في منطقة تغطيتها سيئة.

- علمت بمسألة بابا. اتصلت بي نيللي. كيف حالك؟ هل تود أن نتقابل؟

- أنا بخير. شكرًا لكِ، لكن أُفضِّل أن أبقى بمفردي.

- أفهمك. هل تُخطِّطون لحفل وداع؟

- ماريسا تخطط له.

- بالطبع. هذا هو المتوقع. هل تريد أن أذهب.

- لا. شكرًا. لا أعرف ما إذا كنتُ سأذهب أنا أصلًا.

- هل تعرف؟ أنا أفتقدك.

يظل صامتًا. إنها أول مرة تقول له فيها إنها تفتقده منذ ذهبت إلى بيت أمها. تستمر في حديثها:

- أراك مُختلفًا، وغريبًا.

- أنا الشخص نفسه.

- الأمر وما فيه أنني أراك شاردًا منذ فترة.

- أنتِ لا تريدين العودة إلى البيت، هل تسعين إلى أن أنتظرك طوال حياتي؟

- لا. حسنًا، لكنني سيروقني أن نتحدث.

- حين أهدأ بشكل أكبر، سأتصل أنا بكِ، ما رأيك؟

ترمقه بتلك النظرة التي لطالما نظرت بها كلما عجزت عن فهم موقف ما أو تخطى أحد المواقف قدرتها على الفهم. إنها نظرة منتبهة، لكنها حزينة، مثل تلك النظرات التي تظهر في الصور العتيقة.

- حسنًا، أيًّا كان إن احتجت إلى أي شيء، قل لي يا ماركوس.

- اتفقنا. كوني بخير.

يصل إلى بيته. يعانق ياسمين ويبدأ في تصفير لحن «Summertime» في أذنها.

17

اتصلت به أخته مرَّاتٍ لا تُحصى لترتيب حفل وداع أبيهما. قالت له إنها ستتكفل بكل شيء «بما في ذلك التكاليف». حين سمعها تقولها، ابتسم أوَّلًا، ثم شعر برغبة هائلة في ألا يراها بعدئذٍ على الإطلاق.

ينهض مُبكِّرًا لأنه يتحتم عليه الوصول إلى المدينة في الموعد. يتحمم مع ياسمين كي يطمئن إلى أنها لن تؤذي نفسها. يُحضِّر لها الغرفة، إذ ينظفها ويترك لها طعامًا وماء كي تظل هادئة عِدَّة ساعات. يتفقَّد نبضها وضغطها. منذ أدرك أنها حبلى، جهَّزَ في بيته صيدلية متكاملة واشترى كتبًا عن الموضوع وجاء من المجزر بجهاز إيكوجراف محمول مُخصص لفحص الإناث الحُبليات اللاتي يُرسَلن إلى أرض الصيد، وتدرَّبَ على الاعتناء بها ومتابعة حالتها. يعرف أنه ليس أنسب شيء لكن هذه هي فرصته الوحيدة، لأنه إن اتصل بمتخصص فسيتحتم عليه الإبلاغ بالطبع عن الحمل وإظهار أوراق التخصيب الصناعي.

يرتدي بزته ويخرج.

تتصل به أخته مرَّةً ثانية وهو يقود.

- ماركيتوس، هل أنت آتٍ؟ لم لا يمكنني أن أراك؟

- أنا أقود.

- آه حسنًا، متى ستصل؟

- لا أعرف.

- بدأ الناس يصلون. هل تعرف؟ سيروقني أن تكون الجرة موجودة، لأنه من دونها فلا معنى للأمر.

يُنهي المكالمة من دون أن يُجيبها تتصل به مرَّة ثانية، لكنه يغلق هاتفه الخلوي. يبدأ في تقليل السرعة. سيستغرق الوقت الذي سيحلو له.

يصل إلى بيت أخته. يرى مجموعة من الأشخاص يدخلون ومعهم مظلات. يخرج من سيارته ويُخرج الجرَّة الفضية من صندوقها. يضعها أسفل ذراعه. يدق الجرس، فتفتح له أخته.

- أخيرًا. هل حدث شيء ما لهاتفك. لم أتمكن من الاتصال بك.

- لقد أغلقته. خذي الجرَّة.

- تعال، تعال فأنت من دون مظلة مرة ثانية. هل تريد أن تموت؟

تنظر أخته إلى السماء وهي تقول عبارتها، ثم تُمسك الجرَّة.

- بابا المسكين وحياته الملآنة بالتضحيات! في نهاية المطاف، نحن لسنا شيئًا يذكر.

ينظر إلى أخته ويلاحظ شيئًا غريبًا. يُدقق النظر ويدرك أنها قد تزينت وذهبت إلى مُصفف الشعر وأنها ترتدي فستانًا أسود ضيقًا. ليس شيئًا صارخًا جدًّا كي تُعتبر قلة احترام كاملة، لكن كل شيء بمقدار مضبوط كي تُظهر أن هذا حفلها.

- تعال. خذ لنفسك ما تريده.

يدخل غرفة الصالون حيث يجتمع المدعوون حول طاولة الطعام. جرُّوها عند حائط ووضعوا عِدَّة أطباق ملأى بالمأكولات كي يأخذ الناس ما يريدونه. يرى أخته وهي تأخذ الجرَّة نحو طاولة أصغر عليها صندوق شفاف يبدو مصنوعًا من الزجاج المصقول. تضع الجرَّة داخل الصندوق بعناية وبوقار كبير كي يرى الناس احترامها لأبيها.

إلى جوار الصندوق، ثمة إطار إلكتروني يعرض صورًا متتالية للأب ومزهرية، وسلة داخلها هدايا وصورة لأبيهما يظهر فيها تاريخا ميلاده ووفاته. خضعت صور أبيهما إلى تعديلات. لا يتذكَّر أن أباهما قد التقط صورة مع اخته وعائلتها، أو أنه قد عانق حفيديه لأن حفيديه لم يزوراه قط في دار الرعاية. تظهر أخته في إحدى الصور مع أبيهما وهي في حديقة الحيوانات. يتذكر هذا اليوم. كانت أخته مجرد رضيعة. مسحته أخته ووضعت نفسها مكانه. يقترب منها الناس ويواسونها، فتخرج منديلًا وتمسح به عينيها الخاليتين من الدموع.

لا يعرف أحدًا. ليس جوعانًا أيضًا. يجلس على مقعد الصالون ويبدأ في النظر إلى الناس. يرى أبناء عمومة جالسين في أحد الأركان وهم يتَّشِحون بالسواد وينظرون إلى هواتفهم الخلوية. يرونه، لكنهم لا يلقون عليه التحية. ليس لديه هو الآخر رغبة في النهوض وتحيتهم. يبدو الناس كأنهم يشعرون بالملل. يأكلون أشياء من على الطاولة ويتحدثون بصوتٍ خفيض. يسمع رجلًا طويلًا يرتدي بزة ويبدو محاميًا أو محاسبًا يقول: «لقد انخفض سعر اللحم كثيرًا في الوقت الحالي. ما كان يُكلفك مبلغًا وقدره من اللحم المخصوص سابقًا، صار الآن يكلفك مبلغًا أقل بكثير. قرأت مقالًا يربط بين انخفاض السعر وانضمام الهند رسميًّا إلى حركة بيع وتصدير اللحم المخصوص

الذي كان ممنوعًا. يبيعونه الآن بسعر رخيص جدًّا». يضحك الآخر، وهو رجل أقرع ينسى المرء وجهه على الفور: «أجل! وهم عددهم بالملايين! انتظر حتى يبدأ الأمر فعلًا وحينئذٍ ستستقر الأسعار». تتوقَّف سيِّدة كبيرة في السن أمام جرَّة الأب وتنظر إلى الصورة. ترفع إحدى الهدايا التذكارية وتتفقدها. تشمها ثم تلقيها مرَّة ثانية في السلة. ترى السيدة صرصارًا يسير على الحائط، بالقرب من الإطار الإلكتروني الذي يعرض صور أبيه الزائفة المتتالية. تجفل وتبتعد وترحل، ثم يدخل الصرصار سلة الهدايا التذكارية.

ما من أحد موجود هنا باستثنائه يعرف أن أباه كان مفتونًا بالطيور، وأنه أحب زوجته بشغف وأن شيئًا داخله قد انطفأ بالكامل بعد وفاتها.

تسير أخته بخطوات قصيرة وسريعة من جانب إلى آخر لأداء واجب الضيافة. يسمعها تقول لأحد: «نستعمل تقنية موت الألف قطعة. أجل، تلك التي ظهرت في الكتاب الذي صدر منذ فترة. بالطبع. هذا الكتاب الأكثر مبيعًا. أنا لا أعرف شيئًا. زوجي هو من يتولى المسؤولية». ما الذي قد تعرفه أخته عن التعذيب الصيني؟ ينهض ويقترب كي يسمع بشكل أفضل، لكن أخته تذهب إلى المطبخ. حين يقترب من الطاولة التي عليها الطعام، يرى صينية فضية عليها ذراع يُخلي الضيوف ما فيها من لحم. حول الذراع، التي طُهيت بالطبع في الفرن، ثمة خس وفجل صغير مُقطع في شكل زهور اللوتس الهندي. يتذوَّق الناس ويقولون: «يا للروعة. إنه طازج جدًّا. إن ماريسا لمضيفة رائعة فعلًا. يرى المرء كيف أحبَّت أباها فعلًا». حينئذٍ، يتذكَّر غرفة التبريد.

يسير نحو المطبخ، لكنه يصادف أخته في الطرقة.

- إلى أين تذهب يا ماركيتوس؟

- إلى المطبخ.

- لماذا قد تحتاج إلى الذهاب إلى هناك؟ أنا سأجلب لك كل ما تريده.

لا يُجيبها ويستمر في طريقه. تُمسكه من ذراعه، لكنها تفلته لأن شخصًا كان يناديها من الصالون يقترب كي يتحدث معها.

يصل إلى المطبخ. يشعر بهبَّة رائحة زنخة، لكنها في الوقت نفسه سريعة الزوال. يسير نحو باب غرفة التبريد. ينظر ويرى داخلها رأسًا من دون ذراع. يُفكِّر: «لقد حصلت على مرادها. الخبيثة!». أن يعيش المرء في المدينة ويمتلك رأسًا فهي مسألة تمنحه وضعية مرموقة. يتفقَّد الرأس ويدرك أنها أنثى من الجيل الأول النقي حين يتمكَّن من تمييز بعض العلامات. ثمة كتاب موضوع جانبًا فوق نضد المطبخ. لا تمتلك أخته كتبًا في العادة. عنوان الكتاب هو: «دليلك لتنفيذ موت الألف قطعة مع الرؤوس المنزلية». ثمة لطخات حمراء وبنية فوق الكتاب. يشعر برغبة في التقيؤ. يُفكِّر: «بالطبع. ستُقطعها تدريجيًّا مع كل حدث تستضيفه. لا بُدَّ أن موت الألف قطعة هذا شيء رائج. هكذا، سيحصل هؤلاء القوم على شيء ليتحدثوا عنه». سيقطِّع كل أفراد العائلة رأسًا حيًّا موجودًا في الثلاجة، ارتكازًا على تقنية تعذيب صينية تعود إلى آلاف السنين. ينظر إليه الرأس المنزلي بحزن. يحاول أن يفتح الباب، لكنه مغلق بالمفتاح.

- ما الذي تفعله؟

إنها أخته. تنظر إليه ومعها صينية خاوية بين يديها. تنقر بقدمها اليمنى فوق الأرضية. يستدير وينظر إليها. يشعر بأن الحجر الموجود داخل صدره ينفجر.

- أنتِ تثيرين اشمئزازي.

تنظر إليه باندهاش وغضب:

- كيف تقول لي هذا، واليوم تحديدًا! أيضًا، ما الذي يجري معك مؤخَّرًا؟ وجهك ممتقع.

- الأمر وما فيه أنكِ منافقة. أنتِ وابناك مجرد خراء!

يندهش هو الآخر من قدرته على إهانتها هكذا. تفتح عينيها وفمها. تظل صامتةً بضع ثوانٍ.

- أتفهَّم أنك مضغوط بسبب مسألة بابا، لكن لا يُمكنك أن تهينني هكذا وفي بيتي.

- هل تفهمين أنكِ ليس لديكِ تفكير يخصك، وأن كل ما تفعلينه هو اتباع اللوائح التي تُفرض عليكِ؟ هل تفهمين أن كل ما تفعلينه هنا تمثيلية لا جدوى منها؟ هل أنتِ أصلًا قادرة على الشعور؟ هل أحببت بابا أصلًا ذات مرة؟

- أظن أن حفل الوداع واجب، أليس كذلك؟ هذا أقل ما يمكننا أن نفعله له.

- أنتِ لا تفهمين شيئًا.

يخرج من المطبخ فتمضي وراءه وهي تقول له إنه لا يُمكنه أن يغادر وأن يفكر فيما سيقوله الناس، وإنه لا يُمكن أخذ الجرَّة الآن وإنه يُمكنه على الأقل أن يمنحها هذا الأمر، فالبيت ملآن بزملاء إستيبان في الشركة، ومديره موجود، وإنه لا يُمكنه أن يُحرجها هكذا. يتوقف ويمسكها من ذراعها ويقول لها في أذنها: «إن لم تتوقفي عن إزعاجي، فسأحكي للجميع كيف لم تساعديني قط مع بابا. هل الأمر واضح؟». تنظر إليه أخته بخوف وتتراجع بضع خطوات.

يفتح باب البيت ويغادر. تلاحقه ركضًا ومعها الجرَّة. تلحقه قبل أن يفتح باب السيارة تحديدًا.

- خذ الجرَّة يا ماركيتوس.

ينظر إليها في صمت لِعدَّة ثوانٍ. يركب سيارته ويغلق الباب. تظل أخته واقفة من دون أن تعرف ما يتحتم عليها فعله إلى أن تدرك أنها تقف في الهواء الطلق من دون مظلة. تنظر إلى السماء بخوف. تغطي رأسها بيديها وتدخل البيت ومعها الجرَّة الملآنة برمال قذرة من حديقة حيوان مهجورة لا اسم لها.

18

يتوجَّه عائدًا إلى بيته مُسرِعًا ويشغل الراديو.

يدق هاتفه. إنها ماري. يبدو له اتصالًا غريبًا لأنها تعلم أنه في حفل وداع أبيه. تعرف الأمر لأنها اتصلت به كي تطلب إذنه كي ترسل إلى أخته قائمة معارفه لدعوتهم إلى الحفل. لم يمنحها هذا الإذن بالطبع وقال لماري إنه لا يريد أن يرى أيًّا من معارفه.

- أهلا ماري. ما الأمر؟

- أحتاج إليك في المجزر الآن. أعلم أنه ليس وقتًا مُناسِبًا، لكن اعذرني. لدينا وضع خارج عن السيطرة. تعال الآن، رجاءً.

- لكن، ما الذي حدث؟

- لا يمكنني أن أشرحه. يتحتَّم عليك أن ترى.

- أنا قريب. كنت في طريقي إلى المنزل. امنحيني عشر دقائق.

يضغط على دواسة الوقود. لم يسمع ماري قط وهي قلقة بهذه الصورة.

بينما يوشك على الوصول، يرى من بعيد ما يبدو كشاحنة مُتوقِّفة في منتصف الطريق. حين يصبح على بعد أمتار قليلة يرى على الأسفلت بقعًا من الدماء، وحين يقترب قليلًا، يعجز عن تصديق ما يراه.

إحدى شاحنات الأقفاص مقلوبة ومحطمة على جانب الطريق. انكسرت الأبواب بسبب الصدمة، أو رُبما كُسرت. يرى بعضًا من جماعة «الرمامين» يمسكون سواطير وعِصِيًّا وسكاكين وحبالًا وهم يقتلون الرؤوس التي كانت تُنقل إلى المجزر. يرى يأسًا وجوعًا، وجنونًا مسعورًا، وحنقًا مُتراكمًا وقتلًا. يرى أحد «الرمامين» وهو يقطع ذراع رأس حي. يرى آخر وهو يركض لمحاولة ربط رأس يفرُّ وكأنه كبش. يرى نساء يحملن أطفالًا رُضع على ظهورهن وهن يضربن بسواطيرهن ويقطعن الأعضاء والأيدي والأقدام. يرى الأسفلت ملآن بالأحشاء. يرى طفلًا عمره خمس أو ست سنوات يجر ذراعًا. يضغط على دواسة الوقود، حين يهتف أحد «الرمامين» ويرفع ساطوره، بوجه مختل وملطخ بالدماء.

يشعر بأن أجزاء من الحجر الذي يثقل صدره بدأت تسري داخل جسده وتحرقه بتوهجها.

يدخل المجزر. يقف كريج مع ماري وعِدَّة موظفين آخرين لمشاهدة هذا العرض. تقترب ماري منه وهي تركض ثم تعانقه.

- اعذرني. اعذرني يا ماركوس جدًّا، لكن ما يحدث جنون. لم يسبق أن مررنا بأمر مثل هذا مع «الرمامين».

- هل انقلبت الشاحنة وحدها أم أنهم من قلبوها؟

لا نعرف، وهذا ليس أسوأ شيء.

- ما هو أسوأ شيء يا ماري؟ ما هو الأسوأ من هذا؟

- لقد هاجموا لويسيتو، السائق. كان جريحًا ولم يتمكَّن من الخروج في الوقت المناسب. قتلوه يا ماركوس. لقد قتلوه!

تعانقه ماري من دون أن تتوقَّف عن البكاء.

يقترب كريج منه ويصافحه.

- تقبَّل عزائي في أبيك واعذرنا على الاتصال بك.

- فعلتما الصواب.

- لقد قتل هؤلاء المنحطون لويسيتو.

- يجب أن نتصل بالشرطة.

- لقد اتصلنا بالفعل. يتحتَّم علينا معرفة كيفية احتواء هؤلاء الأوساخ.

- لو أرادوا، فلديهم لحم سيكفيهم لأسابيع.

- قلت للرجال أن يُطلقوا النيران من دون أن يصيبوهم، لإفزاعهم.

- وما الذي حدث؟

- لا شيء، وكأنهم أُصيبوا بنوبة جنون؛ كأنهم صاروا وحوشًا ضارية.

- دعنا نتحدث في المكتب، لكن سأجهز بعضًا من الشاي لماري أولًا.

يدخلان المجزر. يعانق ماري التي لا تكف عن البكاء وقول إن لويسيتو كان المفضل لديها من بين كل السائقين، فهو شاب جميل لا يتجاوز عمره ثلاثين عامًا. كان مسؤولاً جدًّا ورب عائلة ولديه ابن جميل. وزوجته؟ ما الذي ستفعله زوجته الآن؟ الحياة ظالمة. هؤلاء القذرون البائسون كان لا بُدَّ من قتلهم منذ فترة طويلة. هؤلاء الأوساخ الذين يحوطون المكان كالصراصير. إنهم ليسوا بشرًا، بل آفات وحيوانات مُتوحِّشة.

قالت إن الموت بهذه الصورة لفعل بربري، وإن هذه المرأة لن تتمكن من ترميد زوجها، وكيف لم يتوقعوا أمرًا كهذا، وإنه ذنب الجميع، وإنها لا تعرف إلى أي رب عليها أن تصلي لو أن ربها يسمح بحدوث مثل هذه الأمور.

يُومئ برأسه ويقدم لها الشاي. تبدو كأنها قد بدأت في لملمة شتاتها قليلًا. تلمس يده.

- هل أنت بخير يا ماركوس؟ ألاحظ منذ فترة شيئًا غريبًا في نظرتك. صارت أكثر إنهاكًا. هل تنام جيدًا؟

- أجل يا ماري. شكرًا.

- أبوك كان شخصًا فاتنًا وأمينًا جدًّا. هل حكيت لك أنني عرفته قبل «الانتقال»؟

حكت له الأمر أكثر من مرة، لكنه يقول لها إنها لم تحكه وتظهر عليه أمارات الاندهاش كما يحدث في كل مرة.

- أجل، عرفته وأنا لا أزال شابة. كنت أعمل سكرتيرة في مدبغة وتحدثت معه عِدَّة مرات حين جاء ليجتمع مع مديري السابق.

تحكي له مجدَّدًا أن أباه كان شخصًا فاتنًا «مثلك، يا ماركوس»، وأن كل الموظفات اعتدن أن يغازلنه بنظراتهن، لكنه لم يهتم أو ينظر إليهن أصلًا، «إذ كان واضحًا أن أباك قد كرَّسَ كل نظراته لأمك، وأنه مُغرم». تحكي له أيضًا أنه لطالما كان لطيفًا ومحترمًا ويُمكن للمرء أن يتفهم كونه شخصًا جيِّدًا من على بُعد فرسخ كامل.

يُمسكها بعناية من يديها ويقبلهما.

- شكرًا يا ماري. هل صرت أفضل؟ هل سيزعجك أن أتحدث مع كريج؟

- خذ راحتك يا عزيزي. لا بُدَّ من حل هذا الشأن العاجل.

- لو أردت شيئًا، فأبلغيني.

تنهض ماري وتُقبِّله بقوة في خده وتعانقه.

يدخل مكتب كريج ويجلس.

- يا لها من كارثة! خسارتنا في هذه الرؤوس بالملايين، لكن أفظع شيء مسألة لويسيتو.

- أجل. يجب أن نتصل بزوجته.

- هذا ما ستفعله الشرطة. ستبلغها بالأمر شخصيًّا.

- هل يعرف أحد ما حدث؟ هل انقلبت الشاحنة أم قلبوها؟

- علينا أن نراجع التسجيلات الأمنية، لكننا نعتقد أنهم قد قلبوها. لم نحظَ بوقتٍ لأي رد فعل.

- هل أوسكار من أبلغ عن الأمر؟

- أجل. أوسكار. إنها ورديته. رأى الأمر واتصل بي. لم تَكُن قد مرَّت خمس دقائق أصلًا، وإذا بهؤلاء الأوساخ يقتلون الجميع.

- إذن، كان الأمر مخططًا.

- أجل. هكذا يبدو الأمر.

- سيفعلونها مرة أخرى. يدركون الآن أنهم قادرون.

- أجل. هذا ما أخشاه. ما اقتراحك؟

لا يعرف كيف يُجيبه، أو أنه يعرف بالفعل، لكنه لا يرغب. تغلي قطع الحجارة في دمه. يتذكَّر الطفل الذي يجر الذراع فوق الأسفلت. يظل صامتًا. ينظر كريج إليه بجزع.

يحاول أن يُجيبه، لكنه يسعل. يشعر بقطع الحجارة تتراكم في حنجرته. تحرقه. لو أن الأمر بيده لهرب مع ياسمين واختفى.

يقول كريج:

- لا يخطر على بالي الآن سوى الذهاب وقتلهم جميعًا. يجب أن تختفي هذه الآفات.

ينظر إليه، فيشعر بحزن مُلوَّث ومسعور. يسعُل من دون توقف. يشعر بأن الحجارة قد تفتَّتت وصارت رملًا في حنجرته. يصب له كريج كوبًا من الماء.

- هل أنت بخير؟

يودُّ أن يقول له إنه ليس بخير، وإن الأحجار تحرقه من الداخل وإنه لا يمكنه أن يُخرج من ذهنه ذلك الطفل الميت من الجوع. يأخذ الماء. لا يرغب في الرد عليه لكنه يُجيبه:

- لا بُدَّ من أخذ عِدَّة رؤوس وتسميمها وتقديمها إليهم.

يظل صامتًا. يساوره الشك، لكنه يمضي في حديثه:

- سأصدر الأمر في غضون أسبوعين. لا بُدَّ من انتظار انتهائهم من تناول اللحم الذي سرقوه لِكَيْلا يساورهم الشك. سيكون أمرًا غريبًا أن نقدمه لهم الآن بعد أن هاجمونا

للتو.

ينظر إليه كريج بتوتر. يُفكِّر بضع ثوانٍ ثم يبتسم.

- أجل. إنها فكرة جيدة.

- بهذه الطريقة، حين يموتون مسمومين، فسيكون السبب الواضح أن مَرَدَّ الأمر إلى اللحم الذي سرقوه. لا يمكن لأحد أن يلومنا.

- لا بُدَّ أن يضطلع قوم موثوقون بالمسألة.

- سأضطلع بها حين تأتي اللحظة المناسبة.

- لكن الشرطة ستصل الآن، ومن المحتمل أن يلقوا القبض عليهم. أظن أن هذا الأمر لن يكون ضروريًّا.

يمقت كونه فعالًا بهذه الصورة، لكنه يفشل عن كبح نفسه عن الرد وحل المشكلات، بل والعثور على أفضل حلٍّ للمجزر.

- من الذي سيلقون القبض عليه؟ على أكثر من مئة شخص يعيشون حياة مهمشة قوامها الحرمان؟ كيف سيعرفون من الذي قتل لويسيتو؟ من الذي سيُحملونه المسؤولية؟ لو ظهر في التسجيلات الأمنية من الذي قتله، فالإجابة هي نعم، لكن الوصول إلى هذه اللحظة سيستغرق وقتًا طويلًا.

- أنت محق. قد يُلقون القبض على اثنين أو ثلاثة وستظل المشكلات نفسها تواجهنا مع البقية، لكن كم رأسًا نحتاج إليها كي نتمكن من قتلهم جميعا؟

- لن نقتل الجميع. سيموت عدد كافٍ منهم كي يرحلوا.

- بالطبع.



- هؤلاء القوم يعيشون خارج إطار القانون. على الأرجح، ليس لديهم وثائق أصلًا. قد يستغرق التحقيق سنوات، وفي تلك الأثناء سيقلبون شاحنات أكثر وأكثر لأنهم صاروا يعرفون كيف يقلبونها.

- سأضع غدًا قومًا مُسلحين لاستقبال الشاحنات.

- أجل. هذا أمر مطلوب أيضًا. لكنني لا أظن أنهم سيخاطرون.

- أنت لم ترَ وجوههم المتوحشة.

- لا. لقد رأيتها، لكنهم سيكونون منهكين ومتخمين. مع ذلك، تبدو لي فكرة الحراسة المسلحة جيدة.

- حسنًا. أثق في أن الأمر سينجح.

لا يُجيبه. يصافحه ويقول له إنه سيعود إلى بيته. يقول له كريج: أجل، فعليه أن يعود بالطبع وأن يعذره على الاتصال به في تلك اللحظة.

بينما يخرج من المجزر. يرى الشاحنة المحطمة والأضواء الزرقاء الخاصة بسيارات الشرطة التي تقترب، والدماء الموجودة على الأسفلت.

يتمنى أن يشعر بالأسى على «الرمامين» وعلى حظ لويسيتو، لكنه لا يشعر بشيء.

19

يصل إلى بيته ويتوجَّه مباشرة إلى غرفة ياسمين. لم ينظر إلى هاتفه الخلوي طوال اليوم ليتفقدها. إنها أول مرة ينسى الأمر منذ ركب الكاميرات.

يفتح باب الغرفة ويرى ياسمين راقدة بوجه مُتألم. تلمس بطنها وقميصها ملطخ. يقترب راكضًا ويرى أن الحاشية مبللة بسائل أخضر ضارب إلى البني. يصرخ: «لا!».

يعرف عبر كل ما قرأه أنه حين يغدو لون السائل السلوي أخضر أو بنيًّا، فهذا يعني وجود مشكلة مع الطفل. لا يعرف ما يتحتَّم عليه فعله، لكنه يرفع ياسمين ويحملها إلى فراشه لإراحتها بصورة أكبر. بعدئذٍ، يُمسك هاتفه ويتصل بثيثيليا.

- أحتاج إلى أن تأتي الآن.

- ماركوس.

- اركبي سيارة أمك وتعالي إلى البيت.

- لكن، ما الأمر؟

- تعالي الآن يا ثيثيليا. أحتاج إليكِ هنا الآن.

- لكنني لا أفهم. صوتك مختلف. لا أتعرف عليك.

- لا يُمكنني أن أشرح لك عبر الهاتف. افهمي أنني أحتاج إليك الآن.

- حسنًا. أجل. سآتي الآن.

يعرف أنها ستتأخر. صحيح أن بيت أمها ليس في المدينة، لكنه أيضًا ليس قريبًا.

يركض إلى المطبخ. يُمسك ببعض فوط الأطباق ويُبللها. يضع الخرق الباردة على جبهة ياسمين. يحاول استخدام جهاز الإيكوجراف، لكنه يعجز عن تحديد المشكلة. يلمس بطنها ويقول: «كل شيء سيكون جيِّدًا يا طفلي! كل شيء سيكون جيِّدًا. ستولد بخير. كل شيء سيكون جيِّدًا». يناولها بعض الماء. يعجز عن التوقف عن ترديد أن كل شيء سيكون بخير، حين يعرف أن ابنه يواجه خطر الموت. يعجز عن النهوض وتحضير الأشياء الضرورية للولادة، مثل غلي الماء. يظل بلا حراك وهو يعانق بقوة ياسمين التي تزداد شحوبًا مع كل دقيقة تمر.

ينظر إلى اللوحة الموجودة فوق فراشه. لوحة شاجال التي أحبتها أمه كثيرًا. يصلي لها، بشكل ما يطلب من أمه أن تساعده، أيًّا كان مكانها.

يسمع صوت مُحرِّك سيارة، فينطلق راكضًا. يُعانق ثيثيليا. تُبعد نفسها عنه وتنظر إليه بتعجب. يُمسك ذراعها وقبل أن يرافقها إلى المنزل يقول لها:

- أحتاج منكِ إلى أن تفتحي عقلك. أحتاج منك إلى أن تُنحي جانبًا شعورك أيًّا كانت ماهيته وأن تصبحي الممرضة التي أعرفها.

- لا أفهم ما تقوله لي يا ماركوس.

- تعالي. سأريكِ. ساعديني. من فضلك.

يدخلان إلى الغرفة، فترى امرأة حُبلى في الفراش. تنظر إليها بحزن بل و باندهاش واضح وشيء من الحيرة، إلى أن تقترب منها بشكل أكبر، فتكتشف أن هذه المرأة لديها ختم ناري في جبهتها.

- ما الذي تفعله أنثى في فراشي؟ لماذا لم تتصل بمتخصص؟

- إنه ابني.

تنظر إليه باشمئزاز. تبتعد بضع خطوات تقرفص وتمسك رأسها، كان ضغطها قد انخفض.

- هل أنت مجنون؟ هل تريد أن ينتهي بك المطاف في «مجزر البلدية»؟ كيف تمكنت من مرافقتها؟ أنت مريض!

يقترب منها. يرفعها ببطء ويعانقها. بعدئذٍ يقول لها:

- السائل السلوي أخضر يا ثيثيليا. سيموت الطفل.

تنهض كأنه قد تفوَّه بكلمات ساحرة وتقول له أن يبدأ في غلي الماء، وأن يجلب لها مناشف نظيفة وكحول والمزيد من الوسائد. يركض عبر أنحاء البيت لجلب كل ما طلبته، فيما تتفقَّد ثيثيليا ياسمين وتحاول تهدئتها.

تستغرق الولادة عِدَّة ساعات. تدفع ياسمين غريزيًّا، لكن ثيثيليا تعجز عن إفهامها. يحاول أن يساعدها، لكنه يشعر بخوف ياسمين ويتجمد في مكانه. لا يقدر سوى على قول: «كل الأمور ستكون بخير. كل الأمور ستكون بخير»، إلى أن تصرخ ثيثيليا قائلةً إنها تستطيع أن ترى قدمًا. تطلب منه أن يخرج، لأنه يوترهما وتقول له إن الولادة ستكون مُعقدة وأن ينتظر في الخارج. يقف وراء باب الغرفة وأذنه مُلتصقة بخشبه.

لا وجود لأي صرخات. يسمع فقط ثيثيليا تقول: «ادفعي. ادفعي يا ماما. ادفعي. ادفعي. هكذا. أنتِ قادرة. بقوة أكبر وسيخرج يا ماما. هيا هيا!»، وكأنَّ ياسمين قادرة على أن تفهم أي شيء مما تقوله لها. بعدئذٍ، يسود صمت تام. تمرُّ الدقائق ويسمع ثيثيليا تصرخ: «لا. ادفعي. الطفل. استديري. هيا يا ماما. ادفعي هيا! لقد اقتربنا ساعديني بحق الرب. لا تموتي وأنتِ في يدي! اللعنة ليس وأنا هنا. هيا يا ماما! هيا أنت قادرة» لا يسمع شيئًا لبضع دقائق إلى أن يسمع فجأةً بكاء، وحينئذٍ يدخل.

يرى ابنه بين ذراعي ثيثيليا التي تتصبَّبُ عرقًا وشعرها هائج، لكن مع ابتسامة تضيء وجهها في الوقت ذاته:

- إنه ولد.

يقترب ويمسكه. يهزه ويُقبله. يبكي الطفل. تقول له إنه لا بُدَّ من قطع الحبل السري وتنظيفه وربطه. تقولها وهي تبكي من فرط السعادة.

حين يصبح الطفل جاهزًا وهادئًا. تُسلمه ثيثيليا له. ينظر إليه وهو عاجز عن التصديق. يقول: «إنه جميل. جميل جدًّا». يشعر بأن أجزاء الحجر تقلُّ وتفقد كثافتها.

لا تزال ياسمين في الفراش. تمدُّ ذراعيها. يتجاهلانها، لكنها تفتح فمها وتحرك ذراعيها. تحاول أن تنهض، لكنها في تلك الأثناء تصطدم بالكومود، فيسقط المصباح.

ينظران إليها في صمت.

تقول ثيثيليا:

- اجلب مزيدًا من الفوط المُبللة لتنظيفها قبل أخذها إلى المستودع.

ينهض ويسلم ابنه إلى ثيثيليا التي تبدأ في هدهدته والغناء له. يقول لها: «إنه ابننا

الآن»، فتنظر إليه وهي مُتأثرة وحائرة وعاجزة عن الرد.

تنظر ثيثليا إلى الطفل فحسب وتبكي في صمت. تداعبه وتقول: «يا لك من طفل جميل! يا لك من ولد صغير جميل! ماذا سنُسميك؟».

يذهب إلى المطبخ ويعود وهو يُمسك شيئًا في يده اليمنى.

تتمكَّن ياسمين فقط من مدِّ ذراعيها لملامسة ابنها بيأس. تحاول أن تنهض مجدَّدًا، لكن قطع زجاج المصباح المكسور فوق الأرضية تؤلمها.

يقف وراء ياسمين. تنظر إليه بإحباط. يعانقها أوَّلًا ويقبل ختم النار. يحاول تهدئتها. بعدئذ يجلس على ركبتيه ويقول لها: «اهدئي ستكون كل الأمور بخير. اهدئي». يمسح جبهتها بالخرق المُبللة لتنظيفها من العرق. يغني لها «Summertime» في أذنها.

حين تهدأ قليلًا، ينهض ويمسكها من رأسها عبر شعرها. كل ما تفعله ياسمين هو تحريك يديها لمحاولة معانقة ابنها. تود أن تتحدث، أن تصرخ، لكن لا صوت لها. يرفع المطرقة التي جلبها من المطبخ ويضربها في جبهتها، تحديدًا في منتصف الختم الناري، فتسقط ياسمين فاقدة وعيها؛ غائبة عنه.

تجفل ثيثليا من الضربة وتنظر إليه وهي عاجزة عن الفهم. تصرخ: «لماذا؟ لربما ولدت لنا المزيد من الأبناء!» بينما يجر جسد الأنثى نحو المستودع لذبحها، يُجيبها بصوتٍ رائقٍ ونقيٍّ إلى درجة قد يغدو معها جارحًا: «كانت لديها نظرة بشرية لحيوانٍ منزليٍّ».

شُكر

إلى ليليانا دياث ميندوري وفيليكس بروتسوني وجابرييلا كابيثون كامارا وبيلار باثتيريكا وريكاردو أوثال جارثيا وكاميلا باثتيريكا أوثال ولوكاس باثتيريكا أوثال وخوان كروث باثتيريكا ودانييلا بنيتيث وأنطونيا باثتيريكا وجاسبار باثتيريكا وفيرمين باثتيريكا وفرناندا ناباس وريتا بياتشنتيني وبيمي فيتسبين وباميلا تيرليتسي برينا وأليخاندرا كيلر ولاورا لينا ومونيكا بياتسا وأجوستينا كاريدي وباليريا كوريا فيث ومابي ساراتشو ونيكولاس هوتشمام وجونثالو جالبيث رومانو ودييجو توماسي وآلان أوخيدا وماركوس أوردابييتا وبالينتينو كابيلوني وخوان أوتيرو وخوليان بيجنا واليخو ميراندا وبرناردينا كريسبو وراميرو ألتاميرانو وبيي بالديس.

إلى أمي وأبي، ميرثيديس جونز وخورخي باثتيريكا.

إلى ماريانو بوروبيو، دائمًا.

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق: mohamed

تجهـيز وتنسيق: أشرف غالب.






عصير
الكتب



أجوستينا باثتيرّيكا:

مؤلفة أرجنتينية من مواليد بوينوس آيرس 1974. فازت بعدة جوائز محلية وعالمية. صدرت روايتها الأولى «اقتلوا الطفلة» في 2013، ثم نشرت مجموعتها القصصية «قبل اللقاء المتوحش» في 2016، ثم رواية «جثة لذيذة» في 2017، وتُوجت بسببها بجائزة «كلارين» التي فتحت لها أبواب العالمية، إذ تُرجمت إلى عدة لغات منها الإنجليزية والإيطالية والألمانية والفرنسية والكورية والتركية والروسية.

Cadáver Exquisito

جُثة لذيذة

في تلك الرواية الكابوسية، الحائزة جائزةَ «كلارين» لعام 2017، صار أكل لحوم البشر شرعيًّا في أغلب أنحاء العالم بسبب فيروس ينتقل إلى البشر عن طريق الحيوانات ويتسبب في وفاتهم.
تقرر الحكومات إبادة الحيوانات لمواجهة الأزمة، لكن تكمُن المشكلة الأكبر في أن البشر يحتاجون إلى البروتين الحيواني لسد نهمهم. هكذا، تبدأ بمرور الوقت محاولات فردية من قبل بعض أفراد المجتمع لأكل أضعف أفراده من الفقراء والمُهمشين، فتلجأ الحكومات في هذه المرة إلى تشريع تربية «رؤوس بشرية» مُعدَّلة جينيًّا لسد الفراغ الذي خلفه غياب الحيوانات ولتوفير الاحتياج البروتيني، وبث الروح مرة أخرى في صناعة اللحوم التي تقدر بالملايين.
هل تتبقى في البشر حقًّا ذرةٌ واحدةٌ من الإنسانية؟ هل ثمة وجود للإنسانية أصلًا وهم يحرقون موتاهم لتفادي تعرُّض قبورهم للنبش والتهام جثثهم؟ في هذه الديستوبيا القاسية، تقدم لنا أجوستينا باثتيرّيكا تحفةً أدبيةً معاصرةً عن الكيفية التي يأكل بها البشر بعضهم حرفيًّا ومجازيًّا عبر عمل سيصدم القارئ في كل واحدة من صفحاته.



تصميم الغلاف: محمود هشام


9 789779 923000





www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb